سلسلة روافد/٣

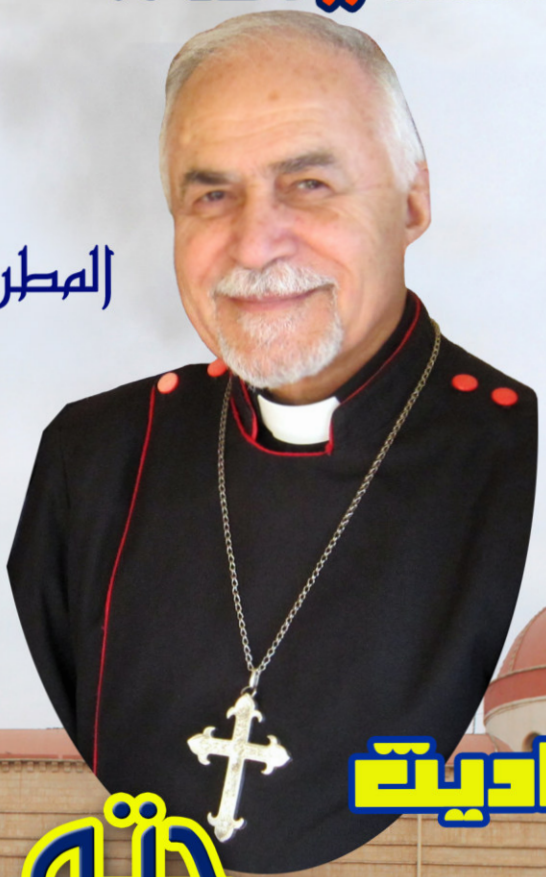

المطران جرجس القس موسى

احادية حتى النهاية

دار بيبليا للنشر
الموصل/العراق ٢٠١٤

في
سلسلة روافد

١. الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق
بقلم نخبة من الباحثين والمؤرخين
تعريب المطران جرجس القس موسى
١٢٠ ص - دار بيبليا للنشر/ الموصل ٢٠١٢ (٤٠٠٠د.)

٢. مختطف بعيد قراءة حياته
بقلم الأب بيوس عفاص
٢٣٢ص - دار بيبليا للنشر/ الموصل ٢٠١٣ (٣٠٠٠د.)

٣. حتى النهاية
احاديث ادلى بها المطران جرجس القس موسى
١٥٢ ص - دار بيبليا للنشر/ الموصل ٢٠١٤ (٢٠٠٠د.)

شعلة الميلاد في كنيسة الطاهرة - قره قوش

حتى
النهاية

سلسلة "روافد"

تستقبل نتاجات لمؤلفين ومترجمين في موضوعات حيوية وراهنة، وفي مختلف مجالات المعرفة، والدينية منها بنوع خاص.

ظهر منها:

١. **الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق** — بقلم نخبة من الباحثين والمؤرخين
تعريب: المطران جرجس القس موسى
بيبليا للنشر / ٢٠١٢

٢. **مختطف يعيد قراءة حياته** — بقلم الاب بيوس عفاص
بيبليا للنشر / ٢٠١٣

٣. **حتى النهاية** — بقلم المطران جرجس القس موسى
بيبليا للنشر/ ٢٠١٤

يظهر في السلسلة:

- صلاة تسليم الذات

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل [العراق] **e-mail: bibliamosul@yahoo.com**

تطلب كافة اصدارات دار بيبليا/ مركز الدراسات الكتابية
في العراق: مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما – الموصل
في لبنان: – مكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك
– المكتبة البولسية – جونيه (وفي فرعيها: بيروت وزحلة)
– مكتبة دير مار الياس – انطلياس

سلسلة "روافد"/ ٣

حتى النهاية

احاديث للمطران جرجس القس موسى
مع
جوزيف اليشوران ولوك بالبون

دار بيبليا للنشر
الموصل – العراق
٢٠١٤

إهداء

الى من أحبيتهم وابقى احبهم حتى النهاية

وطني

شعبي

كنيستي

بلدتي

واحبة رائعين

اسماؤهم يهتز لها قلبي كلما ذكرتهم

جرجس القس موسى

صدر هذا الكتاب بالفرنسية تحت عنوان:

Mgr Georges Casmoussa
Archevêque de Mossoul, Irak
JUSQU'AU BOUT
Entretiens avec Joseph Alichoran et Luc balbont
Ed. Nouvelle Cite, (Vie des hommes). France 2012

كانت دار بيبليا قد اطلقت عام ٢٠١٢ سلسلة جديدة بعنوان "روافد" تهدف إلى نشر نتاج منوع من تأليف أو ترجمة في مواضيع تتجاوز حدود الدراسات البيبلية التي عمدت اليها سلسلة "ابحاث كتابية" وبضمنها سلسلة "تفاسير". والدعوة قائمة للكتّاب والمؤلفين والمترجمين إلى نشر نتاجاتهم وفق ضوابط معينة...

وكانت البداية مع كتاب "الخطوات الاولى للمسيحية في الشرق" (١٢٠ ص) لنخبة من الباحثين والمؤرخين رسموا ملامح الكنيسة التي نشأت وترعرعت في سوريا وارمينيا وقبدوقية، كنائس كان لها أثرها البالغ في توطيد الايمان في مناطق زرعه فيها الرسل والمبشرون الاوائل، ولا زال مسيحيوها عرضة للتهديد والتهجير والتشرد اليوم! كتاب جاء تحفة من حيث الاخراج وكثرة الشواهد واللوحات، وكلها بالألوان!

وجاء الكتاب الثاني عام ٢٠١٣ بعنوان "مختطف يعيد قراءة حياته" (٢٣٢ ص) شهادة حية عن خبرة الاختطاف –في ضوء الايمان– خبرة عاشها صاحبها، بايامها ولياليها، فامتزجت، في فكره ووجدانه، ذكريات خمسين عاماً من المسيرة حتى اصبح تحريره من الاسر حياة مضافة يعيشها في الشكر.

وهوذا الرقم ٣ في السلسلة –بمعدل كتاب في السنة– يجسّد المنحى ذاته، وعلى نطاق اوسع واشمل، مع شهادة حياة اخرى عاشها المطران جرجس القس موسى، بافراحها وآلامها... خبرة ادلى بها إلى صحفيَّين فرنسيَّين ابيا إلاّ ان يكون "بطلهما" ضمن سلسلة بعنوان "حياة رجال" بينهم شخصيات كبار! فجاء الكتاب "أحاديث" شيقة من قلب الإحداث: في الحياة والايمان والخدمة الراعوية، كاهنا واسقفا، والرسالة والحوار والمواقف الاجتماعية والمسكونية والوطنية والعيش المشترك... كتاب فاز بالجائزة الأدبية من "مبرة الشرق" لعام ٢٠١٢!

"أملي ان اكون قد خدمت شعبي وكنيستي ووطني في هذا العمل، وبقيت وسط عواصف الإحباط والخوف والتسلط والتشنج الديني، صوتا للرجاء والأمل والثقة بالذات وبالآخر"! بهذه العبارة أوجز المطران جرجس القس موسى كلمة التقديم التي شاء ان تتصدر كتابه المعرَّب بقلمه "حتى النهاية"!

الموصل في ١ تشرين الأول ٢٠١٣ مع تحيات دار بيبليا للنشر

تقديم

كيف كتب هذا الكتاب ؟

الصحفي الفرنسي لوك بالبون زار العراق مرات عديدة منذ ٢٠٠٣، واسترعى اهتمامه مسيحيو العراق ومعانياتهم وطموحاتهم، وكم تمنى زيارة مدينة الموصل التي قيل له عنها أنها نبض مسيحية العراق، وزار قره قوش وأحبها شاهدا حيويتها وشبابها ونموّها في مضمار جديد كل مرة قصدها وشرب ماءها، وهنا قابلني اكثر من مرة وجرت بيننا أحاديث متشعبة في مكتبي وعلى المائدة ... حول مسيحيي العراق وقضاياهم، حول ايمانهم وكنائسهم ومستقبلهم، حول العيش المشترك مع جيراننا ومواطنينا المسلمين... وبادرني ذات مرة: أودّ أن اعمل مقابلة صحفية طويلة معك، وتنشر في كتاب!

تفاجأت بالعرض، وابتسمت للفكرة، وتخوفت بعض الشيء. فأعطيت له الجواب بعد يوم او يومين من التفكير : أوكي من حيث المبدأ، ولكن لي شرطين: الأول أن تنقل بأمانة ما أقوله لك، فلا تغيّر شيئا لذرائع صحفية، والثاني أن يخدم هذا المشروع شعبي وكنيستي، ولا أهمية لشخصي اذا بقي في الظل.

أما الصحفي جوزيف أليشوران، وهو عراقي الأصل، فرنسي الجنسية ويعيش في ضواحي باريس، أعرفه منذ عدة سنوات وطالما التقيت به في باريس عند أهل زوجته، وهم أصدقائي، أو في غير ذلك من مناسبات، ومن عاصمة الانوار يتابع قضايا شعبه بالكتابة والبحوث والاستقبال .. وكم سرح بنا الحديث، عن تاريخ كنيستنا في العراق وعن شؤون شعبنا وشجونه، بالفرنسية وبالسورث الذي ينزلق به لسانه عفويا كلما توجّه بالحديث اليّ، وكأنه يجد فيّ جذوره وأمانه. وعلمت فيما بعد أن مقترح المقابلة الصحفية الطويلة معي وفكرة صدور الأحاديث في كتاب هما مبادرة من عنده.

وكنت، أنا، على وشك الانتقال الى بيروت كمعاون بطريركي وتسليم دفة الأبرشية الموصلية الى سيادة المطران يوحنا بطرس موشي، نائبي الأسقفي العام السابق، عندما عرض عليّ لوك بالبون مشروع الكتاب. واتفقنا، أنا وهو، ان تتم المقابلة في لبنان.

وهكذا كان..

جاء الصحفي لوك بالبون، وهو محرر قديم في جريدة لاكروا اليومية الفرنسية الشهيرة، وينتمي حاليا الى مجموعة بايار بريس، ويكتب لأكثر من صحيفة دورية، ومتابع صحفي نشط لأحداث الشرق الأوسط ، جاءني، اذن، الى لبنان في صيف ٢٠١١ وعقدنا عدة جلسات مطولة لثلاثة أيام متتالية، من الصبح الباكر الى ساعة متأخرة من الليل، في دير الشرفة بدرعون (حريصا). ثم خرجنا في شطحات ودية الى دارة أهل زوجته اللبنانية في ضيعة "بقسميّا" الرابضة على احدى قمم البترون الرائعة، حيث يحنّ الى أن ينزوي للكتابة والتفكير في الدارة التي تهيؤها زوجته بحب وعناية، محتضنة بيتا قديما للعائلة مضمخا برحيق الأجيال، واستكشفنا سوية بعض أديرتها وكنائسها التاريخية واستنشقنا هواء تلك الروابي العبقة برائحة القديسين. وفي كل ذلك كان لوك يسأل ويصغي ويستثير الحديث والتعليقات... معي ومع أشخاص من نسابة زوجته لا ينقصهم الفكر النقدي ولا الرؤية الحالمة... وقلمه بيده يسجّل ما يروق لفضوله ونباهته.

عاد لوك الى فرنسا... وبعد بضعة أسابيع أعاد اليّ، بطريق البريد الألكتروني، جزءا مما تحدثنا فيه وما قلته له في لقاءاتنا في صيغة السؤال والجواب. وصاغ أسئلة جديدة لما كدنا نلامسه في الحديث ولم نستوفه حقه أو لم نتطرق بعد اليه. وكانت قاعدة اللعبة أن انقّح، وأستزيد، وأوضح، وأستطرد، وأسترسل أو استقطع .. فكرا وانشاء وتحليلا... حتى يروق لي النص الذي يخرج من بين أناملي وأكون قد استوفيت جوابي وعبرت تماما عما اريد اطلاقه من فكر ورؤية وتصريح أو احجام وتنويه. فالصدقية والعفوية والشفافية سمات ثلاث استدللت بها في كل ما تحتويه دفتا هذا الكتاب. وهكذا اشتغلنا سوية عن بعد، ولكن بتفاهم وانسجام واحترام كامل لقواعد العمل مدة أشهر .. حتى نيسان ٢٠١٢. وكما حررت بيدي وبفكري كل فقرة يحملها الكتاب، كذلك كان بالبون أمينا كل الأمانة لكل جواب وتحليل صدر من عندي، سواء من ناحية المحتوى الفكري او الانشائي أو من حيث المساحة الكلامية. فماذا كان دوره اذن؟ ككل صحفي، كان دوره أولا: صياغة الأسئلة –ويتطلب ذلك فنا وكياسة ونباهة في طرحها وتوجيهها– واستثارة الأجوبة وفكّ عقال الفكر. وثانيا: "فرْنَسَة" العبارة وتقطيع الحديث تقطيعا يراعي عبقرية اللغة الفرنسية وقواعد الأسلوب الصحفي الايجازي. وثالثا: تقسيم الأحاديث الى وحدات فكرية متجانسة في فصول وفقرات ووضع العناوين الملائمة لها. وهذا بحدّ ذاته يعتبر جهدا هندسيا وفنيا بحق.

أما اصبع اليشوران، فقد كان واضحا جليا في الهوامش التنويرية التي وضعها وفي النبذ التاريخية والجغرافية والملاحق والجداول وبعض الصور التي انتقاها من ألبومه العائلي...

وصدر الكتاب عن دار نشر "نوفيل سيتي / المدينة الجديدة" الفرنسية في نيسان ٢٠١٢، في اخراج فني رفيع المستوى والذوق والأناقة حقا. ومما أثلج صدري وعاطفتي هو اختيار صورة نار الرعاة في فناء كنيسة الطاهرة الكبرى في قره قوش/ بخديدا، بلدتي ومسقط راسي ومرجع أحلامي، لتكون صورة الغلاف. فالنار المتموجة المرتفعة عاليا نحو برج الكنيسة الكبرى السامق وهيكل بنائها الشامخ كالطود الصامد، وسط جماهير بنات وابناء بخديدا، من شيب وشباب وصبايا وأطفال وكهنة وشمامسة، تحمل اكثر من رمز وتعبير ... لي ... ولما أضمره وأحلم به لحاضر ومستقبل بلدتي "ماثا ددیري وايتاثا" (بلدة الأديرة والكنائس) كما تتغنى بها الأغنية... "دبايش لبّح لبّا خاثا" (كي يصبح قلبها قلبا جديدا) ... "لبّح تاوي سوريايا: طئينا دمّا قمايا" (ويبقى قلبها سريانيا: حاملا دم القدماء)...

وجاءتني دعوة مشتركة من دار النشر التي أطلقت الكتاب في فرنسا و"مبرّة الشرق" التي ساندت تكاليف الطبع، للقيام بجولة محاضرات ولقاءات اعلامية في أرجاء فرنسا تتزامن مع اطلاق الكتاب. وصارت الجولة جولتين: الأولى من ٢٠ أيار – ٦ حزيران ٢٠١٢، والثانية من ١٥- ٢٥ تشرين الاول ٢٠١٢ على شبه ماراتون نقلني الى أرجاء فرنسا انطلاقا من باريس: من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب: باريس وضواحيها، شيسني، كريتاي، سارسيل، أوتاي، ستراسبورغ مع البرلمان الأوربي، روان، نانت، لوريان، تروا، ليل، غرنوبل، فالانس، ميلين، ليون، مرسيليا، ايكاليير، بربينيان، نيم، ميتز، نانسي، سانت اتيين، لوزان في سويسرا، تولوز ... وشملت الجولة محاضرات عامة تليها أسئلة ومناقشات، وكانت تتم في كنائس أو قاعات مدنية او مكتبات عامة، وتختم دوما بفقرة توقيع الكتاب لمن يشترونه. أما الحضور فكان متنوعا، يغلب عليه عنصر العمر الوسط، من متتبعي قضايا الشرق الأوسط واوضاع المسيحيين في المجتمعات العربية الإسلامية. وقد قيل لي أنني محظوظ بالكثافة النسبية للمستمعين الى مثل هذه المواضيع، في المجتمع الفرنسي. وقد التقيت في نطاق هذه المحاضرات بعدد من الفرنسيين الذين اشتغلوا في العراق كمهندسين او فنيين في حقبات التنمية والبناء والتخطيط، ولبعضهم حنين وصداقات عزيزة في العراق. وكان من بين مستمعيّ مسلمون من أصل عربي، في بعض المناطق، حيث تظهر كثافتهم، مثل الألساز (الشرق) وضواحي باريس، ومرسيليا (الجنوب)، وليل (الشمال).

ومن الطبيعي أن تنطلق اللقاءات من حدث اطلاق كتاب "**حتى النهاية**" للمطران العراقي فيستقر الحديث عن محتواه ومعالجاته : المسيحيون الشرقيون وتاريخ وجودهم في

الشرق الأوسط ، وضع المسيحيين الحرج في غابة الشرق الأوسط والتحديات الوجودية التي يواجهونها أكثر فأكثر، مع تصاعد المدّ الإسلامي السلفي المتشدد والنافي لوجود الآخر، الوضع الحالي لمسيحيي العراق ومستقبلهم القريب والبعيد، تصوري للحوار المسيحي – الإسلامي وايماني بضرورته وامكانيته بالرغم من كل شيء، تقديري ومراهنتي على التيار العقلاني المنفتح والفكر المدني الصاعد بين صفوف مواطنينا المسلمين الطيبين والذين يقدرون العيش المشترك والشراكة في قيادة بلادنا وبنائها معا، مسلمين ومسيحيين، في مواطنة متساوية الحقوق والواجبات، دور الكنيسة في توعية المؤمنين ايمانيا والتمسك بالأرض الخ ... وهذه أيضا كانت محاور الحديث والمقابلات الإعلامية مع عدد من المحطات الإذاعية والتلفزيونية المسيحية والمدنية التي واكبت هذه الجولة المكوكية ونشر الكتاب.

وكانت تلك الجولات فرصة للالتقاء بشخصيات كنسية ومدنية وفكرية واعلامية كثيرة، وعرض قضية مسيحيي العراق والشرق لهم، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الكردينال باربارن رئيس اساقفة ليون، والكردينال فانترو رئيس اساقفة باريس، والمطران اولريش رئيس اساقفة ليل، والمطران مارك ستنجر رئيس لجنة باكس كريستي في مجلس أساقفة فرنسا الذي زارنا في العراق اكثر من مرة، والمطران (؟) رئيس اساقفة غرنوبل، والمطران (؟) رئيس اساقفة ستراسبورغ، والمطران رافان الدومنيكي رئيس اساقفة ميتز الذي اعرفه منذ ١٩٦١ يوم التقينا في القدس ولم يكن بعد قد رسم كاهنا، والمونسنيور كولنيش مدير "مبرة الشرق"، والسيد بيير (؟) مستشار رئيس الجمهورية الفرنسية، والسيد(؟) رئيس بلدية بربينيان الذي كرمني بمدالية المدينة بحضور موظفي وموظفات بلديته، والسيد ستيفنسون رئيس لجنة البرلمان الأوربي للعلاقات مع العراق، الذي التقيت به في نطاق وفد سابق (سنة ٢٠١٠) لشرح قضية شعبنا أمام البرلمان الأوربي في ستراسبورغ، والأب ميريكو الدومنيكي الذي يهتم بالعراقيين المهاجرين في فرنسا وتركيا، وقد قضى ردحا من عمره في الموصل، وكتب كتابا شيقا عن مسيحيي العراق بعنوان: "اذهب الى نينوى"... وغيرهم وغيرهم، مع عدد كبير من العلمانيين الملتزمين في الأنشطة الرسولية والكهنة والمكرسات وأخص بالذكر من هؤلاء فتيات الفوكولاري، بدءا من الأخت ميريال التي أعدت منهاج حلّي وترحالي ورافقتني في معظم الحركة. وأود أن أسجل شكري المتميّز هنا لها، وللصحفيين لوك بالبون وجوزيف اليشوران، ليس فقط للعمل الرائع الذي أنجزناه معا، بل لكل الحفاوة والمرافقة اللتين أحاطاني بهما، بحيث صار هذا الثلاثي مرجع صداقتي الأول في باريس. كما التقيت بعدد من الصحفيين المهتمين بشؤون مسيحيي الشرق وابراز تراثهم ودورهم في العملية الحضارية في بلادنا وكنائسنا الشرقية، ومنهم قناة KTO الفضائية الكاثوليكية، ومحطات الراديو المسيحي الفرنسي RCF، والصحفي توما فالوت، والصحفية آني لوران التي زارت العراق وكتبت كتابا اصبح مرجعا عن مسيحيي الشرق ومستقبلهم.

وكان الحدث الهام الآخر الذي توّج ظهور كتابنا "**حتى النهاية**" فوزه بالجائزة الأدبية لسنة ٢٠١٢ من "مبرة الشرق" (Prix Litteraire 2012 de l'Oeuvre d'Orient)، وهي جائزة تمنح لأول مرة لأفضل كتاب يعكس نظرة ايجابية حول مسيحيي الشرق. وما زاد التكريم تكريما هو تسليم صك الجائزة في كاتدرائية سيدة باريس العظمى يوم ١٧ حزيران ٢٠١٢ بيدي نيافة الكردينال فانترّوا، رئيس اساقفة باريس شخصيا. وقد كانت المناسبة مناسبة شرقية بامتياز اذ تم التسليم في نهاية القداس الأحتفالي السنوي الذي تقيمه "مبرة الشرق" في كنيسة نوتردام، وقد احتفل به هذا العام سيادة المطران أنطوان اودو مطران حلب للكلدان، أمام جمهور ضخم من المحسنين أصدقاء "مبرة الشرق" الفرنسيين ومن الشرقيين الساكنين في فرنسا. وقد اضطررت لقطع اجازة يوبيلي الكهنوتي الخمسيني في العراق والتوجه مباشرة من اربيل – بيروت – مطار باريس، فكنيسة نوتردام لأكون على الموعد.

خلاصة القول: لقد شكّل الكتاب والجولتان الإعلاميتان على مدى ٢٥ يوما في أرجاء فرنسا مناسبة متميزة لحملة اعلامية واسعة ومركّزة لتوعية الشعب الفرنسي، ولاسيما في الأوساط الكاثوليكية والمسيحية، حول وجود المسيحيين في الشرق الأوسط، وايقاظ الذاكرة الغربية على أن المسيحية أتتهم من هذا الشرق، وعلى المخاطر الحقيقية التي تهدد الوجود المسيحي اليوم في هذا الشرق من جراء تغييب المسيحيين من الحياة العامة، وقيام أنظمة سياسية - دينية اسلامية شمولية في منطقتنا الشرق أوسطية تبتلع كل الفعاليات العامة والوجود الاجتماعي، وتغيّب كل ما سواها، اضافة الى ظاهرة العنف والإرهاب المنظّم التي تلاحق المسيحيين وتجبرهم على الهجرة القسرية من الاوطان.. ولقد ذقنا طعمها المرّ في العراق لسنوات سوداء نتمنى ألا تعود، وتعاني منها سوريا ومصر اليوم، ويخشى ان يصيب رذاذها ما تبقى من بقعة هذا الشرق الذي فيه نمت وترعرعت المسيحية منذ شروقها، وقد تعايشت سلميا وفكريا وحضاريا وحتى عاطفيا مع الإسلام والمسلمين منذ ظهور الإسلام، بـ ٦٣٠ سنة بعدها، بل كان أبناء المسيحية العربية هم رواد النهضة العربية الحضارية والقومية والسياسية واللغوية في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين يوم كان العرب آمنين في مرابضهم تحت نير الاستعمار العثماني.

هذان التعايش والتلاحم الحضاري والتاريخي لم ولن تتنكر لهما المسيحية الشرقية، عربية كانت أم سريانية، مع ابناء الديانة الإسلامية، سواء كانوا عربا أم كردا أم تركا أم فرسا. ولكن التعايش والتلاحم لا يعنيان ابتلاع الأكثرية للأقلية، ولا سطو الكبير على الصغير واذلاله، ولا خنق الأقوى للأضعف، أو خنوع هذا لذاك. واذا كانت المسيحية الشرقية تبقى تمدّ يدها للإسلام الشرقي، عن وعي ونضوج ونهج، ولا تتنكر لوشائج التاريخ والجغرافيا التي ترتبط بها معه، فهي تنتظر المثل ممن تعتبرهم شركاءها في المصير،

وكما عقلاؤها وقادتها الروحيون والفكريون يرشدونها الى هذا النهج الراسخ في العقيدة والضمير، فكذلك تنتظر من أئمة المسلمين وقادتهم الروحيين والفكريين أن يرشدوا شعوبهم وشبابهم الى الاعتراف بالآخر، وجودا وحقوقا وشراكة وتاريخا. واننا بالرغم مما حصل ويحصل، لمتفائلون كلما نظرنا وراهنا على الطاقات الخيّرة والعقلانية والحرّة التي تبرز هنا وهناك، بين القيادات وفي صفوف المفكرين والناس الطيبين! انما نطلب من الصامتين أن يكونوا اقل صمتا، بل أن يكسروا جدار الصمت .. فلا تسلّم راية الأمة ولا قيادة الشارع الى المتطرفين والتكفيريين وفاقدي البصر والبصيرة، دعاة الدين، ان لم يدعوا الى السلام والمحبة واحترام الآخرين وحقهم في الحياة والشراكة، ويعيشوا واقعيا ما يدعون اليه حقا وحقيقة، فلن يكونوا إلاّ دعاة عنف وكراهية وأنانية واستئثار!

هذا ما يتضمنه كتاب "**حتى النهاية**"، وهذا ما يدعو اليه. ولهذا وددت تقديمه لقراء العربية، أنا بنفسي، تعميما للفائدة وشحذا للرجاء وانتخاء لمن ينتخي بالشهامة والأخوّة والمستقبل.

لقد توخيت الأمانة للنص الفرنسي الأصلي في الترجمة، مستبقيا على الشفافية وحرية التعبير، ولم أجدْ الا في بعض مفردات ضئيلة هنا وهناك لتوضيح المعنى وتنوير القارىء.

وأمل أن أكون قد خدمت شعبي وكنيستي ووطني في هذا العمل، وبقيت وسط عواصف الاحباط والخوف والتسلط والتشنج الديني، صوتا للرجاء والأمل والثقة بالذات وبالآخر ... وبالمستقبل!

بغديدا في ١٤ تموز ٢٠١٣

المطران جرجس القس موسى

تقديم الصحفيين

لوك بالبون وجوزيف البشوراني

قره قوش، سهل نينوى في شمال العراق.. العاشر من كانون الأول ١٩٤٨. الصبي جرجس بولص القس موسى (١٠ سنوات) يتبع قافلة من الزوار الفتيان الذين يقصدون دير مار بهنام سيرا على الأقدام. سيقضون الليل في هذا الصرح المسيحي الذي يرقى الى القرن ١٢، احتفالا بعيد الشهيد بهنام شفيع بلدتهم قره قوش، حيث أبصروا النور. ساعتان من السير بين مهرجان من الأزياء الزاهية الألوان، وأصواتهم تصدح بالغناء والصلاة والرقص. انه ملتقى جماهيري سنوي يقصده المؤمنون ويقدمون فيه نذورهم.

ومساء . . يتسلّل الصبي جرجس الى رواق من أروقة الدير، ويقف بباب نصف مفتوح، يستمع الى أصوات ترتفع. يمدّ الصبي الصغير راسه الى الداخل ليرى صبيا آخر بعمره جالسا على وسادة، وكان الصبي من تلامذة الدير الصغار الذين يتهيأون للدخول الى قسم الصغار في معهد التنشئة الكهنوتية. وكان الصبي التلميذ محاطا بأشخاص كبار، قد يكونون من ذويه على الأرجح، وكانوا يستمعون اليه بانتباه واحترام، كما كان العلماء يستمعون الى يسوع في الهيكل. هل تراه يشرح لهم فقرة من الإنجيل، أم بكل بساطة يقصّ عليهم شيئا من وقائع نهاره كتلميذ مبتدىء للكهنوت؟ الصبي جرجس يبقى مندهشا، ويتمنى لو حظي بمثل هذا الانتباه! وبعد عام، عندما مرّ كاهن في مدرسته وسأل تلاميذ صفّه اذا ما كان أحدهم يريد أن يصير "تلميذا راهبا"! (أي

تلميذا للكهنوت)، رفع جرجس اصبعه بعفوية وقال: أنا. وهكذا قضى الصبي جرجس سنتين تحضيريتين في دير مار بهنام هذا بالذات.

لم أعد أذكر متى وأين قصّ علينا المطران جرجس القس موسى هذه الحادثة. أكان ذلك في باريس، أم في قره قوش، أم في بيروت، هذه المدن الثلاث التي صارت مثلث لقاءاتنا منذ بضع سنوات، في فرنسا، العراق، لبنان ؟! لقد نسينا ذلك، ولكن هذه القصة لا زالت تلقي علينا السؤال التالي: لو لم يدفع الفضول يومذاك هذا الصبي الى مدّ راسه من خلال ذلك الباب المفتوح نصفه، ماذا كان، يا ترى، سيكون من هذا الصبي؟

هل كان سيبقى فلاحا يشتغل الأرض كوالده وجدّه من قبله؟ هل كان سيقضي قسما من حياته وراء قطيع أهله مع رفاقه في البلدة؟ أم هل كان سيقطع دراسته الابتدائية قبل انجازها مثلما اضطر إلى ذلك أخوه الكبير مارزينا، بالرغم من كفاءته ورغبته؟ ذلك أن مسيرة الوجود الانساني غالبا ما يتحكم فيها خيط رفيع!

هكذا يكون الفضول قد انتشل جرجس القس موسى من الدرب العام ليلقي به في مصير غريب: كاهن، مؤسس جماعة كهنوتية، رئيس اساقفة، معاون بطريركي، مفكر، كاتب، صحفي، ومدير مجلة. في رصيده عدة لغات، أسفار الى القارات الخمس، لقاءات مع عدد كبير من الشخصيات، معاصر لانقلابات وحروب، حياة تحت الاحتلال، ملامسة الموت في احدى ليالي كانون الثاني ٢٠٠٥ في الموصل. مسيرة خارقة ارتبطت بأحداث نسجت ليس تاريخ العراق، حسب، بل تاريخ الشرق الأوسط والعالم.

كشاهد عنيد، متسلّح بايمان يشدّ القلب، يحكي المطران جرجس القس موسى قصة حياته، مجيبا الى أسئلتنا. "حتى النهاية" .. اذن.. كتاب حياة انسان ملتزم، ذهب دوما حتى النهاية.

احادیث

IRAK
TURQUIE
SYRIE
IRAN
JORDANIE
ARABIE SAOUDITE
KOWEÏT
KURDISTAN
DJEZIREH
MESOPOTAMIE
Zākhoû
Dahoûk
Tall 'Afar
Mossoul
Arbîl
Qaraqesh
Qaraqosh
Qaryârah
As Soulaïmâniyah
Kirkoûk
Baïdji
Tikrît
Sâmarrâ
Lac Thartha
Ba'qoûbah
Al Falloûdjah
Ar Ramâdi
BAGDAD
Ar Routbah
Al Moussaiyib
Bahr al Milh
Karbalâ
Al Hillah
Al Koût
An Nadjaf
Ad Dîouânîyah
Al 'Amârah
As Samâouah
An Nâssirîyah
Al Qournah
Lac al Hammâr
Bassora
Az Zoubaïr
Al Fâo
0
100
200 km
Division Géographique de la Direction des Archives du Ministère des Affaires Etrangères © 2004
Plaine de Ninive

الفصل الأول

"مسيحيو العراق... ألا يعيشون أبدا في سلام؟!"

بيروت، لبنان : كانون الثاني ٢٠١١: في الطريق الساحلي، ونحن في طريقنا الى المقرّ الصيفي لبطاركة السريان الكاثوليك في دير الشرفة، شمالي العاصمة اللبنانية، يبدو المطران جرجس الجالس في مقدمة السيارة شارد الذهن. أرى رئيس أساقفة الموصل الذي تعيّن معاونا بطريركيا منذ نيسان الماضي، غائبا في عالم آخر، يتآكله القلق والغمّ. فيكسر جليد الصمت أخيرا شارحا همّه: "لدى تصفحي موقع عينكاوة كوم، موقع مسيحيي العراق، علمت أن محلات تجارية عائدة لمسيحيين في زاخو ودهوك في كردستان العراق (انظر الخريطة) قد تعرضت للتخريب والسطو على يد متطرفين إسلاميين. ففي صلاة الجمعة شحن بعض الأئمة المؤمنين ضد بائعي المشروبات الكحولية، وهؤلاء هم مسيحيون عادة، وهذا ما يحرّمه الإسلام بشدة. لم يكن ثمة ضحايا بشرية هذه المرة، وانما تخريب نحو اربعين محلا بقضبان حديدية وبالعصي، وصار حرق البعض الآخر". وتساءل المطران: "ولكن ما الذي سيحدث في الجمعة القادمة؟".

لحظات من الأسى يقطعها جوزيف أليشوران، وهو مسيحي كلداني ولد في دهوك، ليستذكر في طفولته كيف أن أباه كان يزاول تجارة صغيرة في المدينة وتلقى تحذيرات بسبب بيعه مادة البيرة.

• منذ سقوط نظام صدام حسين في نيسان ٢٠٠٣ يشكل كردستان العراق نوعا من ملاذ آمن لمسيحيي البلاد. فالى هذا الأقليم الذي يتمتع بحكم ذاتي كامل تقريبا يلجأ المسيحيون خوفا من الاغتيالات. هل هي المرة الأولى التي تتعرض فيها الجماعة المسيحية للاعتداءات في هذه المنطقة من العراق؟

نعم، انها المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا في هذه المنطقة منذ الاحتلال الأميركي عام ٢٠٠٣. وان ذلك يقلقني سيما وأن الهجوم قد طال حوالي عشرة أماكن أخرى من كردستان، وفي الوقت ذاته، في منطقة دهوك – زا خو الخاضعة مباشرة للحزب الديمقراطي الكردستاني التابع لرئيس الحكم الذاتي الكردي مسعود البارزاني، وحتى في السليمانية (انظر الخارطة) الخاضعة لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني التابع لرئيس الجمهورية جلال الطالباني.

لقد كان كردستان، غداة سقوط صدام حسين، ملاذ سلام لجماعاتنا المسيحية. فلقد لجأ عدد كبير من المسيحيين الى هذا الإقليم ممن هربوا من البصرة في الجنوب، ومن بغداد في الوسط، ومن الموصل في الشمال، حيث لم يعودوا يأتمنون على حياتهم، واستقروا في هذا الاقليم الذي يحظى بشبه استقلال ذاتي منذ نهاية حرب الخليج الاولى عام ١٩٩١، وباسناد من الأميركان. وها نحن المسيحيين اليوم موضوع تهديد جديد هنا أيضا! ان كنائسنا في الشرق تعاني ما تعاني منذ ظهور الأسلام في القرن السابع. وكل مرة شعرنا أننا قد حظينا بشيء من الأمان، أو ظنّنا أننا قد حصلنا على مكان آمن نستنشق فيه الهواء النقي، فنبني لنا حياة جديدة، حتى تفاجئنا مأساة جديدة. متى يا ترى يتمتع المسيحيون بالسلام الذي طالما تاقوا ويتوقون اليه؟

• هل يبدو لك العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين مستحيلا ؟

لن استسلم لليأس أبدا. لي قناعة راسخة بأننا سنكتشف يوما الوسائل الكفيلة بأن تدفعنا معا الى بناء مجتمع مشترك، والتكلم باللغة ذاتها. ولكني لست ساذجا، وأعرف أن ذلك سيتطلب بعض الوقت. سنجتاز حقبات زمنية عسيرة بعد، سنخضع لردات الى الوراء، وسنبكي موتانا لبعض الوقت بعدُ. وفي انتظار يوم الفرج سيستمر كثير من المسيحيين في اختيار طريق المنفى، هذه الطريق التي تبدو، للأسف الشديد، الطريق الوحيدة المعروضة للعيش بأمان على المدى المنظور!

• *المنفى، هل يبدو لك حلّ اليائسين؟ هل أنت ضد الهجرة؟*

نحن ساكنون هنا سبعة قرون قبل الإسلام، وقد بنينا هذا البلد، وساهمنا في اشعاعه الفكري والثقافي. ولقد كانت اللغة السريانية، سليلة الآرامية لغة المسيح، هي اللغة المحكية في بلادنا قبل العربية بوقت كثير. فهل نتخيّل هذه الأرض تفرغ من مسيحييها؟ في بطريركية السريان الكاثوليك في بيروت حيث اعمل معاونا بطريركيا منذ أيار ٢٠١١، ألتقي بعدد من المسيحيين العراقيين الذين هربوا من أعمال العنف، ويقصدون العاصمة اللبنانية في انتظار الحصول على فيزا هجرة الى استراليا، أو الولايات المتحدة، أو أوربا، أو كندا. هل ترى هؤلاء يعلمون ماذا ينتظرهم في الغرب؟ هل يعتقدون حقا أنهم سيحصلون على حياة أفضل في هجرتهم ؟ قلما يكون المنفى خيارا سعيدا! فقد يجد المهاجرون، في أحسن الأحوال، أشغالا ثانوية، ويواجهون الاستغلال أيضا. سيترتب عليهم الخضوع لقساوة تعلم لغة جديدة لن يتمكنوا من امتلاكها تماما أبدا. كثيرون سيخسرون جزءا كبيرا من اعتزازهم بانتمائهم التاريخي والقومي. لا شك أن أولادهم سيندمجون أفضل من الأهل في المحيطات الجديدة، ولكن كثيرين ممن يحصلون على الجنسية في بلاد الاستقبال، سينسون ثقافتهم الأصلية، وينسون تاريخ أهلهم، وكنائسهم، وستفصل الأجيال هوة عميقة. في أسفاري العديدة غالبا ما ألتقي بمسيحيين عراقيين منفيين؛ وقلما رأيتهم منشرحين تماما. فهناك دوما شيء ما ينقصهم. البارحة بالذات استقبلت في بيروت عائلة من قره قوش، بلدتي حيث ولدت: الأب والأم وأولادهم الثلاثة يتهيأون لأخذ الطائرة الى هولندا. لا أحد منهم يعرف هذا البلد، ولا هو مطّلع على ثقافته ولغته وتاريخه وذهنيته. أني أتخيّل دهشتهم عندما سيجدون أنفسهم في مدينة مثل أمستردام في عزّ الشتاء، هم الذين لم يغادروا قريتهم من قبل.

• *ولكن لا يمكن ادانة هؤلاء المسيحيين في اختيارهم المنفى!*

أنا أتفهم مللهم من الأوضاع. فالعيش باستمرار تحت وطأة الخوف من الاعتداء يولّد توتّرا لا يطاق. اني أفهم لماذا يريدون اتاحة مستقبل لأبنائهم. ثمة حدود لطاقة تحمّل الإنسان، لاسيما عندما ترى، اسبوعا بعد اسبوع، تراجعا في نوعية الحياة، أو أنك تتلقّى تهديدات بالقتل، أو تتعرض للأختطاف حال خروجك من بيتك، أو يخيرونك بين دفع فدية او التصفية الجسدية. انني أشعر بشعور رب الأسرة عندما يخاف على أمن عائلته. ولكني مقتنع من أن هؤلاء الذين يغادرون مضطرين ومرغمين، لا يغادرون أرض أجدادهم وهم يرقصون فرحا. أتخيّل الجهد الذي ينبغي صرفه عندما تكون في مرحلة عمرية متقدمة وعليك أن تبتدىء حياتك من جديد في بلد غريب عنك تماما؟

- ***حسب ظنك، لم تعمل السنوات الثمان من الوجود الأميركي والغربي في العراق (آذار ٢٠٠٣ - كانون الأول ٢٠١١) سوى مضاعفة سوء وضع المسيحيين في العراق؟***

ليس وضع المسيحيين فقط، بل كافة البلاد. أجل، لقد غادر الأميركان بلادنا في منتصف كانون الأول ٢٠١١ بعد ثماني سنوات من الاحتلال. ولكن ماذا كانت الحصيلة؟ لقد أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش الابن رسميا نهاية الحرب بعد سقوط بغداد على يد جيشه، في نيسان ٢٠٠٣، ووعدَنا بالرخاء الاقتصادي وبالأمان والديمقراطية. وأخذ قسم من العراقيين يحلمون. ولكن ما نراه، مع الأسف، بعد ثماني سنوات من هذا الاعلان هو عراق ممزق الى ثلاثة: عراق شيعي متكىء على ايران في الجنوب، عراق سنّي في الوسط، واقليم كردي في الشمال.

أما المسيحيون، فيرون أنفسهم عزّلا، فارغي الوفاض، معزولين! ظروف حياتهم ذاهبة من سيئ الى أسوأ، والأرهاب يحصد في صفوفهم كل يوم. فبعد أن كانوا يشعرون بنوع من الأمان المشوب بالحيطة والحذر في العهد السابق، باتوا اليوم عرضة لصدمات متكررة وبالجملة. والذين منهم تسلحوا بالشجاعة ومكثوا في البلاد، قد تجمهروا في المنطقة الشمالية، في بلدات سهل نينوى حول قره قوش، أو في خط القوش، أو في كردستان. يضاف الى ذلك أن أراضينا في بلداتنا التاريخية تتعرض للسطو والاطفاء بقوة قوانين جائرة.

- ***ألم تكن أراضٍ مسيحية قد وزعت في زمن صدام ؟***

بلى. في قره قوش وحدها وزّعت ٣٠٠٠ قطعة سكنية قبل ٢٠٠٣ لمواطنين لا علاقة تاريخية لهم البتة مع المناطق المسيحية، وتحديدا لمسلمين. لا شك ان ٨٠% من هذه الأراضي قد أعيد شراؤها من قبل أهالي بلدتنا، ولكن ينبغي أن يكفّ سَرَيان مثل هذه القوانين غير العادلة، فتلغى تماما. تصوّر بلدة من ٢٠٠٠٠ نسمة، يُفرض عليها فجأة ١٠٠٠٠ نسمة جديدة من الغرباء، ويمنح لهم حق الاستيطان قسرا، بمنحهم أراضي عائدة الى المالكين الأصليين، أفلا يربك ذلك التوازن الاجتماعي؟ ان التغيير الديمغرافي الذي ابتدأ في عهد صدام في سهل نينوى على حساب الأكثرية المسيحية في مناطقهم، ولمجرد كونهم مسيحيين، يتابعه القادة الحاليون أيضا. ان هذه السياسة لا تتخذ في الواقع صيغة الاستيلاء على الأراضي السكنية حسب، بل تفرض أيضا زرع مراكز دينية أو ثقافية إسلامية في المناطق المسيحية. نحن لسنا ضد تطوير المناطق المسلمة التي حوالينا، ولا ضد التعايش، بل

بالعكس، ويشهد تاريخنا على سلاسة علاقاتنا مع جيراننا ومواطنينا المسلمين، ولكننا نرفض أن تتم هذه العملية على حساب جماعتنا المسيحية. لقد تواجدت قرى مسيحية بكاملها دوما في سهل نينوى، وهي تشكل بالنسبة لنا واحات ضرورية لوجودنا وحريتنا. انها ليست محميات مغلقة، كما يلوّح البعض بهدف صدامي، بل تشكل مجالنا الحياتي الذي نعيش فيه آمنين أحرارا. وهي في كل الأحوال حقوقنا واراضينا وارثنا الاقتصادي والاستثماري، تسلمناها من أجدادنا وهي أمانة بأعناقنا لنا ولأبنائنا وأحفادنا. وهذا المجال الحياتي هو ركيزة أمان وطمأنينة في نفوسنا، لاسيما في هذه الأيام.

● ولماذا تضيف "لاسيما في هذه الأيام"؟

لأنه منذ ٢٠٠٤، حيث وقعت أُولى أعمال العنف الكبرى ضد جماعتنا المسيحية، لا يمر اسبوع تقريبا من دون أن يكون المسيحيون عرضة للتهديد، أو الاختطاف، أو القتل؛ من دون أن تتعرض كنيسة للهجوم، أو السرقة، أو التفجير. فلقد أُرغمنا، مثلا، على مغادرة مدينة الموصل، وهي معقل من معاقل المسيحية العراقية. لقد نجم عن مجيء الأميركان تيار من الإسلام المتطرف الذي تفاقم شيئا فشيئا. ولكنني راسخ القناعة من أن هذا التيار، وان ادّعى أو لا يزال يدّعي بأنه صادر عن الإسلام، هو تشوية للإسلام وغالبا ما يأخذ الإسلام ذريعة لدى هذه الجماعات الانتهازية والارهابية.

● هل تتاسف على زمن صدام؟

لن أتأسف عليه أبدا. ولكنني أفتقد الأمن النسبي الذي نعمنا به في عهده. لقد خلصنا الغرب من دكتاتور واحد ليضع محله عشرات المستبدين الذين يسيرون على خطاه، بل يفعلون أسوأ مما فعل، ولا يدافعون سوى عن منافعهم الشخصية أو العشائرية أو المذهبية. لقد وضع الاحتلال الأميركي بلادنا على الحضيض. لقد كان ثمة وسائل أخرى لاسقاط الدكتاتورية غير ارسال الدبابات والطائرات الحربية، فقد سقط آلاف الأبرياء في هذه الحرب. ان أميركا، حتى بعد مغادرتها، تحاول الزجّ بنا في الشك في أنفسنا، كما لو اننا لا نستطيع الوصول الى اي حل من دون قواتهم. هذا أوج المأساة لحضارة كحضارتنا ترقى الى ٦٠٠٠ سنة.

● لست رقيقا بالنسبة الى أميركا والغرب عموما!

ان الأميركيين والغربيين يحافظون قبل كل شيء على مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة، وغالبا ما يتناسون العوامل الانسانية والأخلاقية. انهم يبيعون لنا

أسلحتهم، ويغذون الصدامات المحلية عندنا، اذا لم يشاركوا فيها مباشرة كما فعلوا في العراق، وأفغانستان، ومؤخرا في ليبيا. واذا ما انهارت وتحطمت بلادنا، تراهم يهرعون للمساهمة في اعادة البناء، وبيع تقنياتهم وارسال خبرائهم ومهندسيهم. وكان الأولى بهم أن يفعلوا هذا قبل تحطيمنا. يا له من عبث بارد تجاهنا! اننا لعبة في أيادي القوى الكبرى. ان المحافظين ورجال الأعمال الأميركيين والمتطرفين الإسرائيليين يريدون تجزئة أوطاننا الى كيانات عديدة صغيرة وضعيفة يسهل تسييرها من الخارج والسيطرة عليها.

● هل أنت متأكد من ذلك؟

ما الذي يحدث الآن في الشرق الأوسط؟ كيف تشرح السياسة الغربية فيه؟ هذه الاستراتيجية الأميركية خاصة التي تشجع المواجهات الطائفية والعرقية في السر دون الافصاح عنها، وتحت غطاء تقرير المصير المشروع أو الديمقراطية المزيفة!

ان مشروع بوش والمحافظين الأميركان الجدد والمتطرفين الصهاينة يستند الى خطاب أخلاقي مبهم: محور الخير ومحور الشر!

أنا لست أميل الى تصديق أنبياء الشؤم أمثال كسنجر أو نوستراداموس، ولكن البشرية ليست بخير! انها لا تنعم بصحة جيدة. لقد كانوا ينعتون الاتحاد السوفييتي بالشيطان الأكبر أثناء الحرب الباردة. ولكن هذا الشيطان الأكبر كان، على الأقل، مفيدا بخلقه التوازن في العالم. أما اليوم، فلم يعد الا سيد واحد على ظهر السفينة، وهذا "السيد" معتدّ بقوته الى حدّ الصلافة اذ يهدد حتى حلفاءه اذا لم يصطفوا بخنوع الى جانبه. أليست تلك سياسة رعاة البقر (كاو بوي) على المستوى الكوني؟!

في ما يخص العراق، نحن خائفون من أن نشهد تجزئة بلادنا الى ثلاثة أجزاء: عراق شيعي في الجنوب، وعراق سنّي في الوسط والغرب، وعراق كردي في الشمال. انني أتذكر خارطة وهمية وجدتها على الأنترنت بعد الاحتلال الأميركي مباشرة تمثل العراق الجديد، وقد أعطي لها العنوان التالي: "الولايات المتحدة العراقية"، وعاصمة العراق على هذه الخارطة لم تعد بغداد، بل "بوشداد"! يا للدعابة! وفي مثل هذه الظروف يكون المسيحيون دوما هم الخاسرون الكبار وعرضة لمساومات الكبار.

اذا نظرت عن كثب الى خارطة الشرق الأوسط الجديدة، لرايت فلسطين مقسومة الى قسمين: غزة في أيادي الإسلاميين، والضفة الغربية بيد فتح؛ وفي لبنان، يعتبر الجنوب حقل حزب الله الشيعي الموالي لايران. ان هذا الإخراج الجديد يساهم في تصاعد حصة الأحزاب الإسلامية الأصولية والسلفية. وهذا الأمر لا يدعو الى الطمأنينة!

- ***لقد ذكر الرئيس العراقي جلال الطالباني امكانية انشاء منطقة ذاتية للمسيحيين في سهل نينوى، شرقي الموصل، حيث أبصرت أنت النور. ما تعليقك؟***

على علمي لقد أطلقت هذه الفكرة منذ ٢٠٠٣، حيث طرح الحديث مذ ذاك عن "محافظة للمسيحيين". لقد رفض مجلس أساقفة نينوى المشترك فكرة منطقة مسيحية تبدو وكأنها محمية يحيط بها الأعداء.

ان اختيارنا الأول كمسيحيين هو أن يكون العراق كله وطنا للمسيحيين، وأن يكون لهم الحق في السكنى حيث يشاؤون، في الجنوب كما في الوسط، وفي الشرق كما في الشمال، مع كافة الحقوق التي يتمتع بها سائر المواطنين في هذا البلد من دون أي انتقاص. وأنا أتبنى الفكرة التي دافع عنها المطران لويس ساكو، مطران كركوك، سنة ٢٠٠٧ ، بقوله ما معناه: "لنعمل سوية لتقوية العيش المشترك، لاعادة بناء بلدنا على أساس الاحترام المتبادل، والمساواة، وتكافؤ الفرص، والحرية البناءة، واحترام الاختلافات".

ان فكرة اقامة محافظة للأقليات المسيحية مع الأقليات المجاورة لها، ومركزها مدينة قره قوش، لا ينبغي أن تعني الانغلاق على الذات. ان هذا المشروع يستحق التفكير العميق من قبل جميع الشركاء في كل أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية والاجتماعية والدينية. ولكنه لا ينبغي في أي شكل من الأشكال أن يعني تسريع تجزئة الوطن، كما تودّ بعض القوى الكبرى الخارجية أو الداخلية تقديمه.

- ***ما العمل؟ فدرالية على الطريقة السويسرية أو الأميركية..؟***

لربما ! ولكن لتكن فدرالية على الطريقة العراقية التي تحترم خصوصياتنا الثقافية والفكرية والتاريخية. ينبغي أن يخضع ذلك بطريقة آمنة، ككل مشروع تطوير اداري، للمناقشة العامة، ولا يكون مفروضا بقوة حراب الإرهاب السياسي أو العرقي أو الديني. هناك عدة بلدان تديرها أنظمة فدرالية، آخذة بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية، مع احترام الوحدة الوطنية، مثل: ألمانيا، البرازيل، الهند، المكسيك، الولايات المتحدة الأميركية، فنزويلا، سويسرا الخ...

- ***ماذا يمكن أن يكون موقع المسيحيين في مثل هذه "الفدرالية على الطريقة العراقية"؟***

هناك ثلاثة طروحات:

الطرح الأول: الإقرار بالمواطنة الكاملة والمتساوية لجميع العراقيين. ذلك ما يتيح حرية حقيقية للمسيحيين أن يسكنوا حيث يشاؤون، مع التمتع بالحقوق ذاتها التي تتمتع بها الأكثرية المسلمة، من دون تفرقة دينية أو قومية، في مساواة في المواطنة وفي تكافؤ الفرص.

الطرح الثاني: انشاء محافظة جديدة للأقليات في سهل نينوى، يضم المسيحيين والأقليات الأخرى المتواجدة في المنطقة، كاليزيديين والشبك والكاكية والأكراد. ان العراق يتكون من ١٨ محافظة، وبذلك يتمتع المسيحيون بمحافظة تاسعة عشرة تتبع الميزات القانونية ذاتها التي تتمتع بها المحافظات الأخرى: كالميزانية الخاصة، والشرطة المحلية، ومنصب المحافظ، وخطة تنموية خاصة، والجامعة، والمؤسسات المختلفة الأخرى الخ... ومن أجل تحاشي الخلافات المحتملة بين الأقليات المعنية المختلفة حول تداول المسؤوليات والمناصب، من الضروري وضع الاتفاقات في نصوص قانونية مكتوبة مسبقا، بموافقة تشريعية بين الأطراف المعنية المختلفة، وبتأييد السلطة التنفيذية الدستورية المركزية، لضمان شرعيتها وتطبيقه.

أما الطرح الثالث الذي كان قد أثار جدلا حاميا في الصحافة، وقد نادت به شخصيات مسيحية، وكان يتضمن انشاء منطقة حكم ذاتي للمسيحيين في سهل نينوى، على نموذج كردستان، ولكن تابع للدولة المركزية العراقية. هذا الحل، في ذهن حامليه، كان قمينا بأن يوفر الاستقلالية والأمان من دون أن يقطع الناس عن المواطنة العراقية وعن الجماعات الأخرى الشقيقة، ولبقي المسيحيون فيه عراقيين بصورة كاملة، مواطنين عراقيين مسيحيين. العيب الأساسي لهذا الطرح هو عبارة "الحكم الذاتي" التي أثارت وتثير الجدل، وتستفزّ الجيران العرب.

● *ولكن هذا الحل الأخير في منطقة مسيحية ذات حكم ذاتي على نمط كردستان العراق الحالي يبدو جذابا. ما رأيك؟*

لربما. ولكنه مخاطرة كبرى، اضافة الى كون المخاطرة غير مضمونة وغير عملية.

● *أية مخاطرة؟*

ان فكرة هذا الطرح، كما تناقلته وسائل الاعلام الرسمية، بدت للقسم الأكبر من الرأي العام العراقي المتتبع للمسالة كغطاء لربط هذه "المنطقة الذاتية" بسلطة كردستان. قد لا يكون هذا الاستنتاج فارغا من الصحة عندما نعلم أن لكردستان عينا على هذه البقعة التي تتوسط الموصل والجبل، ويطلق عليها بعض قادتهم اسم "المنطقة المتنازع عليها". هذا كاف للإحاطة بالاشكالية.

•أين وصلت اليوم قضية هذه المنطقة الذاتية المسيحية، أو المحافظة الخاصة؟

الى نقطة الصفر! لأن لا أحد من هذه "المشاريع" قد نوقش بصورة جدية وشاملة، لا من قبل مجلس النواب العراقي، ولا من قبل السلطة الكنسية المسيحية: أما هذه الأخيرة، فلم ترد أبدا أن تواجه الموضوع وجها لوجه، مع انه من الأهمية بمكان أن يجلس مسؤولونا الدينيون والمدنيون المسيحيون حول طاولة مباحثات. مرة أخرى نقول بأن قرار مستقبلنا لا ينبغي أن يصدر في العواصم الغربية، بل في العراق وعلى يد العراقيين. ان الكلمة الأخيرة يجب أن تكون للمسيحيين العراقيين العائشين في العراق، وليس للذين تركزوا في الغرب وينظرون الى الأمور من بعيد. فالقضية هي قضية مسيحيي العراق تحديدا وليس غيرهم.

•مرة أخرى تتهجم على الغرب!

ولكني أحب الغرب، وأحب ولعه بالديمقراطية! ولكوني شرقيا، أشعر بنفسي أقرب الى أخي العربي المسلم، مما الى أخي المسيحي الغربي. ولكني لا أنكر أن ثقافتي هي نصف غربية، وأن تركيبتي الفكرية المحلّلة هي الأخرى غربية. انني اقيّم الحرية الفكرية واحترام الفرد. ولكن هذه القيم التي يعترف بها الغرب، ليست هي ما يصدّره الينا. بل سمعت في أسفاري الى أوربا أو الى القارة الأميركية بأن الديمقراطية لا يمكن تطبيقها في العالم العربي.

•أليس ذلك صحيحا؟

ان الديمقراطية قيمة عامة، فهي ليست لا غربية ولا شرقية تخصيصا. وبرأيي لا تنحصر الديمقراطية بالأكثرية الانتخابية: ٥٠+١ ، بل هي في الأساس حق كل مواطن أن يُسمع صوته في مواقع القرارات التي تلزم بلده. عندما يكون جميع المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، ينبغي لكل مواطن يمتلك جنسية البلد الذي يعيش فيه، حتى لو انتمى الى أقلية عددية، ان ينعم بحق التصويت، وحق التعبير الحر عن رأيه، وأن يختار ديانته أو يغيرها، بحسب رغبته وقناعته، من دون أن يتعرض للاضطهاد أو للملاحقة القضائية.

•مع أن هناك تيارا إسلاميا يؤكد أن الديمقراطية نموذج غربي لا يصلح للتطبيق في بلادهم !

اذا كان صحيحا أن للديمقراطية أوجها عديدة، فمبادئها الأساسية هي واحدة. ان الذين ينفون ذلك هم أتباع التيارات المتشددة والمتطرفة، وليس المسلمين عموما. لنميّز. ان

الإسلام السلفي التكفيري آفة للإسلام ذاته اولا، ويعاني منه المسلمون كما نعاني نحن منه. ثمة مسلمون كثيرون يُقتلون يوميا في العراق، أمام تجاهل مرير لهذا الواقع، ومنهم رجال ونساء، وارباب عوائل، واخوة، وأبناء. الموت مأساة يومية لعدد من الأسر المسلمة، للزوجات، للأولاد. ان قتل كائن بشري هو ماساة بحدّ ذاته، أيا كان انتماؤه الديني، أو أية كانت هوية الضحية. القتل يستوجب الشجب ويدعو الى التساؤل دوما. لماذا؟ لقد قال لي يوما صديق مسلم من وجهاء الموصل: "عندما يقتل جندي أميركي، فاني أفكر ايضا بأن له أما، أو زوجة وأطفالا. هذا شيء صعب".

• بالتأكيد! ان للإسلام وجوها كثيرة وهو لا يتلخّص في السلفية. غير أن وصول أحزاب دينية إسلامية الى الحكم، في اعقاب الثورات العربية عام ٢٠١١، في المغرب وتونس ومصر، وفرض الشريعة الإسلامية في ليبيا كاساس للدستور.. كل هذا يثير مخاوف بين صفوف غير المسلمين في هذه البلاد...

ان هذه المخاوف في محلها. هل يمكنك أن تتخيّل ماذا يعني لغير المسلم أن يكون مرغما على العيش تحت شريعة دينية غير دينه، حتى لو كانت الشريعة الإسلامية؟ مثل هذه الممارسة القمعية ليست سوى دكتاتورية مقنعة. ان قواعد حياة مفروضة فرضا، ويشرف على تطبيقاتها أناس متعصبون متطرفون، يغتصبون الحريات الأساسية للرجل والمرأة، ويحشرون غير المسلم على مضض في خانة مواطن من الدرجة الثانية، مثل هذه الفكرة تخلق عندنا حساسية خاصة. لقد دعا مؤخّرا برلماني كويتي إسلامي متشدد الى هدم كل الكنائس في الكويت وعدم اعطاء الموافقة لبناء كنائس جديدة. كيف تريد أن نثق بمثل هذه الأنظمة ؟!

• هل تعتقد بقيام إسلام معتدل يقبل بمشاركة غير المسلمين في مسؤوليات الدولة، كالمسيحيين مثلا ؟

أعتقد امكانية ذلك! لقد لاحظت عبر التاريخ أن الدكتاتوريات ليس لها الكلمة الأخيرة! اننا نشهد تيارا متزايدا على شبكات الاتصال الاجتماعي من اصوات مثقفين مسلمين ومفكرين يدافعون عن فكرة المواطنة المشتركة، والعيش معا، والمشاركة في مراكز الحكم، والمساواة بين الجماعات الوطنية وبين الجنسين. ينبغي تشجيع هؤلاء الدعاة وتقييمهم. وعلى الغرب أن يهتم بالدفاع عن هؤلاء المصلحين المسلمين، ومدّ يد العون اليهم

بنشر افكارهم. في سينودس الأساقفة الكاثوليك الشرقيين المنعقد في روما في تشرين اول ٢٠١٠، كنت قد أكدت في مداخلتي على دعم هذا التيار المنفتح الى المواطنة المدنية والى سائر الديانات، والداعي الى تطوير شراكة إسلامية – مسيحية حقيقية.

●مع اننا عندما نستمع الى مسيحيي الشرق، لا نراهم جميعا يؤمنون بامكانية هذه الشراكة مع المسلمين.

قد يكون! وثمة أسباب لهذا الموقف. فلطالما تعرّض المسيحيون للغدر في سياق التاريخ! لطالما تعرضوا للابادة! أجل، انه ضرب من المراهنة أن يؤمن المرء بهذه الشراكة على ضوء ما يجري الآن حاليا. ولكنها مراهنة تستحق الاختبار. والا لوجب وضع حدّ لحضورنا في الشرق، ولكوننا أقلية، لا خيار لنا للصمود غير أفكارنا وقيمنا وتاريخنا.

●أفلا زال، اذن، للمسيحيين دور في الشرق؟

بالتأكيد! ان وجودنا اساسي لتطوير الأقطار العربية. فلا زالت مدارسنا ومؤسساتنا الجامعية، ومفكرونا وشبابنا ومثقفونا يمارسون اشعاعهم في هذا الشرق. لا زالت الأسر النافذة من المسلمين ترسل أولادها الى مؤسساتنا التربوية. ان في أيدينا مهمة المشاركة في توسيع ثقافة الحوار، وخلق فضاءات التلاقي، في سبيل بناء ديمقراطيات حقيقية، يدا بيد مع كل الطيبين والمستنيرين.

ان التجربة اللبنانية، على علاتها، لبنان حيث أعيش اليوم، تبرهن ليس فقط عن قدرة المسيحيين أن يتناغموا مع مواطنيهم المسلمين، بل تبرهن أيضا عن أن المسلمين مستعدون أن يمارسوا الشراكة معهم في خطوات فعلية. من الضروري جدا أن نسقط خطاب التفوق الديني، بصورة مطلقة. وللمسيحيين دعوة في أن يكونوا حقا خميرة للعمل معا".

●وأن يساعدوا في تطوير الإسلام؟

ان مشكلة المسلمين هي في عدم القاء نظرة نقدية على النصوص الدينية. القرآن يقرا قراءة حرفية، ويؤخذ المنظور اللاهوتي وحده بعين الاعتبار. "قال الله سبحانه وتعالى"!، وكفى.. فلا نقاش بعد، اذن! ويتّهم الفقهاء المسلمون الذين يحاولون دراسة نقدية أو تاريخية، أو انتروبولوجية للنصوص، يُتهمون بالكفر والخيانة، وتصدر بحقهم الفتاوى. والحال اني أعرف أن هناك مفكرين مسلمين يرغبون في معالجات مدنية وعقلانية للنصوص، مفكرين يودون ايقاف "الزمن اللاهوتي" للبدء في فحص النصوص على ضوء منطق العقل والتاريخ. ان المسيحيين الذين يمتلكون هذا التقليد التفسيري، يمكنهم أن يساعدوا اخوانهم المسلمين في

ذلك. معا وسوية نستطيع أن نشيّد دولا من المواطنين المتضامنين الشركاء، فيتخلصوا من سيطرة الذهنية القبلية والعشائرية والتكفيرية. هذا الأمل يغذيني ويدفعني الى الاستمرار في الرجاء، بالرغم من أن الطريق شائك.

●ألا تيأس، اذن ؟

لقد اجتزت فترات داكنة، وعرفت اوقاتا حرجة انعزلت فيها عن الآخرين كي لا أنقل اليهم يأسي. لقد عشت اياما طلبت فيها الى المسيح "أن يشعرني بأني محبوب"! ثم كنت أتجاوز المحنة اذ يعطيني الرب قوة وبابا للخروج من الأزمة. الصليب جزء من الوجود الانساني، وينبغي حمله واستئناف الطريق، مهما كلّف الأمر، في الايمان بتفوّق الحياة على الموت؛ الايمان بأن على المسيحيين والمسلمين أن يعيشوا معا على أرض العراق، اليوم وغدا، بالرغم من كل المآسي التي مرت بنا. نحن هنا منذ ٢٠٠٠ سنة. ولكي نستمر في الأيمان بأن الشراكة ممكنة، نناشد المسلمين أن يقبلونا نحن الذين سبقناهم في هذه الأرض، كما علينا نحن المسيحيين أن نقبلهم هم الذين يعيشون معنا على هذه الأرض منذ ١٤٠٠ سنة. في منطقة قره قوش، قريتي، حيث ولدت في سنة ١٩٣٨، وفي طفولتي، كان المسيحيون والمسلمون يلتقون ويتعايشون من دون اية مشكلة.

الفصل الثاني

قره قوش: موطن طفولتي ومرجعي

قره قوش، احدى مدن سهل نينوى في شمال العراق، تقع على بعد ٣٢ كم شرقي الموصل، و١٠ كم عن "حدود" كردستان. عندما زرناها لأول مرة عام ٢٠٠٣، حين قدمت أوائل القوات الدولية، كانت تعدّ ٢٠٠٠٠ نسمة. منهم ٩٢% سريان كاثوليك، و٨% من السريان الأرثوذكس وغيرهم. وفي سنة ٢٠١٠، عندما عدنا اليها، كان زهاء ١٠٠٠٠ مسيحي أو أكثر قد وفدوا اليها هربا من الاضطهادات في بغداد والموصل والبصرة، مضخّمين بذلك عدد سكانها. في غضون سبع سنوات تدهورت ظروف الحياة، والبيئة، وشبكة الطرق، والخدمات العامة فيها. الا أن الكنيسة حافظت على وقوف المواطنين على اقدامهم بفضل أنشطتها الإنسانية والاجتماعية المختلفة. خورنات جديدة، محطة اذاعة FM، بداية جامعة فتية، كلية ومعهد كهنوتي حديث للسريان الكاثوليك افتتح عام ٢٠٠٨، يعطي دروسا في اللغة السريانية، والفلسفة واللاهوت، وعلم الكتاب المقدس، وتاريخ المسيحية.

كانت قره قوش، عندما ولد المطران جرجس القس موسى في ٢٥ تشرين الأول ١٩٣٨، بسكانها الـ ٥٠٠٠، تعيش في وتيرة زراعية. "عيشة لا فائض فيها، ولكنها سعيدة"، كما يقول لنا رئيس الأساقفة، مضيفا:

قره قوش هي مسرح طفولتي، صورة أهلي، ذكريات مدرستي والعابي وأُولى صداقاتي. كان والدي بولص فلاحا، ووالدتي هلّو قابلة. لقد كانا أميين، ولكنهما يملكان حكمة كبيرة، طيبين ومنفتحين، مستعدين ابدا للاستقبال. رزق لوالديّ ١٤ ولدا، ولكن ١٠ منهم ماتوا في طفولة مبكرة، وبقي منهم ٤: أخي مارزينا وأختي الكبرى صوفية، وكلاهما متوفيان اليوم، و لم يبق في الحياة سوى اثنين: أختي اشبع، ٧٧سنة، وأنا. حتى اليوم، كلما عدت من أسفاري او من رسالتي اشعر بالحاجة الى العودة الى بلدتي، الى الحديث بلغتي السورث[١]. اني شديد التعلق بقره قوش- بغديدا. ففي اعماقي تبقى محفورة كلمة "ماثا" (قرية) بالسورث، هذه اللهجة المتفرعة من السريانية، مع ما تحمله الكلمة من النكهة العاطفية الأبدية.

- ***لقد قلت لنا في حديثك الأول عن "الشراكة المسيحية - الإسلامية"، هذه التسمية التي تبدو لك أقوى من عبارة "العيش المشترك"، أن المسيحيين والمسلمين كانوا، في زمن طفولتك، يتعايشون في منطقة قره قوش بلدتك، من دون أية صعوبة...***

كان أصدقائي الأولون مسلمين. لقد نُسجت هذه العلاقات عندما كنت أرافق والدتي اذ نتبع قطيع أغنامنا في فصل الربيع مع البدو الرحل. لقد طبعت هذه المرحلة حياتي بعمق وساهمت في صقل شخصيتي وأثّرت على حياتي في مرحلة البلوغ، كما أثّرت على نظرتي الى العالم والمجتمعات. في ذلك الزمان، لم نكن نقول عبارة "مسلم"، بل "بدوي" (بدوايا) للدلالة على العرب الذين يرعون أغنامنا. فأول صورة عن ذاتي في ذاكرتي هي صورة طفل يترعرع تحت الخيمة. لقد تواجدنا في ظروف جعلتنا نشعر بأننا ننتمي الى شعب واحد، والى ثقافة مماثلة، ونقبل التربية الأخلاقية ذاتها، ونواجه المشاكل الحياتية عينها. لم يكن

---

(١) السريانية: لهجة آرامية قريبة من الآرامية التي تكلم بها المسيح، والشائعة في منطقة الرها (جنوب شرقي تركيا)، وقد تبنتها الطقوس المختلفة للكنائس السريانية (الغربية والشرقية). وتنقسم السريانية المحكية اليوم الى لهجتين: غربية (O)، ويقال لها "طورويو" ويتكلمها السريان في طور عبدين (تركيا) وسوريا؛ وشرقية (A)، ويقال لها "السورث" ويتكلمها الكلدان والسريان والآشوريون في العراق وكردستان وفي بلاد الانتشار، وكذلك يهود كردستان (المستوطنون في اسرائيل بين ١٩٤٩ و١٩٥٢، وخاصة في القدس وتل أبيب، حيث لا زال ذكر العراق والثقافة الآرامية بينهم حيا جدا. فهناك حوالي ٢٠,٠٠٠ يهودي من اصل عراقي لا زالوا يتكلمون السورث، الى جانب العربية في حياتهم اليومية .

ثمة مسلمون يسكنون في قره قوش كمستوطنون، بل كان المسلمون الذي يرتادونها رعاة عابرين وعمالا زراعيين موسميين أو موظفي دولة، من العرب والأكراد واليزيديين والشبك، وكانت العلاقات متناغمة. لم تكن الديانة عائقا بيننا مطلقا، فلقد كنا نحترم قواعدهم وهم يحترمون قواعدنا.

لم يكن في قره قوش لا مطعم ولا فندق، وكان جيراننا المسلمون من القرى المجاورة يقصدون قره قوش للتسّوق، وكانوا يتوجهون الى أصحابهم المسيحيين لتناول طعامهم أو لايوائهم ليلا. ولم يكن والدي يتردد أبدا في استقبال غرباء من البدو أو النور (بفتح النون والواو) الجوالين، ويأويهم لقضاء ليلة دافئة في غرفة التنور، والتي كنا نستخدمها كمطبخ أيضا.

• هذه "الشراكة المسيحية - الإسلامية" الحقيقية في الأعوام ١٩٤٠ - ١٩٥٠، لماذا تبدو اليوم أكثر تعقيدا؟

كانت قره قوش في طفولتي قرية ريفية يسكنها فلاحون وذوو مهن حرفية ومربو ماشية. وكنا نعيش في نظام الاكتفاء الذاتي: نأكل مما ننتج، من دون الحاجة الى وساطة النقد. لقد كنا نعيش من منتوجات الأرض التي نفلحها مباشرة. وكان اسلوب المقايضة هو الراجح، والسيولة النقدية نادرة. أما عندنا في البيت، فكانت السيولة النقدية ناتجة عن بيع البيض الذي توفره دجاجاتنا، ولم يكن ثمة سلطة خارجية تستغلنا، أو تحشّدنا الواحد ضد الآخر. لم يكن ثمة مواقع وجاهية، ولا فروقات في السلّم الاجتماعي والمراتب، ولا شيء لزرع الفرقة بين الناس. ناهيك عن دور الكنيسة التوجيهي السلمي الذي يكاد يكون التوجيه الأوحد. لقد كنا جميعا نحذف في القارب نفسه. أما في المدن الكبرى، مثل الموصل وبغداد، فكانت العلاقات الاجتماعية والمهنية والتجارية تختلف تماما لخضوعها لقواعد المنافسة والرغبة في السيطرة، والغيرة تجاه الجار، واستنباط الوسائل لتجاوز الآخر في الثروة والجاه. لقد كان على كل المجموعات المسيحية والمسلمة واليزيدية والشبك في الأرياف أن تتعاون في ما بينها، في تضامن حياتي شبه الزامي.

• هل يرقى اهتمامك بتاريخ المكوّنات العراقية في المنطقة الشمالية وبلغاتها الى تلك السنين البعيدة؟

أجل، كنت أتمنى يوما أن أتناول بالبحث، في دراسة مقارنة جدية، تاريخ المكوّنات الاجتماعية والبشرية في منطقتي. ان هذه المجموعات العرقية والدينية تجسد حضارات وأديان ما بين النهرين ما قبل الإسلام وبعده، وقد تمثل بقايا فارس الزردشتية، وامبراطورية

العثمانيين، مثل: اليزيديين، والشبك، والكاكية أو الصارلي، والتركمان، اضافة الى الأقوام الآرامية – السريانية السابقة. اني اتذكر رجلا صارليا كبير السن، صديقا، كلما زارني يريني صورة العذراء مريم يحملها في محفظته دوما، ويردد: مريمانا نحبها. ثم يضيف: الله، ما هو؟ انه: أنا أحبك، وأنت تحبني! .. ترى هل قال يوحنا الإنجيلي غير ذلك: "الله محبة"! ان تاريخ منطقتنا يكشف عن حقائق مذهلة. لقد قرأت مؤخرا مقالا لعالم آثار مسلم يؤكد أنه اكتشف آثار اديرة مسيحية في العربية السعودية وكتابات بدوية تقرض الخمر والحب.

كما تستهويني اللهجات المستخدمة في العراق حتى اليوم . فنحن نتحدث في آن واحد باللغة العربية والسورث والسريانية الكتابية والأرمنية والكردية والتركمانية والفارسية، وبين هذه اللغات اقتباسات وتداخلات. لقد كان بالامكان أن تتعرض كل هذه اللغات للانقراض، ولكنها بقيت حية تقاوم الزمن. ان علم الألسن وجذور الكلمات تلقي علينا أسئلة هامة. هكذا مثلا كلمة "فلا" (بتضخيم اللام) في الكردية تعني "مسيحي". و"فلا" ما هي الا نطق عن الكلمة العربية "فلاح"، مما يعني أن المسيحيين في منطقتنا كانوا الفلاحين اصحاب الأرض التي يفلحونها ويستوطنونها. وهذا ما يشهد على الحضور المسيحي العريق في هذه الأرض. أرض كم أودّ أن أسألها، ولا أملّ من "سماعها"!

- ***كثيرا ما تذكر الأرض. هل لعبت الأرض دورا رئيسيا في حياتك ؟...***

أنا انسان ابن هذه الأرض، ابن فلاح حقا. لم يكن لوالدي وسيلة أخرى لمعيشتنا سوى حقله وقطيعه، تماما كما كان الأمر مع معظم سكان قره قوش الخمسة آلاف في زمن طفولتي. لقد كنا نعرف بعضنا البعض جميعا، وكان بوسعنا الاعتماد على بعضنا البعض. فلقد كانت قريتنا تتحوّل الى خلية نحل بدءا من شهر حزيران وحتى منتصف أيلول من كل عام. وكانت حياة الجميع متمحورة حول الحصاد وهاجس ادخال الغلال الى البيوت في أسرع وقت ممكن توجسا من الكوارث المحتملة، مثل الحريق أو السرقة أو حتى من شراهة قطعان الغنم التي تجوب الحقول المحصودة. لقد شاركت في مثل هذه الأعمال الزراعية في طفولتي.

لم تكن بعد آنذاك حاصدات آلية. فهذه التقنية لم تظهر عندنا الا في السبعينات. فلقد كان الحصاد يتم يدويا، وكانت الغلال تنقل على ظهور الحمير. وكانت الحصن والبقر علامة ثراء، وقليل من القره قوشيين كانوا يمتلكون مثلها نسبيا. وكان أهلي من هذا القليل. وكانت الحقول في أشهر الصيف ورشة عمل واسعة في عقار البلدة الذي يحيط بها الى عمق عشر كيلومترات أو أكثر أحيانا. أما درس الحنطة والشعير، فكان يتم بصورة جماعية في

البيادر المحيطة بالقرية، حيث تتعاون الأسر في العمل. وكان معظم الأنتاج يستهلك محليا، أما الفائض، اذا وجد، فينقل ويباع في مدينة الموصل. فبصفتي ابن فلاح، اذن، أبقى متعلقا جدا بالأرض. لقد كنت أرافق والدي في فصل الشتاء الى الحقول الخضراء لصيد الفئران التي تعبث بجذور الزرع. وكانت تقنية الصيد تتلخص في خنق الفئران بالدخان الذي نضخه في أنفاقهم الأرضية بواسطة منفاخ يدوي بعد غلق جميع المنافذ في الحقل بالطين. وكانت الحقول تتوشح في فصل الربيع بحلة مطرّزة بألف لون ولون. وفي ذاكرتي حتى الآن أسماء مئات الورود الحقلية أو الحشائش الموسمية المحلية، أو الجذور الصالحة للأكل، أو الحشرات المتنوعة، او الفراشات الطيارة. وأتذكر ايضا أني رأيت أرانب وغزلانا في هذه الحقول، حيث كنت أقود قطيع خرفاني الصغير مع رفاقي.

- ***لقد كان والداك أميين، وأسرتك متحدة، وإن غزيرة الأولاد، وسيطة الحال، ان لم نقل فقيرة. حياة قروية بدائية من دون بحبوحة، بعيدة عن المدن الكبرى. كيف نجحت في بناء شخصيتك فكريا، واصبحت رئيس اساقفة الموصل، متعدد اللغات، كاتبا، ومفكرا، وصحفيا، ومؤسس مجلة لها مكانتها في العراق؟***

أنا مدين بالكثير الى اخي الكبير مارزينا. لقد كان يكبرني بثماني عشرة سنة، وكان المتعلم الوحيد في الأسرة، وكان يمتلك مكتبة، ويحب المسرح والتمثيل. وكان شغوفا بالمعرفة بالرغم من قلة حظه في متابعة دراسته. بفضل مثاله اكتسبت الرغبة في الدراسة والمطالعة منذ صغري. فلقد اكتشف الأساتذة قابليات أخي في المدرسة الابتدائية وأرادوا أن يتابع دراسته في الموصل أو بغداد، ولكن أعمامي رفضوا ذلك، بحجة أن أخي سيصير "أفندي" أو "معلما" متعاليا وبعيدا عن عائلتنا، وخصوصا أنه سيتقاضى راتبا مضمونا ودسما نسبة الى ما يحصل عليه الفلاحون أمثالهم. علما بأن أسرة والدي وكذلك أعمامي الثلاثة واولادهم كانوا يعيشون، حينها، في دار واحدة ضيقة، قبل ان يبتني كل واحد داره الخاصة. لقد اردت اتّباع مثل أخي الكبير الذي كنت معجبا به. فلقد فهمت منذ أول يوم التحقت فيه بالمدرسة أن نمط حياتي سيتبدل وأن دروسي ستصبح الأساس لمستقبلي، أنا الذي كنت طفلا خجولا، ملتصقا بثوب والدتي دوما. فمارزينا ليس غريبا عن حي للتعلم منذ البداية.

- ***منذ صغرك فهمت أن الدراسة والقراءة ستغيران مسار حياتك، وستخرجانك من رتابة الأيام ... هل هذا ما تعنيه؟***

اذا ما قلَبَ يسوع حياتي راسا على عقب، فالمدرسة بنت شخصيتي فكريا، ورسّخت الأسس التي وضعها فيّ أخي مارزينا. لقد كنت تلميذا جيدا، لا ذكيا فوق العادة،

ولا مجدّا خارج المألوف. لقد كنت أحب الدرس والقراءة وكنت أحب التفكير والملاحظة. لقد أحببت الكلمات واللغات التي تنشيء العلاقات بين الناس، وتتيح تبادل الأفكار والمفاهيم، والتعبير عن المشاعر، مثل الألم والحب والفرح والرجاء. لقد فتنت دوما بهذا التواطؤ القائم بين هذا الثلاثي : الفكر والقلم والورقة: انها معجزة اللغة، أي التعبير. لقد كنت في حياتي محاطا بالكتب. ولطالما حرضت تلامذتي، في ما بعد، على القراءة، سواء عندما كنت مدرس اللغة الفرنسية في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل، أم في اكليريكية السريان الكاثوليك في لبنان في أوائل الستينات. و لم أحرّض على قراءة الكتب اللاهوتية والروحية، حسب، بل الفلسفية والنفسية والروايات والشعر أيضا. بوسعك أن تقول، اذا اردت، انا رجل الكلمة والقول المكتوب.

• *كلمنا عن مدرستك في قره قوش. في عام ١٩٤٥، عندما كنت في المرحلة الابتدائية، ماذا كانت تشبه هذه المدرسة ؟*

لم يكن في البلدة سوى مدرسة واحدة، وكانت للبنين فقط. كنا نقصد المدرسة في سن السابعة، وكنا نبدأ من الصف الأول صعودا، بعكس النظام الغربي. أما الفتيات فكنّ يذهبن الى مدرسة الراهبات الدومنيكيات التي تتوقف عند الصف الرابع، أي في الحادية عشرة من العمر. وكانت الفتيات اللواتي يرغبن المتابعة، وكنّ بعدد أصابع اليد الواحدة، يلتحقن بمدرسة البنين. غير أنهن كن يمكثن في قاعة الدرس أثناء الفرص، لئلا يختلطن في ألعاب الصبيان، وكنّ يتوقفن عن متابعة الدراسة نهائيا بعد السادس. و لم تحصل مدرسة الراهبات على الصف السادس الا في عام ١٩٥٨، فتمنكت البنات من متابعة الدراسة حتى ١٣- ١٤ سنة، ولكن ليس أبعد من ذلك. والا لكان عليهن متابعة الدراسة المتوسطة في الموصل، مما يعني استئجار غرفة في المدينة، واصطحاب شخص من الأهل للمرافقة والخدمة، و لم يكن ذلك متاحا سوى للصبيان، لأسباب اقتصادية واجتماعية ايضا. ولقد بقيت الحال على هذا المنوال حتى انشاء اول مدرسة متوسطة وثانوية مختلطة في قره قوش عام ١٩٥٩ . وقد بنيت هذه المدرسة على أكتاف السكان، وقدموها هبة للحكومة كي يرغموها على منحها الاجازة الرسمية!

• *باسيل عكولة كاتب مسيحي عراقي من مواليد شمال العراق مثلك، كتب في احدى رواياته التي تجري*

أحداثها في منطقتكم[٢]: "في مجتمع الذكور هذا، لم تكن المرأة سوى ظل. كانت (النساء) منذ مراهقتهنّ ينشّأن على الغاء كل خصوصية في شخصيتهنّ"، وغالبا ما كنّ يتزوجن في عمر مبكّر من أبناء عمومتهن. في زمن طفولتك لم تكن المجتمعات العربية، المسلمة والمسيحية، رقيقة تجاه النساء! فلقد بُترت طموحات كثيرات منهن، ومنعن من الارتقاء الى مراتب أعلى. هل لا يزال هذا الوضع قائما حتى اليوم ؟

لقد تغيّر المجتمع تماما. فالتعليم الابتدائي أصبح الزاميا لكلا الجنسين، و لم يعد للأميّة وجود في صفوف الجيل الجديد في العراق. وفي قره قوش وحدها هناك ثلاثون مدرسة، ومنذ ٢٠١١ لنا نواة جامعة دولة. في عام ٢٠١٠ كانت الفتيات يمثلن ٥٥% من مجموع الطلبة الجامعيين القره قوشيين في جامعة الموصل، الذين كان يربو عددهم على ١٢٠٠ طالب وطالبة. وهناك عدد متزايد من النساء يزاولن مهنا حرة في قره قوش: طبيبات، طبيبات أسنان، مهندسات، مدرسات، موظفات في المصارف، ممرضات. بل هناك نساء يدرن محلات تجارية في البلدة.

ولنا عدد متزايد من الفتيات يتابعن الدراسة في معهد الفنون الجميلة في الموصل، فيتخصصن في الموسيقى أو المسرح أو الرسم. كما اننا نملك فرقة للرقص الشعبي، مكونة من صبايا وصبيان، الى جانب جوقات مختلطة عديدة في الكنائس. أما في نطاق النشاط الرياضي، فلقره قوش فريقها النسوي في كرة القدم، والطائرة، والسلة...

أجل، لقد كانت الفتيات في السابق يتزوجن بحسب رغبة الأهل، وكان الوالدان يرتبان زواج أبنائهم وبناتهم. وكان الخطيبان يكادان لا يلتقيان الا في اطار الأسرة، لا خارجها. أما اليوم، فصار المخطوبون يتلاقون لوحدهم، سواء في نطاق المؤسسات والهيئات الشبابية أو الكنسية، أو في الكافتيريات التي ازداد عددها في قره قوش بفضل الوافدين اللاجئين من بغداد. أما أزياء الفتيات، فلا تختلف بشيء عن أزياء لندن أو باريس. والشارع الأفقي الذي يقسم البلدة الى قسمين من جهة الشمال، أصبح ملتقى الشبيبة عصر أيام الأحد قبيل المغيب. ولقره قوش ايضا مسبح عام يخصص أياما من الأسبوع للرجال، وأخرى للنساء.

---

(2) La Vigne du Serpent, *Basile Agoula,* Ed. du Cerf, Paris 2000
باسيل عكولة : كرم الرقطاء، باريس ٢٠٠٠، دار نشر سيرف

ان التطور السريع الذي طرأ لم يتم من دون صراع بين الأجيال، في العراق كما في سائر الأماكن، فالعراق ليس استثناء عن القاعدة العامة.

- ***في أية لغة كانت تعطى الدروس في المدارس؟ بلهجة السورث الدارجة أم بالعربية ؟***

كان التعليم يعطى بالعربية. فالمعلمون، وان كان معظمهم من المسيحيين الناطقين بالسريانية الدارجة، أي السورث، كانوا يتكلمون باللغة العربية مع تلامذتهم. فهذه هي اللغة الرسمية للدولة وهي تعدّهم للدخول في المجتمع العراقي الأوسع، لأن سورث المسيحيين كان ولا زال لغة عائلية تتداولها الجماعة المسيحية ضمن الأسرة وداخل المجتمعات المسيحية. أما العربية، فهي اللغة التي يستخدمها جميع المسيحيين العراقيين للتعبير العام والتعامل والتعلّم والكتابة والتأليف، اسوة بسائر العراقيين. غير أن اللغة السريانية استعادت مكانتها في هذه السنوات الأخيرة كعلامة سياسية – ثقافية لهويتنا، لا بل قد صارت تُعلَّم وتعطى الدروس المدنية فيها في بعض مدارس كردستان والمناطق ذات الأكثرية المسيحية في محافظة نينوى. كما ان مقالات صحفية وبرامج تلفزيونية أو اذاعية ومسرحيات صارت تلقى باللغة السريانية. غير أن اللغة العربية تبقى اللغة السائدة والرسمية.

الفصل الثالث

ديانة دائمة الحضور

يصعب على الغربيين الذين نشأوا على نظام علماني، وغالبا ما في اللامبالاة الدينية، أن يفهموا أي دور يلعب الدين في المجتمعات العربية. والعراق لا يشذّ عن القاعدة. فسواء انتمى المرء الى الإسلام أو المسيحية، أو الى أقلية دينية أو ديمغرافية أخرى، يحتل الايمان المساحة كلها، والالحاد شيء غير وارد ومرفوض. العلمانية موضوع شك. والله، والمسجد، والكنيسة، والامام، والكاهن هم بمثابة علامات دالّة متأصّلة في الحياة اليومية في الشرق. هلى ترى نرى في ذلك أحد أسباب الحيطة وعدم الفهم السائدين في العلاقات بين شاطئي المتوسط ؟

اننا لنذكر الاستغراب الذي اعترى المطران جرجس القس موسى ابّان التجمع العالمي للشبيبة في مدريد عام ٢٠١١ من رؤية مظاهرات مناوئة أثيرت في اسبانيا وقتها باسم العلمانية، ضد مساهمة الحكومة الاسبانية في تكاليف هذا التجمع الشبابي المسيحي العالمي. وكان الأمر ذاته قد حدث في يوم الشباب العالمي في فرنسا سنة ١٩٩٧ مما جعل المطران جرجس يسرّ الينا في أحد الأحاديث: "لقد بكيت من ذلك في حينه". وما القول أيضا عن استياء هؤلاء الكهنة والأساقفة الشرقيين من أوربا اذ رفض قسم من مواطنيها الاعتراف بالجذور المسيحية لقارتهم؟!

ان رئيس اساقفة الموصل يشعر بضرورة التغيير بالرغم من بقائه امينا لايمان طفولته. فالتطور في الأفكار والأساليب أمر يتوق اليه بكل جوانحه: "ان الجيل الجديد اليوم من مسيحيي العراق لم يعد مطواعا كالسابق. انه بحاجة الى رعاة جدد، وليس فقط الى موزعي خدمات دينية" على حدّ قوله.

• الشرق يستنشق رحيق الايمان في دقائق حياته اليومية، وقره قوش وسهل نينوى لا يشذان عن القاعدة. لقد كلمتنا عن سبع كنائس تحيط بمدينتك عندما كنت طفلا ...

كانت سبع كنائس الى عام ٢٠٠٨. أما الآن، وبالرغم من الحروب وضروب العوز التي تضرب بلادنا منذ ١٩٨٠، فالبلدة تملك تسع كنائس. ان شعب قره قوش شعب مؤمن جدا، وتسير وتيرة ايامه على ايقاع الأعياد الدينية، كعيد الميلاد وعيد السعانين وعيد القيامة.

عيد الميلاد يبتدىء منذ العشية مع شعلة الرعاة عصرا في أفنية كنائسنا، حيث تحتشد جماهير المؤمنين.

أحد السعانين مهرجان شعبي حقيقي: فالاكليروس والأسقف في المقدمة، مع الشمامسة والأخويات والأطفال والصبايا والشباب وجماهير المؤمنين يشكلون موكبا واسعا زاهي الألوان. تخترق الجماهير الشوارع الحلقية للمدينة، وراء الصليب التاريخي الفضي المزخرف الذي تحتفظ به باعتزاز، محاطا بأغصان الزيتون، والشمامسة يرتلون الأناشيد الطقسية على ايقاع الصنوج. ويرتل الكاهن، أو المطران، انجيل دخول يسوع الى أورشليم من أعلى سطح كنيسة مار يوحنا. ثلاث ساعات من هتافات الفرح، والصلوات، والسعادة، واللقاءات. وشباب البلدة يأتون من بعيد ليشاركوا في هذا الاحتفال.

الموسم الثالث هو قداس عيد الفصح الذي كان يحتفل به في السابق في منتصف الليل. والكنائس الثمان لم تعد تكفي اليوم لاستقبال جماهير المؤمنين، لذا تقام خيم واسعة في جبهات الكنائس الخارجية لمتابعة احتفالات القيامة على شاشات عملاقة.

وتعتبر قره قوش أيضا منبعا للدعوات الرهبانية والكهنوتية؛ فلقد بني فيها معهد كهنوتي عام ٢٠٠٨. وتعمل فيها ست جمعيات رهبانية، نسائية ورجالية، ومنها الآباء الدومنيكان واخوة يسوع الفادي- وهؤلاء "الاخوة" جماعة رهبانية فتية نشطة ذات حق أبرشي. لقد أصبحت بلدتنا اليوم أهم مركز في أبرشية الموصل، ولربما في عموم الكنيسة السريانية الكاثوليكية في العالم. ولكني مع ذلك، أشعر بأن الجيل الجديد بحاجة الى رعاة جدد أكثر عمقا وتجددا، يتحدثون اللغة الرقمية المعاصرة، ويدركون ذهنية عالم دائم الحركة ويفهمون تقليعاته، الى جانب قناعات ايمانية تغذي الأجيال وتنقل الجبال . بكلمة واحدة، انهم بحاجة الى مبشرين حقيقيين تحركهم الغيرة الرسولية وتغذيهم روحانية انجيلية عميقة، والا غرقوا في متاهات العصر المذهلة. لم يعد الشباب يرضون بكهنة يكتفون بتوزيع الخدمات الدينية وحسب.

- ***هل ترى أن النسيان قد طوى "انفصال" الكنيسة السريانية: من جهة، الكاثوليك الذين انضمّوا الى روما في القرن ١٨، ومن الجهة الأخرى الأرثوذكس (أو اليعاقبة) الذين احتفظوا باستقلاليتهم؟***

بالنسبة لنا اليوم لا توجد الا كنيسة سريانية واحدة بجناحين: كاثوليكي وأرثوذكسي. ان كلمة "اليعاقبة" التي استخدمتها لوصف السريان الأرثوذكس لم تعد مقبولة. بيد اننا لا نستطيع انكار التاريخ، حيث رافقت عبور قسم من مؤمنينا الى الكثلكة بعض المعاكسات والعنف. غير أن ذلك أصبح حدثا مؤسفا من الماضي.

لقد مرّ قرنان ونيف على ذلك، وأصبحت العلاقات اليوم ممتازة. الزيجات المختلطة لم تعد تحصى، فابنة أختي ذاتها، مثلا، قد تزوجت من شقيق كاهن سرياني أرثوذكسي. وفي أثناء زيارتي الراعوية السنوية لقره قوش، وكانت تتم في فترة الصوم الكبير، كنت احتفل بالقداس الحبري في كنيسة السريان الأرثوذكس يوم الأحد.

لم يفقد السريان الكاثوليك شيئا من خصوصيتهم باتحادهم مع البابا، بل بالعكس، تعلموا كثيرا واغتنوا ثقافيا وفكريا. ان بنية كنيستنا تبقى بطريركية، حتى لو صار الاعتراف بالبابا كرئيس للكنيسة الجامعة؛ والسينودس، أي مجلس أساقفتنا، هو الذي ينتخب مطارنة أبرشياتنا السريانية، حتى لو تطلب ذلك تثبيت البابا. أما انتخاب البطريرك، فلا يحتاج الى هذا التثبيت، انما هناك شركة في الايمان مع بابا روما يعبِّر عنها بكتاب رسمي من السينودس الناخب الى قداسة البابا يخبره بنتيجة الانتخاب، وبقداس مشترك بين البطريرك الجديد والأب الأقدس أو ممثله.

- ***لقد قلت لنا اذ كنا نتناول طعام الفطور في المعهد الكهنوتي السرياني الكاثوليكي في قره قوش، في أحد صباحات شهر آذار من عام ٢٠١١: "قرية كرمليس الكلدانية هي على بعد كيلومترين فقط من هنا، وسكانها مسيحيون متحدون بروما مثلنا، ولكنهم لا يتكلمون لهجتنا ذاتها، وتختلف طقوسهم الكنسية عن طقوسنا..." . فكيف يمكن التفكير "بعيش مشترك" مع المسلمين، اذا كانت الكنائس نفسها تتكلم لغة مختلفة وتنغلق على خصوصياتها المختلفة؟***

ان الاختلاف الطقسي او الاداري ليس عائقا لوحدتنا. هل، ترى، يلزمنا توحيد جميع قوانيننا ولهجات كنائسنا كي يتم الاعتراف بوحدتنا؟ ان الوحدة تمر قبل كل شيء

بوحدة الايمان، وبتنسيق العمل، وبالتنشئة والاعلام الموحدين والمنسجمين. فالتنوع غنى، ولا ينبغي أن تصير الخصوصيات عائقا لوحدة المسيحيين. اننا نتكلم السورث ذاته في قره قوش وفي كرمليس، ولكن بلهجات مختلفة بعض الشيء، وهذه ظاهرة ثقافية اجتماعية طبيعية. كرمليس بلدة كلدانية، ولكنها كاثوليكية مثلنا. وللكنيسة الكلدانية مسيرتها التاريخية الخاصة، وكذلك الكنيسة السريانية. ولكن كم من السمات المشتركة بيننا، لاسيما في الليتورجيا ونصوص الآباء! انه تاريخ مشترك ومتواز. ولكن، في بلد مثل العراق، حيث تتجاور عدة جماعات كنسية، لا بد من تخطيط راعوي يتقرّر بشكل مشترك، كما أن وضع ستراتيجية خاصة للعلاقات مع الدولة ومع جيراننا المسلمين ضرورة ملحة، اذا ما أريد لهذين التخطيط والستراتيجية أن يكونا فاعلين. ان هذه المسألة عزيزة على قلبنا جدا. لذا يجب مساندة مجلس مطارنة العراق، الكاثوليك والأرثوذكس، في هذا المضمار. ان وحدة الرؤية والعمل المشترك هما أكثر ضرورة والحاحا من أي وقت مضى لصالح حضورنا المسيحي، تجاه جيراننا الذين يشكلون الأكثرية وتجاه السلطات الحاكمة، لاسيما عندما تكون علاقاتنا دقيقة وحرجة. اننا لا نبحث عن قوة اضافية "ضدّ أحد"، بل عن قاعدة فكرية مشتركة للتعامل مع الواقع بصورة أفضل، ولتحليل الاحداث، والدفاع عن حقوق المسيحيين في العراق ومحلهم من الاعراب.

ايمان هو هوية

• لقد أصبح الأوربيون لا أباليين، لذا يصعب عليهم فهم هذا الايمان الشرقي. بل ينظرون اليه وكأنه متعلّق بالهوية والانتماء القومي، ان لم نقل مشوبا بالرفض...

في جو الأقليات الذي نعيشه، وفي بيئة غالبا ما تكون ضاغطة ، وحين تحيط بنا التناقضات، ونتعرّض باستمرار لتهديدات المتطرفين الدينيين، يمثل ايماننا المسيحي لنا قوة رجاء نتعلّق به بشدة. ان انتماءنا المسيحي هو بالنسبة لنا مثل نقطة دالّة وهوية مرجعية. وتأتي الممارسة الدينية في القرية، من الناحية الاجتماعية، كضرب من ضروب التعبير عن الشخصية الذاتية، وكوجه من أوجه التأكيد على موقع المرء في المجتمع، اضافة الى وظيفتها الايمانية. أشياء كثيرة تغيّرت في بداية هذا القرن الحادي والعشرين مع شبكات التلفزيون العالمية، والأنترنت، والتويتر، والفيسبوك، والتلفون النقال المتعدد الوظائف، وقنوات

التواصل الاجتماعي المختلفة الخ... . ان هذه التقنيات المتقدمة التي تساعد على الآتصال السريع بالعالم في غضون لحظات، تحرر الأجيال الجديدة.

ان الدين في العراق لا يشذ عن قاعدة هذا التحوّل الكوني، فالعقليات تتبدّل. لم يعد الشباب والفتيات في أبرشياتنا مطواعين تجاه رؤسائهم الكنسيين كالسابق: انهم يُسائلوننا وينتقدوننا. والشباب المسيحيون اليوم يطالبون كهنتهم، أكثر فأكثر، بأن يكونوا أقرب اليهم، وأكثر انفتاحا على العالم، وأعمق روحانية. انهم لم يعودوا ينقادون دينيا مغمضي الأعين، حتى وان بقي إيمانهم يقظا.

● اذا كان الانتماء الديني مؤشرا الى الهوية الذاتية للعراقيين والشرقيين عموما، فهل تحدّد هويتك بأنك مسيحي وسرياني قبل أن تكون عراقيا ؟

يجد الغربيون دوما صعوبة في تحديد طبيعة هويتنا. فبالنسبة لنا، تشير هذه التسميات الى حقائق تاريخية واجتماعية في هويتنا. فمن حيث المواطنة، أنا عراقي أولا، ثم مسيحي، ثم سرياني (أو كلداني أو آشوري). أما من حيث الديانة، فأنا مسيحي، ثم عراقي، ثم سرياني (أو كلداني أو آشوري). وبالنسبة الى جماعتي الكنسية، فأنا سرياني كاثوليكي (أو أرثوذكسي أو كلداني أو آشوري).

● أجل، كما قلت، من حق الغربيين أن يضيعوا في هذه التسميات. هل بوسعك تبسيط ما قلته ؟

اقول بوضوح: أنا عراقي مسيحي. وكوني عراقي يوحّدني مع سائر مواطنيّ العراقيين. وكوني مسيحي يوحّدني مع سائر اخوتي مسيحيي العراق الذين اقاسمهم المصير ذاته. في الجواب اعلاه وضعت العبارات الدالّة الى الانتماء الكنسي أو الطائفي بين قوسين، للدلالة الى نسبيته مقارنة بالمواطنة العراقية، من دون اهمال هذا الانتماء أو الانتقاص من أهميته. فبالنسبة لي لا أرى أي تناقض بين هذه الانتماءات المختلفة المستويات والطبيعة. أما الخلاف والتناقض، فيظهر متى ما أعطينا المطلقية لأحد هذه الانتماءات على حساب الآخر، أو أنكرنا احداها لحساب الآخر.

أنا ابن لوالدي ووالدتي، في ذات الوقت الذي أنا ابن كنيستي ووطني. هل يوجد تناقض بين ان يكون المرء فرنسيا وكاثوليكيا؟ لقد قرأت قبل أيام هذه اللافتة في مظاهرة جرت في شوارع باريس: الجمهورية علمانية، وفرنسا كاثوليكية. برأيي لا تناقض بين العبارتين. ولكن اذا بلغ الأمر الى نكران حق أن يكون المواطن كاثوليكيا وفرنسيا، باسم العلمانية، فسيعني ذلك نكرانا لحق المواطنة والحرية.

•انك تحـــدد هويتـــك، اذن، في أنـــك عراقـــي أولا، ثم مسيحي.هل هذا ما فهمناه؟

في ما يخص الانتماء الوطني، أنا عراقي. ومن هذا المنطلق يجب أن أحظى بالمعاملـــة ذاتها كسائر المواطنين في هذا البلد، وأتمتع بالحقوق عينها، من دون تمييـــز في الجـــنس، أو القومية، أو الدين، أو المذهب.

• في المناطق المسيحية من العراق، طالما سمعنا هذا التأكيد: "نحن لسنا أكرادا ولا عربـــاً، نحـــن كلـــدان ســـريان آشوريون".

ان آفة العراق اليوم هي اعطاء الأولوية للطائفة المذهبية أو للشريحة القومية (شيعة، سنّة، شـــبك، سريان، كلدان، آشوريون، عرب، أكراد، تركمان، أرمن الخ...) على حساب المواطنة. اني أرى في ذلـــك تغييبا للبعد الوطني الموحّد (بكسر الحاء)، مما يترجم على أرض الواقع بالاغتراب الـــوطني وبطمـــس هيبـــة الدولة. من دون دولة لا وجود للمواطنة، بل يكون المواطنون مجرد مجموعات طائفية متجـــاورة متوازيـــة، كخطّي القطار لا يلتقيان.

أما ردّة فعل المسيحيين في اثبات هويتهم الخاصة في هذا البحر المتلاطم، فهي ناجمة عن مـــواطن التمييز التي تنالهم. اننا نشعر بأن القرارات الوطنية تُتَّخذ من دون أخذنا بعين الأعتبار، الى حدّ ما، وبأننـــا لا نُعتبر شركاء كاملين في الوطن. بسبب ذلك ينطوي الكثيرون على طائفتهم، مما يشعرهم بالأمان، وهـــذا هو شأن معظم الأقليات، عراقية كانت أم غير عراقية.

•أليست الهوية الدينية البارزة جدا في البلاد العربية عائقـــا أمام مفهوم المواطنة ؟

ما كان يلزم أن يكون الأمر كذلك! ولكننا لا يمكننا انكاره. اننا أمام تحدّ حقيقي. مع أن قمة جبل الثلج الذي تسمونه في الغرب "الربيع العربي" لا يدعو الى الاطمئنان بالنسبة الى الأقليات غير المسلمة التي تعيش في هذه البلاد الثائرة حديثا.

•أفتكون المواطنة العربية سرابا؟

انها بالأحرى تحدّ! لقد برهن لنا التاريخ في القرنين التاسع عشر والعشرين أنه ليس مستحيلا أن نتصور امكانية عيش الانتماء الديني بتناغم مع مواطنة حقيقية، حتى بالنسبة الى

الأقليات. لقد حاولت بعض الأيديولوجيات أو الأنظمة السياسية بناء مجتمعات مدنية تعطي الأولوية للمواطنة. وهنا نفكر بكل هذا التيار العلماني الذي يحترم الدين، ولكنه لا ينقاد اليه: انظروا بلدا قريبا منكم مثل تونس، حيث أقام بورقيبة علمانية متعاطفة منفتحة. وفي تركيا فعل كذلك مصطفى كمال غداة الحرب العالمية الأولى، ولكن بوسائل أكثر صلابة. وبعد الحرب العالمية الثانية وضع البعث العلماني في العراق وسوريا الديانة (الإسلامية) ضمن الأمة (العربية)، وليس العكس. كما ألهمت الأيديولوجيات الماركسية نماذج متشابهة.

من جانب آخر، من المفيد أن نعرف أن مؤسسي البعث والتيارات الماركسية ينتمون الى الأقليات المحرومة والتائقة الى ايجاد موضع لها تحت الشمس. حزب الوفد المصري الشهير نفسه، الذي عمل من أجل التحرير والاستقلال من العثمانيين في مصر، كان مؤسسه مسيحيا. ولقد حظيت الأقليات، ومنها المسيحيون واليهود، تحت الأنظمة التقليدية الأخرى نفسها، بحق المواطنة، واذا ما اقتطعت عنهم بعض الحقوق، فحق المواطنة ذاته لم يوضع موضع الشك. اذن، ليست الهوية الدينية بحدّ ذاتها عائقا للمواطنة.

• ولكنها كذلك في الواقع!

يشكل الإسلام في بلادنا العربية الأكثرية الساحقة، و لم يتوصل أتباع هذه الديانة الى فصل الدين عن الدولة. في الإسلام، شريعة الله لاتناقش، كل شيء مرتبط ارتباطا غير منفصم بالله: الحياة ونظام البشرية، ومحمد هو خاتم النبيين، والناقل النهائي للرسالة الإلهية، و"للديانة الأكمل"، ولا شيء يضاهي أحكامه! ولكن فرض ايديولوجية هذه الديانة وشريعتها بالقوة على مؤمني الديانات الأخرى لا يقود، مع الأسف، سوى الى الاستبداد بها. هناك مفاهيم كثيرة يجب أن تخضع للمراجعة، والنصوص الدينية ينبغي التوصل الى مناقشتها.

لا شيء أسوأ من الدكتاتورية الدينية، ولا أسوأ من الحروب الدينية، كما انه لا أسوأ ممن يدّعي انه "ظل الله على الأرض". لقد برهن التاريخ عن ذلك مرارا وتكرارا!

• هل تبقى متفائلا رغم كل ذلك؟

اني أراهن على الحب وعلى العقل. ان العمل على بناء دول مدنية في العالم العربي، دول تحترم جميع المواطنين على مسافة واحدة، هذا الهدف يمثل مشروعا أوليا للمسيحيين والمسلمين على حدّ سواء. اننا نشاهد بزوغ تيار مدني من المسلمين الرافضين هيمنة العقل الديني السلفي، تيار ما هو الا صدى لطبقة واسعة من الصامتين. ان هذا التيار العصري المدني لم يعد يستبعد الحديث عن ضرورة الفصل بين الدين والدولة، بالرغم من الموجة السلفية المتصاعدة.

الفصل الرابع

معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل[٣]

سنوات المعهد الكهنوتي

بمناسبة عيد مار بهنام شفيع قره قوش، في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨، يقصد جرجس القس موسى، وهو في سن الحادية عشرة، دير مار بهنام الشهيد سيرا على الأقدام مع أهله. وفي الليلة التي يقضيها هناك يلمح مساء، في عطفة رواق، بابا نصف مفتوح، ويرى في الداخل صبيا بعمره من تلامذة الدير يتحدث في حلقة من الكبار الملتفين حوله. يودّ الفتى جرجس لو استمع اليه أهله بالانتباه ذاته. تحت هذا التأثير يسجل في العام التالي اسمه كتلميذ في المدرسة الكهنوتية التمهيدية في دير مار بهنام، حيث يدرس لمدة سنتين. "لقد كنا سعداء"، كما يقول. وبينما يترك الدير كثير من زملائه، بسبب النظام والحياة القشفة في الدير، يستذوق هو طعم الحياة الجماعية، وحياة الزمالة، والعلاقات الأخوية. وبعد سنتين يجتاز الامتحان فيقبل تلميذا في معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي بالموصل، حيث يقضي احدى عشرة سنة.

في هذا الفصل الرابع يذكر المطران جرجس القس موسى المعلمين الكبيرين اللذين قادا حياته الروحية: القديسة تريزيا الطفل يسوع والأب شارل دي فوكو. كما انه يبوح لنا بكل ما هو مدين به الى الآباء الدومنيكان الذين بنوا شخصيته وصاغوا فكره. لقد أُغلق اليوم هذا المعهد الأكليريكي الذي درس فيه، وأصبحت الموصل، منار الفكر المسيحي العراقي، اليوم عرضة لشراذم الإرهاب.

---

(٣) تاسس معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل سنة ١٨٧٨، وكان مركزا كبيرا للتنشئة الكهنوتية للاكليروس الكلداني والسرياني، تحت ادارة الاباء الدومنيكان الفرنسيين. ففي غضون نحو مئة سنة تخرج فيه عدد كبير من الكهنة والأساقفة وحتى من البطاركة للكنيستين الشقيقتين. ويذكر الصحفي جوزيف اليشوران انه التقى في صيف ١٩٧٣ في الموصل بآخر مدير لهذا المعهد، وهو الأب ماري – جوزيف أومي. وكان هذا اللقاء بضعة أسابيع قبل مغادرته الى فرنسا وقد وصلها في ٣ آب ١٩٧٣، برفقة عمه الخوراسقف فرنسيس اليشوران (١٩٢٨ – ١٩٧٣) الذي تعين نائبا بطريركيا للكلدان في فرنسا، بعد أن كان كاهن رعية دهوك (كردستان العراق) من حزيران ١٩٥٤ – تموز ١٩٧٣.

• لقد أتينا على ذكر دور الكنائس والديانة. هل كان شبابك مفعما بالايمان؟

كنت مثل سائر الشباب العراقيين. للكنائس عندنا دور اجتماعي، تربوي، وثقافي. والكنائس هي مواضع حقيقية للحياة، حيث لا يأتي الناس للصلاة فقط، بل للالتقاء أيضا. الدين يسكن في قلب كل واحد منا، والكاهن ينضوي في هذا الواقع اليومي بصورة عفوية. فمراكز خورناتنا هي مراكزنا الثقافية، وفيها أيضا صالاتنا المسرحية للعروض المختلفة.

لقد كان الكاهن، "أبونا"، في طفولتي، واليوم أيضا، يجسّد السلطة الأدبية، ولقد كان رجلا معروفا ومسموعا، ويقصدونه لطلب المشورة، وتعتبر مواقفه ذات ثقل في المجتمع. وكان بعض الكهنة متزوجين، وغيرهم لا.

ان البيئة الدينية تغمرنا، وهي محفورة في كياننا، وهي التي تصوغنا.

• هل كنت ولدا تقيا ؟

كلا، ليس كثيرا. في البيت كان والدي يقود الصلاة الجماعية مساء في الصيف على السطح. كنت مرن الطباع، مطيعا، ومزاولا طقوس العبادة، ولكن من دون اندفاع متميّز. لم أرغب قط في خدمة المذبح بلبس الثوب الأبيض كالأطفال الشمامسة. فلقد أخفق عمي الشماس في إلحاقي بتلامذة الحي الذين كانوا يتعلمون اللغة السريانية وخدمة القداس عنده. عندما دخلت المدرسة الكهنوتية التمهيدية لم أكن أعرف من الصلوات سوى "السلام عليك" ونصف "ابانا الذي".

في المعهد الكهنوتي – قسم الصغار، كنت طالبا اعتياديا، لا أكثر ولا اقل، وكنت أستذوق الدراسة. لقد كنت مؤمنا، ولكن من دون أن أشعر حقا بايمان خارق. ولكن كل شيء تغيّر فيّ عندما اكتشفت صدفة حياة القديسة تريزيا الطفل يسوع في ٢ حزيران ١٩٥٣. لقد بقي هذا التاريخ محفورا في ذاكرتي، واني أستذكره كل سنة كيوم اهتدائي. كان عمري ١٥ سنة، وكنت طالبا في السنة الثالثة من قسم الصغار عندما أعار لي جاري في الصف كتاب حياة القديسة. لقد قلَبت قراءته كل موازيني. وعندما أغلقت الكتاب، علمت في أي اتجاه سيكون طريقي منذ الآن فصاعدا. ولما لم يكن لي النقود الكافية لشراء نسخة من الكتاب، استنسخته كله بخطّ يدي في غمرة حماسي. وبعد ذلك بفترة وجيزة اكتشفت شارل دي فوكو، هذا المعلم الروحي الآخر لحياتي. وهكذا، بدأت دراستي في صف الفلسفة في المعهد الكهنوتي – قسم الكبار في الموصل: متوجها بأبصاري كليا نحو المسيح، بفضل مثال القديسة تريزيا والأب دي فوكو.

● هذا الايمان لم يغادر قلبك ابدا ؟

ككل انسان، مررت بأوقات شكّ. ففي سنّ الثامنة عشرة خصوصا تساءلت حول وجود الله والحياة الأخرى. ولكن ذلك لم يدم طويلا، لأني بعد بحث، لم أجد أفضل من المسيح، لا في لقاءاتي، ولا في قراءاتي، وهو يبقى لي حتى الآن المثال الذي يجتذبني. انه ايمان بسيط ببساطة الطفل الذي يلقي بنفسه في الفراغ باتجاه ذراعي ابيه، عالما أن أباه لن يدع السوء يناله، وبأنه سيخلّصه لا محالة.

● في معهد مار يوحنا الكهنوتي في الموصل للآباء الدومنيكان،هل كانت التنشئة ممتازة، ومعترف بها...؟

لقد كنا محظوظين جدا في نيل تعليم متكامل، ليس دينيا فحسب، بل علميا أيضا. وكان يعطيه أساتذة ذوو كفاءة عالية، يعرفون كيف ينمون فينا الروح النقدية ويغذون شهيتنا العلمية. اقول بايجاز: كان مستوى دراستنا ممتازا. والجدير بالذكر أن المدارس المسيحية في البلاد العربية تبقى حتى اليوم مؤسسات متميزة.

لقد كنت ألتهم الكتب، ومن كل نوع: الأبحاث الفلسفية، كتب رواد الحياة الروحية، أدباء الأدب العربي الكبار، الروايات الفرنسية التربوية . وكنا، أنا وزميل لي في الدراسة، قد وضعنا لنا خطّة للقراءة: نقرا الكتب الفرنسية في اثناء السنة الدراسية، والكتب العربية في العطلة الصيفية، وذلك لكي نمتلك ناصية اللغتين. ولقد تعلمت الطباعة على الآلة الكاتبة لحفظ نقاط مطالعاتي الشخصية.

كنت أدع كتبي ودروسي جانبا أيضا أحيانا، لافساح المجال للأنشطة الرسولية والالتزام بها، مما يتيح لي التواصل مع الحياة الخارجية، والبقاء على صلة مع شباب قره قوش الذين أنشأنا لهم صيغة من صيغ الرسالة العلمانية. وفي العطلة الصيفية كنت أهتم مباشرة بتنسيق الأنشطة الرسولية للشباب والفتيات في قره قوش. كم أحببت هذه السنوات الاحدى عشرة التي قضيتها في معهد مار يوحنا الحبيب!

● مع أن الحياة في الخمسينات كانت قاسية!

في سنة ١٩٥١ كان عمري ١٣ عاما. نجحت في امتحان القبول والتحقت بالمعهد الكهنوتي في الموصل حيث مكثت خمس سنوات في قسم الصغار وست سنوات في قسم الكبار. لقد كنا ٢٧ تلميذا في الصف، ٢١ كلدانيا، و٦ سريان. ثمانية فقط من هذا العدد أصبحوا كهنة، أما الآخرون فقد أعيدوا الى عوائلهم، سواء لأنهم حُسبوا غير مؤهلين، أو

ضعيفي الصحة، وغيرهم تركوا هم أنفسهم أثناء الطريق. لا شك أن الظروف كانت صعبة جدا في المعهد: مثل غياب التدفئة، مع أن الشتاء قارس في شمال العراق، النوم ٤٠ شخصا في صالة نوم كبيرة مفتوحة. ولكن التغذية كانت كافية وأفضل بكثير مما في عوائلنا ذاتها. وكان اساتذتنا الرهبان الفرنسيون يعطونا المثال بمشاركتنا ظروف حياتنا، والطعام ذاته، والحياة القشفة نفسها. وكان مديرنا ينام في غرفة صغيرة، واذا لم يكن يهادن مع النظام، فقد كان يحبنا، وكان بابه مشرعا دوما لاستقبالنا كي نعرض عليه مشاكلنا وصعوباتنا.

ولكني أعترف بأن ما كان ينقصنا في المعهد هو التنشئة النظرية على التراث الآبائي الشرقي، ودراسة اللغة الانكليزية التي تعلمتها في ما بعد. أما اللغة المدللة في المعهد، فمن الطبيعي أن تكون الفرنسية. وكذلك اللاتينية التي كانت ستساعدنا على قراءة نصوص مار توما الأكويني، كما كان يقول لنا أساتذتنا! مهما يكن، فاللاتينية فتحت لنا الأبواب لتعلم اللغات الأوربية الأخرى. أما دراسة الفلسفة واللاهوت، فقد أثارت فينا شهوة المعرفة وحثّت فضولنا الفكري. وكان استاذنا في الفلسفة دومنيكي فلامندي من المنطقة الحدودية الفرنسية البلجيكية، وكان يلقي علينا محاضراته غيبا وبكثير من روح الدعابة، وكان علينا أن نلتقط حديثه في دفاترنا. وكان دفتري يتنقل من يد الى يد، اذ كنت أغذيه، اضافة الى شروحات الاستاذ، بالمراجع الملائمة التي أجدها عبر مطالعاتي الخارجية، باللغات الفرنسية والعربية والسريانية أحيانا. اني أحتفظ دوما بهذه الذخيرة... آه! لو استرسلت في ذكريات المعهد، لما انتهيت...

• *هل يعود حبك للأدب واللغة الفرنسيين الى تلك الحقبة ؟*

بالتأكيد. لقد أحببت التغلغل في مؤلفات المفكرين الفرنسيين الكبار، وليس المؤمنين منهم فقط. لقد أحببت محاورة فلاسفة الأنوار، وملاحظة ما هو ايجابي وما هو سلبي عندهم. ان الفلسفة الفرنسية والأوربية تدفع الى المناقشة، ومناداة الذات، والمحاججة. اني أحب كثيرا نقل تحمسي للحوارات الأدبية، فلقد أورثني الدومنيكان حب الكلمة واللغة: انه ارث ثمين.

لقد درّبونا على الكتابة عن طريق تحرير "اليوميات"، وهي الجريدة الداخلية التي كانت توثق الأعمال والأحداث الجارية في المعهد. وكان كل واحد منا يصبّ كل عبقريته الأدبية فيها، اسبوعا بعد اسبوع، كل بدوره. أما التدرب على الكلام الفصيح، فكان يتم عن طريق المسرح والموعظة التدريبية في بداية كل سنة، منذ مرحلة الفلسفة. كما كانت تحت تصرفنا مكتبة عامرة. أما الأدباء الفرنسيون المفضلون عندي فكانوا كورناي، راسين، الفونس دوديه، بيغي، أنطوان دي سانت اكزوبيري. ومن مؤلفات هذا الأخير مثّلنا على المسرح قصة "الأمير الصغير" باللغة الفرنسية، وقد اسند اليّ فيها دور أحد الشخوص. أما في

الفلسفة، فالى جانب أرسطو وأفلاطون، كان "أصدقائي": سقراط بأسلوبه في توليد الأفكار، وابيكتيت بأسلوبه الستوئيسي اللاعنفي. ولاعجابي باسلوب هذا الأخير كنت أطلق عليه اسم "مار ابيكتيت"، مما كان ينتشل ابتسامة مدرسنا العجوز. ومن الفلاسفة الذين اعجبت بهم أيضا عمانوئيل مونييه مع فلسفته الشخصانية، وبرغسون، وباسكال. أما قراءاتي الروحية، فقصة أخرى، شخصية.

القديسة تريزيا الراهبة المحصّنة
وشارل دي فوكو السائح المتنقل: معلّمان ودليلان

- ***كلمنا، اذن، عن لقائك بتريزيا الطفل يسوع[٤] والأب شارل دي فوكو[٥]، هذا اللقاء الذي قلَب مسيرتك و"رسّخ" ايمانك. قبل كل شيء، ماذا أعطتك القديسة تريزيا ؟***

كما قلت لك، كان جار لي في الدرس، في قسم الصغار، يقرأ كتاب "تاريخ نفس"، قصة حياة القديسة تريزيا الطفل يسوع. ومن فوق كتفيه كنت ألتقط مقاطع أسَرَتْني أسرا. فطلبت الكتاب منه، ومذ ذاك لم ينفصل عني هذا الكتاب. وأخذت أبحث عن كل كتاب يخص تريزيا الصغيرة التي اصبحت في سرّ قلبي "أختي الصغيرة". ولقد جعل مني كتاب

---

(٤) القديسة تريزيا الطفل يسوع (١٨٧٣ – ١٨٩٧). دخلت كرمل ليزيو في الخامسة عشرة من عمرها. أعلنها البابا بيوس الحادي عشر قديسة عام ١٩٢٥. أعلنها البابا يوحنا بولس الثاني ملفان الكنيسة الجامعة عام ١٩٩٧.

(٥) كتاب جرجس القس موسى بعنوان "شارل دي فوكو، رسول الأخوّة الشاملة"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ٢ في ١٩٩٢. ص ١٨٠ – ١٨١. وقد أعقب المطران جرجس القس موسى كتبا أخرى عن شارل دي فوكو وروحانيته، ترجمة أو تاليفا باللغة العربية مباشرة، منها:

- رسالة الأخ شارل الى زماننا، بالعربية: بغداد وحلب ١٩٧٨
- أخوتي جميع البشر، ترجمة. بيروت ط ١ في ١٩٧١، ط ٢ في ١٩٩٢، ط ٣ في ١٩٩٦
- طريق الصلاة مع الأخ شارل ترجمة. بيروت ط ١ في ١٩٨٤، ط ٢ في ١٩٩٨.
- طريق الطفولة، طريق الملكوت، ترجمة. بيروت ١٩٨٦.
- على دروب الناصرة، ترجمة. بيروت ١٩٩٧
- صلاة تسليم الذات، ترجمة . يظهر قريبا.

آخر عنها عنوانه "الطريقة الصغيرة للطفولة الروحية" "تلميذا" نهائيا لها. ولطالما فكـــرت في ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية.

●ما الذي تنجذب اليه عندها؟

طريقتها في تقديس أمور الحياة البسيطة، اعطاء القيمة للأعمال اليومية الـــصغيرة، تحاشي الأمور الخارقة، الابتسام للحياة في أبسط روائعها، الاندهاش أمام الطبيعة، استذواق الأفراح العائلية الصغيرة، طعم الصداقة. الله، في عينيها، هو "بابا" محـــب ومفعـــم حنانـــا. كالطفل الذي يرفع رجله ليصعد الدرج نحوه، واذ يعجز عن ذلك، يترل هذا الأب بنفـــسه الينا ليأخذنا بين ذراعيه. يا له من درس في الثقة والتواضع! اني غالبا ما أتوجه الى تريزيا في صلاتي، ولقد أعطيت اسمها لأحدى بنات أخي.

●تريزيا الصغيرة، المحصّنة في كرملها، وشارل دي فوكـــو الكبير، مستكشف العالم العربي: ما الذي يقارب ما بـــين هاتين الشخصيتين ؟ اذ قلما يبدوان متشابهين...!

أتستغرب من ذلك؟ ومع هذا فالذي يكتشف أحدهما، سرعان ما يكتشف الآخر! قد يبدوان لك مختلفين، ومع ذلك فهما قريبان جدا بروحانيتهما. تريزيا تجد يسوع الطفل في الناصرة، وفي اسرة الناصرة ذاتها يجد شارل دي فوكو يسوع الصبي الطائع، ثم العامل الفقير.

يظهر يسوع في حياته الخفية بالنسبة لكلا القديسين. فتريزيا تتكلم عن وجه يسوع المحتجب وراء الألم، والأخ شارل يتكلم عن يسوع المحتجب وراء هيئة عامل فقير، ســـهل المنال بالنسبة الى الإنسان البسيط، المسحوق تحت ثقل الحياة اليومية. حياة ذات مظـــاهر وضيعة، ولكنها ذات قيمة كبيرة أمام الله، لأنها تجسد ارادة الله. حياة مكوّنة مـــن نـــسيج "الأحداث اليومية البسيطة"، ولكن حبا كبيرا يقدّسها. هذا ما كانت تدعوه تريزيـــا بـــــ "الطريقة الصغيرة"، وما يدعوه شارل بـــ "حياة الناصرة". ثم هناك عند الاثنين هذا البعـــد التبشيري اللامحدود، وان بأسلوب مختلف عند هذين "الرسولين، المبشرين بالإنجيل". فعـــن أوجه المقارنة بين شارل وتريزيا، اليك ما كتبت في كتابي "شارل دي فوكو، رسول الأخوّة الشاملة" الذي نشرته في اللغة العربية عام ١٩٦٨:

"انك تسألني هل أنا مستعد لأذهب الى أبعد من بني عباس في سبيل الإنجيل المقدس ؟: اني مستعد أن أذهب الى اقصى المعمورة وأن أحيا الى الدينونة العامة"

عندما نسمع شارل دي فوكو يوجه هذا الكلام الى مطرانه، لا يسعنا إلاّ أن نذكر قولا مشابها وجهته الى المسيح راهبة منسية في دير راقد تحت ظلال الصنوبر في أحدى زوايا

مقاطعة نورماندیا الفرنسية. مشاعر الحب ذاتها التي ألهبت قلب شارل دي فوكو في مجاهل الصحراء الجزائرية الكبرى كانت قد ألهبت قلب تريزيا الطفل يسوع المتوفية قبل بضع سنوات فقط في صحراء الكرمل؛ الحب ذاته الذي دفعها الى الهتاف في غمرة سخائها بأنها تتوق لو جابت العالم، وقصدت أبعد الجزر النائية من أجل التبشير بانجيل يسوع. لقد قالت تريزيا لعريس نفسها الذي أسر قلبها الفتي، وأغرم به شبابها البض: "

"أن أكون عروسك، يا يسوع، أن أكون كرملية، أن أكون باتحادي بك أمّ النفوس، ذلك حسبي، ولكني أشعر بدعوات أخرى تهتف بي. أشعر بالدعوة التي تحرّك المحارب والكاهن والرسول والملفان والشهيد... بودّي لو أتيت من كل أعمال البطولة أعظمها. أحسّ أن بي شجاعة مجاهد. أودّ لو أموت في ميدان قتال، دفاعا عن الكنيسة... "حبذا لو أطوف الأرض لنشر اسمك وتثبيت صليبك المجيد في بلاد من لا يؤمنون بك، يا حبيبي! الا أن رسالة واحدة لا تكفيني. اني أودّ في آن واحد أن أبشر بالإنجيل في أنحاء العالم بأجمعها حتى في أقصى الجزر. أود لو أكون مرسلة لا لبضع سنوات فحسب، بل أتمنى لو كنت كذلك منذ انشاء العالم وأبقى مرسَلة الى دهر الداهرين" (ص ١٧٨ و ١٨١).

كيف لا يشحن شبابي بالحماس تجاه شخصية "صديقَي الله" هذين المندفعين توقا الى المطلق؟!

- ***شارل دي فوكو، ما الذي ساقك اليه؟ لقد صرّحت لنا بأنك كنت تراه، قبل أن تتعرف عليه، شخصا متقلبا وغير مستقر؟***

لقد استقر اخوة يسوع الصغار في العراق منذ سنة ١٩٥٤، وأنشأوا "اخوّة" لهم في قرية الخضر قبالة دير مار بهنام الشهيد. وكانوا يزاولون العمل في الأرض في مهنة الفلاحة، وكانوا يترددون الى معهدنا الكهنوتي في الموصل. وسرعان ما تعاطفت معهم. وفي سبيل التعرف عليهم بصورة أفضل، انهمكت في قراءة كتاب رينيه بازان عن الأب دي فوكو. ولكن، بقدر ما كانت روحانية الاخوة الصغار تستهويني، بقدر ذلك كان مؤسسهم يزعجني. فكنت ارى فيه رجلا متقلبا، غير راض ابدا، لا يستقر في مكان. ولكن السؤال الذي طرحته على نفسي بعدئذ كان: كيف يمكن أن أحب جمعية رهبانية، ولا أحب معلمها؟

فعزمت على الخروج من هذا التناقض بالتعمق في نصوص الأب شارل دي فوكو وفكره. وفي اصراري على قراءة كتاباته، وجدت أخيرا الخيط الذي ربطني مذذاك بـ

"ناسك الصحراء": لقد كان شارل انسانا مغرما بالمسيح، رجلا يطمح الى الأكمل، رجلا يريد دوما أن يقترب أكثر فأكثر من التمثّل بيسوع بكل كيانه. اني لا أجد كلمات أكثر تعبيرا عن ارادة الأب دي فوكو في الالتحام بشخص يسوع من كلمات المتصوف المسلم ابن العربي اذ يقول: "من كانت علّته تدعى عيسى، لا يشفى ابدا". لقد فتنت بألفته مع النصوص الإنجيلية التي غذت تأملاته، وبقي تفانيه اللامحدود نحو الصغار، من دون الرغبة في الظهور، مثالا دائما لي. وماذا أقول عن عفويته في الحوار مع اصدقائه الملحدين، ومحبته الخاصة للعالم العربي – الإسلامي، وروحانيته في الحب الشامل. هذا كله أغراني في اتباع خطى هذا "الأخ الشامل".

● اعتبارا من ذلك الوقت، لم يفارقك شارل دي فوكو أبدا ؟

في سنة ١٩٥٤ اصطحبت الأخت الصغيرة مادلين يسوع[٦] والأخت الصغيرة بيرت الى بعشيقة اذ جاءتا لفتح "اخوّة" في المحيط اليزيدي. فمنذ ذلك الوقت تابعت "الاخوّات" المختلفة وزرتها في كل البلاد التي قصدتها: في العراق، لبنان، سوريا، الأردن، القدس، القاهرة، فرنسا، سويسرا، الرباط، الجزائر، مانيلا، أمستردام، ستوكهولم، مونتريال، تونس. كما أقوم بزيارات متواترة لتريفونتاني، وهو المجمّع المركزي لأخوات يسوع الصغيرات في روما، لإلقاء محاضرات، أو للاحتفال بالقداس الالهي بحسب الطقس السرياني، أو لزيارة قبر الأخت الصغيرة شكرية العراقية. يومها قلت للأخت الصغيرة مادلين المؤسسة: "شكرية غادرت، فعليها أن ترسل لنا عوضها عشر أخوات عراقيات"... وبعد وقت وجيز صار عدد الأخوات العراقيات أربع عشرة أختا.

وفي باب علاقتي بالأخوات الصغيرات، لا أنسى أن مشتملا سكنيا في دار أهلي في قره قوش أصبح "أُخوّة استقبال" لردح من الزمن.

ان روح شارل يستحوذ عليّ. في سنة ١٩٩٢ حررت الصيغة النهائية لـ "قانون حياة" جماعة كهنة يسوع الملك في قلاية في قبو مطمور تحت الثلج، تابع لاحدى "الأخوّات" في جبل لبنان، ولقد نسج هذا القانون على نموذج الروحانية الفوكولدية. وفي تشرين الثاني ٢٠٠٥ شاركت في قداس تطويب الأب شارل دي فوكو في كنيسة القديس بطرس بروما. وتحتل صورة شارل دي فوكو الصدارة في غرفتي حيثما أكون. ان شارل يستمر يدلّني على الاتجاه الواجب اتّباعه.

---

(٦) الأخت الصغيرة مادلين يسوع (١٨٩٨ – ١٩٨٩)، مؤسسة أخوات يسوع الصغيرات.

بين تجربة الصحراء وجاذبية العالم

● ***مع ما أعرفه عن ميلك وفضولك في معرفة الناس، واستذواقك النقاش والمواجهة بالكلمة، أراك نقيضا للناسك الذي جسّده الأب دي فوكو. اني لا أتخيلك تتأمل في العزلة، على قمة جبل صحراوي... ماذا تقول ؟!***

اذا أحببت أن أكون حاضرا للعالم، فأنا أستذوق الصمت أيضا والتأمل.

فبين رحلتين، وفي حيّز الاستراحة بين المحاضرات والمداخلات، أحب لو استطعت، على غرار شارل دي فوكو، أن أنزوي في ركن للتفكير والكتابة. ان الصمت يجدد الذات ويحفّز على الإبداع. وبالإمكان أن ينعزل المرء وسط الجماهير ايضا.

في عام ١٩٧٩، اذ كنت في نهاية دراستي في علم الاجتماع في جامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا، راودتني الرغبة في الذهاب، لمدة شهر كامل، الى جبل الأسكرم، الواقع في الصحراء الجزائرية الكبرى، حيث كان شارل دي فوكو قد بنى له منسكا. وقد راودتني الفكرة ليس فقط للصلاة، بل لكتابة تقييم وتحليل، في تلك العزلة، لأوضاع الكنيسة في العراق وآفاقها المستقبلية. اننا نرى الأمور أوضح عن بعد، ونكتشف حبكة الأحداث والتحديات بصورة افضل. ولكن للأسف، لم أستطع تحقيق هذا الحلم. انني اشعر حقا بحاجة الى الربط بين العمل والتفكير. هذه كانت، في الواقع، طريقة يسوع.

ففيما كانت الجموع تزحمه، كان يجد دوما امكانية الانزواء للحديث مع أبيه. فالصلاة ليست وقتا للتأمل الصوفي في عزلة جسدية الزامية وحسب، بل يمكن تحقيقها ايضا في نطاق نشاط آخر كالقراءة والكتابة. فلطالما صلى وتأمل شارل دي فوكو كتابة.

● ***انت تحب الاتصال مع الناس. في العراق وفي لبنان، هناك من يطلب الالتقاء بك، وأنت محاط بالمعارف. انك تعطي الانطباع بأنك ذو فضول تجاه الآخرين، ومراقب دائم لما يحيط بك... ما تعليقك ؟***

عندما كنت طالبا في علم الاجتماع بين عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٩، في بلجيكا، كنت أحضر أحيانا الاحتفالات الكنسية جالسا بين صفوف المؤمنين، وليس على منصة

الاكليروس، وذلك لكي أُلاحظ بصورة أفضل كيف يتلقى المؤمنون كلمات الكاهن، واذا لم تكن عظته تذهب في الهواء. اني أذكر أني حضرت القداس، ذات مرة، مع مجموعة من الطلاب في معبد صغير في دير للرهبان البندكتان، قرب مسكني في حي هوكاي في لوفان الجديدة، وكان الكاهن المحتفل استاذا له وزنه في علم الكتاب المقدس، في كلية اللاهوت، ولكني شعرت بكلامه العلمي يمرّ فوق الرؤوس. كما أذكر أن الطلبة في الجامعة، ما ان يعلمون أني كاهن حتى يفقدون عفويتهم معي ويتخذون الحذر موقفا!

● ***سؤال : هل تفتقد تلك الفترة الزمنية التي قضيتها في بلجيكا؟***

لا يمكن أن أنسى السنتين اللتين قضيتهما في بلجيكا. لقد شعرت فيهما أني مسؤول عن نفسي من دون وصاية، حرّا في فكري من دون أن يصدر الآخرون حكمهم فيّ، حرّا في اختياراتي من دون أن أكون ملزما بتقديم تقرير عنها سوى لضميري، ملتزما بقيمي وقناعاتي من دون أن يتحكّم أحد فيّ ... لقد عشت انسانيتي حقا.

الى جانب هذه الحرية التي لقيتها في المجتمع الغربي، أقدّر الشرق لطبيعته الاجتماعية، لقيمة التضامن عنده، لدور الثوابت الاجتماعية والدينية والعائلية لديه، لتاريخه الغني ذي الألوان المتنوعة، لتعدديته عندما تعاش هذه التعددية في الاحترام المتبادل وفي المقابلة بالمثل. لقد كنت أقول بتعبير ايجازي وبصورة شبه كاريكاتورية: يعيش الإنسان في الشرق محاطا اجتماعيا الى حدّ الاختناق، وتُحترم الخصوصية الفردية للشخص البشري في الغرب الى حدّ قد يموت دون أن يعلم به أحد! يا ليت حالة وسَطاً تقوم بين التقليدين، لتنتج نوعا من التركيبة الفاعلة بين الثقافتين الغربية والشرقية!

الشرق والغرب : كنيستان وايمان واحد، مع خلل في الفهم المتبادل

● ***في ما يخص الكنيستين الشرقية والغربية: ماذا تعلمت في بلجيكا؟***

لقد اكتشفت من خلال اتصالي بالرهبان القادمين للدراسة من أميركا اللاتينية وأفريقيا بأن المركزية الرومانية المفرطة تضرّ بطاقة الابداع لدى القارات الصاعدة. لقد كان لاهوت التحرير في تلك الفترة في عزّ انطلاقه، وكانت أسماء مثل ليوناردو بوف، وتشي غيفارا، وديسموند توتو، وفيدل كاسترو، ومارتن لوثر كينك، وهلدر كامارا تحتلّ الواجهة

الإعلامية. ولقد طال التصفيق لهذا الأخير عندما مرّ بلوفان الجديدة سنة ١٩٧٨ للادلاء بشهادته وشرح موقفه من تركه مطرانيته الفخمة ليعيش في حي فقير. أنا نفسي كنت سعيدا عندما حظيت بمصافحته في ذلك الجمع الشبابي الحاشد.

- ***بالنسبة للكنائس الشرقية المتحدة مع روما مثل كنيستكم، هل العلاقات سلسة دائما ؟***

لنميّز! الفاتيكان دولة، وليس هو الكنيسة الكاثوليكية. والكرسي الرسولي الروماني يرئس وحدة الكنيسة الجامعة. اننا نعتزّ بالانتماء إلى الكنيسة الكاثوليكية، كما نعتزّ بانتمائنا الى الكنائس الشرقية في خصوصيات طقوسنا وتراثنا وفي الاستقلالية الإدارية لكنائسنا المختلفة.

ان اتحادنا بالكثلكة لم يقطعنا عن تراثنا الآبائي والليتورجي، والكنيسة الكاثوليكية ليست فقط الكنيسة اللاتينية. وهناك مجمع الكنائس الشرقية في روما لتنسيق العلاقة بين الكرسي البابوي والكنائس الشرقية الكاثوليكية. وفي هذا الباب هناك الكثير مما يجب اصلاحه، لاسيما في ما يخصّ اجراءات انتخاب الأساقفة الشرقيين، وطريقة التعامل مع موقع بطاركتنا. لقد آن الأوان لاشتراك هؤلاء في انتخاب البابا من دون ضرورة تسميتهم كرادلة، فالبطريرك هو رئيس كنيسة ذاتية السلطة في كل الأحوال. والقوانين الكنسية وضعت لتواكب حالة كنسية معينة، فهي اذن منفتحة في طبيعتها للمراجعة والتعديل عبر الزمن.

انه لمزعج أحيانا أن يكون علينا التعامل في الكوريا الرومانية مع رهبان يعنون بشؤوننا وهم لا يعرفون تاريخ كنائسنا المحلية، ولا يتفوهون بكلمة واحدة باللغة العربية، أو لم يستأنسوا بثقافاتنا المشرقية. أجل، اني لأرغب في أن أشرح لأولئك الذين ينظرون الينا من فوق كموظفين أعليين بأننا شركاء لهم، وبأن المسيحية أتت من الشرق، وبأن المسيح يسوع لم يتكلم اللاتينية، بل الآرامية لغتنا.

في الشرق، يعرف معظم كهنتنا ومطارنتنا عدة لغات، ويتخرج من مدارسنا ومعاهدنا الكهنوتية كهنة ورهبان مثقفون جدا، وبوسعهم أن ينافسوا كهنة الغرب ورهبانه بيسر. ولكن الموضوع ليس موضوع منافسة، علما بأن المنافسة بمعنى التباهي والتعالي لا ينبغي أن توجد في الكنيسة ابدا. في كل الأحوال، من الضرورة بمكان أن يكون ثمة عدد أكبر من الشرقيين في المجامع الرومانية، وخاصة في مجمع الكنائس الشرقية، وكذلك في اللجان وهيئات الحوار المسكوني. ألا يقال، وبحق، أن الكنائس الشرقية الكاثوليكية هي جسور وصل بين الكثلكة والأرثوذكسية!

- ***لا زالت قائمة بين الشرق والغرب آثار انشقاقات المجامع الأولى، أفسس (٤٣١)، وخلقيدونية (٤٥١)، واحتلال القسطنطينية ونهبها على يد الصليبيين القادمين من أوربا في ١٢٠٤ ...ما تعليقك ؟***

"ان احتلال القسطنطينية ونهبها سنة ١٢٠٤، على يد الحملة الصليبية الرابعة، خلافا لمرتكزات الايمان والقانون، يترك جرحا لا يندمل في ذاكرة مسيحيي الشرق تجاه اخوتهم الغربيين": هذا ما يقوله بطريرك القسطنطينية الحالي[٧]. ان كلماته ذات مدلول عميق. لا شك أن الأمور قد تبدلت كثيرا، لحسن الحظ! فاليوم، وبفضل المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥)، تهتم روما واقعيا في تنشئة كهنة وأساقفة ملمّين باللغة العربية، ومتخصصين بشؤون المسيحية الشرقية؛ كهنة وأساقفة لا يجهلون شيئا من ماضينا، ومطّلعون على مشاكلنا الراهنة. وفي أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني تجري حركة توعية واسعة في الغرب اللاتيني باتجاه المسيحيين الشرقيين والكنائس الشرقية، سواء كانت هذه الكنائس من التقليد البيزنطي، أو من الكنائس الشرقية الأصيلة، السريانية المشرقية والقبطية والأرمنية والملبارية والملنكارية.

ان موازين القوى بين كنائس الشرق والكنيسة الرومانية، تحولت الى علاقات تبادل وتقابس واعد، و لم تعد روما تنظر الينا كاقرباء فقراء. سأسرد طوعا ما كتبه البطريرك المسكوني برتلماوس، بطريرك القسطنطينية في كتابه الموسوم "في ملاقاة السر": "ينبغي بناء معابر بين الشرق والغرب كي لا يعودا ينظران الى بعضهما البعض بعيون شزرة، بل لكي يأخذا في التحدث والتبادل والحوار مع بعضهما". هذا شيء مهم جدا، سيما ونحن نعيش سوية في أوطاننا مع كنائس أرثوذكسية مستقلة تعتزّ بذاتها، وهي سيدة ذاتها.

لا شك ان الذكريات التاريخية لم تذب تماما، غير أن العتوبات المرّة قد خبت. في تشرين الثاني ٢٠١١ اشتركت في أعمال مجلس كنائس الشرق الأوسط في قبرص، ولدى رؤيتي هذا الجمع المتنوع من الكنائس والموحّد في هذا المؤتمر، شعرت بأننا قد طوينا صفحة تلك النقاشات الحادة حول شخص المسيح، تلك المشاحنات التي مزقت الشرق والغرب. بل لمست بالأحرى ارادة واضحة للعمل المشترك والشهادة المسيحية والكنسية لممارسة الوحدة بصورة أكثر فاعلية ضمن الواقع اليومي المعاش في أوطاننا، بما يساعدنا في مواجهة التحديات المقبلة. هناك قنوات حوار مسكوني، أكثر فأكثر، ومبادرات مشتركة في المجالات الاجتماعية

---

(٧) برتلماوس الأول.

والراعوية، أو في الدراسات والمنشورات البيبلية، وزيارات أكثر من السابق بين رعاة الكنيسة، ولقاءات مسكونية متبادلة، في القمة وفي القاعدة. وفي ما يخص العراق، هناك مجلس مطارنة نينوى الذي كنت منسّقا له، ومجلس رؤساء الطوائف المسيحية في العراق، وكلاهما يبنيان هذه المعابر بين الجماعات المسيحية. ان الاعتزاز المفرط بالهوية الذاتية، والأنانية، والاعتبارات الشخصية لم تعد تشكل عوائق غير قابلة للاجتياز. يجب أن نتمسك في السير على طريق الوحدة بعناد. انه مشروع يتطلّب نَفَسًا طويلا، ولكنه طريق لا عودة فيه بعد اليوم عن ذلك.

• *هل تستطيع أوربا أن تساهم في تقوية هذه المعابر بين الكنيستين، الشرقية والغربية ؟*

من دون شك، لاسيما في ما يخص الكنيسة الأوربية الجنوبية (أعني بها اليونان) التي هي متوسطية أكثر مما هي غربية. ان الشرق اكثر اصغاء الى صوت أوربا التي هي أقرب اليه من أميركا. واوربا موحدة، مستقلة، قوية وحافظة للقيم الإنسانية، أوربا تتقاسم خيراتها مع غيرها وتعرف أن تقول "أنا" من دون أنانية؛ مثل هذه الأوربا لا يمكن الا أن تكون خيرا ونصيرا لنا. ان مسيحيي الشرق بحاجة الى عونها لكي يستطيعوا الاستمرار في العيش والتنفس بيسر في أرضهم التاريخية. ان أوربا بالنسبة لي تشكل عنصر وحي فكري، فاذا ما كنت شرقيا بعمق كياني، فأنا مدين أيضا للثقافة الأوربية. ان فلاسفتكم، ومفكريكم، ومثقفيكم، ولاهوتييكم، لا زالوا ينيرونني، وأنا مدين للفكر الثقافي الفرنسي بصورة خاصة. أنا أحب فرنسا، ولي فيها ربط تعلق خاص، وصداقات، بالرغم من احساسي أحيانا أن الفرنسيين لم يعودوا يحبون فرنسا!

• *أوضح لي ماذا تعني بهذا القول؟*

من خلال أسفاري الأخيرة الى فرنسا شعرت وكأن الفرنسيين تعبون نفسيا، وبأنهم لم يعودوا يؤمنون بشيء، لا بقيمهم التاريخية ولا بقدراتهم. انهم ينغلقون على أنفسهم. وحتى المسيحيون منهم يخافون من تثبيت انتمائهم المسيحي. انهم يعطون الانطباع بأنهم تعبون من كل شيء، وان المادة تحتل الأولوية، والله مغيّب عن الحياة العامة أكثر فأكثر. لماذا تقف فرنسا في راس جبهة الرافضين تثبيت الجذور المسيحية لأوربا، نصّا، في مشروع الدستور الأوربي؟ اني أودّ لو اصرخ مع البابا يوحنا بولس الثاني: "يا فرنسا، ماذا فعلت بعمادك؟".

"أردت أن أصير راهبا دومنيكيا"

● ان انجذابك الى الفكر والثقافة الأوربيين يظهران في اعجابك "بالفكر الدومنيكاني". هل هذا صحيح ؟

لقد تربيت على يد الدومنيكان، وأنا مدين لهم بكل شيء. لقد كان القديس عبد الأحد قدوة لي واتخذته نموذجا للرسول المبشر وللقداسة، وقد قرأت حياته بشغف. كذلك قرأت حياة القديس ألبير الكبير، هذا الفيلسوف الدومنيكي الذي كنت أحبه، كما أحببت القديس توما الأكويني، لاهوتي الكنيسة الكبير. وهناك راهب دومنيكي آخر أعجبت به هو الايطالي سافونارولا الذي رفض القبعة الكردينالية التي أغري بها كي يلجم لسانه عن النقد، وأعدمته محاكم التفتيش السيئة الصيت. سافونارولا وسقراط والحلاج، هذا المتصوف المسلم الذي حكم عليه بالموت بسبب مواقفه التي اعتبرها علماء الدين الرسميون "انحرافا": ثلاثة شهداء من شهداء الكلمة الذين اقدرهم، وقد قضوا ضحية التعصب البشري. وفي هذا السياق رغبت في الدخول في الرهبانية الدومنيكية قبل رسامتي الكهنوتية، غير أن والديّ قاوما هذه الرغبة، لممانعتهم أن أغادر العراق وأبتعد عنهم.

● لماذا ؟

لم يشأ والدي ووالدتي أن أغادر قره قوش. في محيط كمحيطنا يبقى الكاهن في العائلة موضوع فخر واعتزاز دوما، اذ يُنظر الى الكهنوت وكأنه سموّ في السلّم الاجتماعي. وكان والدي، كغيره من الآباء، يرى في كهنوت أحد ابنائه علامة تكريم له شخصيا، اضافة الى أن ابنه الكاهن سيحمل من جديد، في عينيه، "المشعل الكهنوتي" الذي حمله جده "القس موسى" وعمه "القس ميخائيل"، الذي طالما كان يردد ذكراه واصفا لنا سيماء شخصيته. فلقد كان هذا الأخير رجلا مثقفا، وقد تخرج من اكليريكية دير الشرفة بلبنان، وهذا بحد ذاته علامة وجاهة في ذلك الزمان. وكان هذا الكاهن قد خدم في سوريا، وفي زاخو في شمال العراق، ثم أصبح رئيس دير مار بهنام الشهيد، فرئيسا لكهنة قره قوش، وكان يملك مكتبة، بقي لنا منها في البيت الأبوي بضعة كتب. وكان والدي يحب أن أكون "وريث" القس ميخائيل في العشيرة. وكان يظنّ أنه سيفقدني اذا ما صرت دومنيكانيا، لأن ذلك سيعني سفري الى الخارج، وضياعي في النسيان. علما بأنه لم يكن يومئذ أي دومنيكاني عراقي بعد

في البلد. واذ لم أرد كسر خاطر والدي في شيخوخته، أكملت دراستي حتى الرسامة الكهنوتية، مرجئا تحقيق اختياري الى ما بعد الكهنوت. ولقد حسبت لي السنتان اللتان قضيتهما في لبنان (١٩٦٤- ١٩٦٦) كمدرس في أكليريكية الشرفة، وقتا اضافيا للتفكير. وفي غضون هذا "الوقت الاضافي" توفي والدي ووالدتي.

● ماذا يجتذبك في الرهبانية الدومنيكية ؟

نظرتها الى البعد البشري والإلهي، تقييمها للأرضي والسماوي، للمنظور واللامنظور. لقد كانت السنوات الاحدى عشرة التي قضيتها في المعهد الكهنوتي اساسية في حياتي. فيها بُنيت فكريا، وفيها توضحت لديّ الروح النقدية. في هذه السنوات ترسخ انتمائي الى الكنيسة العراقية، وقد أعطاني أساتذتي مفتاح الانفتاح الى الثقافات الأخرى والى مساءلة العالم.

هم الذين غرزوا فيّ حب العراق. فلقد كان لنا كل شهر ما ندعوه في قاموس المعهد "سفرة"، أي نزهة ليوم كامل، في الحقول المنتشرة على شواطىء نهر دجلة، أو في احدى القرى المسيحية في شمال العراق، أو في أحد الأديرة في ضواحي الموصل. لقد كانت تلك فرصة لنا للتعرف على مناطق جديدة لا نعرفها. أما النزهات الصغيرة لفترة ما بعد ظهر أيام الأحد والخميس، فكنا نقضيها حول المدينة سيرا على الأقدام. وكانوا أحيانا ينظمون لنا زيارة للمتاحف، والمعامل، أو المواقع الأثرية الآشورية المنتشرة حوالي نينوى. أما عطلة عيد الفصح فكنا نقضيها في الأماكن المسيحية البعيدة في المنطقة الشمالية التي ندعوها اليوم كردستان. لقد كنت أحب كثيرا هذه الأوقات: كنت أحب الهواء الطلق في تلك الجبال، والصداقات التي تنمو مع شباب المناطق التي نقصدها، والاتصال المباشر مع الجماعة المسيحية في قرى جديدة، والتآلف مع ليتورجيا الطقس الكلداني لهذه القرى الكاثوليكية او الآشورية. وكان اساتذتنا ينظمون لنا نزهة كل يوم ضمن هذه الرحلة الطويلة التي تدوم حوالي ١٢ يوما. وارتبطت بصداقة مع صبي أصمّ أبكم، في احدى السنين، وصرت أعلّمه النطق والقراءة والكتابة. وهكذا اكتشفت جمال بلادي، وأغرمت بحب العراق، وبتاريخه، وبجغرافيته، وبشعبه المتعدد الأجناس. ولقد ساعدتني ذكريات هذه السفرات كثيرا بعد ذاك، عندما صرت استاذا لتاريخ العراق القديم في المعهد الكهنوتي ذاته.

الفصل الخامس

١٩٦١
الحج
الى
الأراضي
المقدسة

رئيس أساقفة الموصل لا يحب خوض الميدان السياسي. لذا دفعناه دفعا الى الافصاح عن رأيه في القضية الفلسطينية، وذلك بحجة الحديث عن الحج الذي قام به سنة ١٩٦١، قبيل رسامته الكهنوتية. بكلمات متوازنة، وبالتزام معقول، وبكلمات السلام يذكّر المطران الإسرائيليين أن القوة لا تفضي الى حلّ. كما يدعو مسلمي فلسطين الى النظر الى المسيحيين الفلسطينيين كشركاء لهم ومتساوين في الحقوق. يقول المطران القس موسى بأسى: "في الأرض التي ولد فيها يسوع، أُخذ المسيحيون بين السندان اليهودي والمطرقة الإسلامية. فلم يبق لهم، مرة أخرى، من أمل سوى المنفى"!

• ***قبل الدخول في الحديث عن السنوات الأولى من رسالتك، كلمنا عن حجك الى إسرائيل. لقد كان ذلك في أيلول ١٩٦١، عاما واحدا قبل رسامتك الكهنوتية. أليس كذلك؟***

قبل الإجابة الى سؤالك هناك تصحيح للسؤال: حجنا لم يكن الى إسرائيل، بل الى الأرض المقدسة... لقد كانت المرة الأولى في حياتي التي أخرج فيها من العراق. فقد كان بيوس صديقي وزميلي في الدورة الدراسية ذاتها قد قام بحج أول عام ١٩٥٧ مع ذويه. وكنا قد وضعنا منهاج رحلتنا خلال السنة المنصرمة وثبتنا الأماكن التي سنذهب اليها ونختلي فيها للصلاة ، مع كيفية تخصيص المال اللازم لمشروعنا. ولقد كلّف السفر الذي تحمّله أهلنا، من بغداد الى عمان فالقدس بالسيارة، مبلغ ١٥ دينارا عراقيا (٤٥ دولارا أميركيا تقريبا يومذاك) لكل شخص. أما الاقامة والطعام، فقدمهما الأخوة الدومنيكان في المعهد الكتابي في القدس. ولكن الأمر الأكثر تعقيدا لتحقيق المشروع كان الحصول على الاذن من مدير معهدنا الكهنوتي في الموصل. فلقد تساءل كثير من اساتذتنا اذا ما كان لنا النضوج الكافي كي نلقي بأنفسنا في مثل هذه المغامرة، واذا ما كنا قادرين على ادارة أنفسنا بأنفسنا، أو التصرف تصرفا صائبا في الغربة! ... أخيرا وافقت الادارة وأعطتنا الاذن.

• ***هل تركت فيك هذه السفرة الأولى انطباعا خاصا ؟***

اني لا زلت أحمل عنها ذكريات ساخنة. لنبدأ بالحديث عن الطريق ذاته من بغداد الى عمان: ١٨ ساعة في السيارة على طريق رديئة، وبعضها ترابي، عبر صحراء مترامية الأطراف مكسوة بالحجر الأسود. وكان اكتشاف مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية شيئا مدهشا: مدينة متدرجة، شارع رئيسي واحد، هو شارع الجامع الكبير، وهو يستمر زاحفا ملتويا لاهثا حتى القدس. سكان عمان من البدو المتحضرين. ولقد أراد صديقنا نعمات أن يذهب بنا للسلام على جلالة الملك بصفة وفد عراقي. أليس أن العاهل الأردني هو ابن عم المرحوم ملك العراق السابق فيصل! وأكّد لنا حرس بوابة القصر الملكي أن جلالته لن يتمكن من استقبالنا الا بعد الظهر لانشغاله في شؤون أخرى.

• ***والقدس؟***

حلم من أحلامنا! نهر الأردن، أريحا، صحراء يهوذا الجبلية... وها نحن وجها لوجه أمام القدس... يا الهي!... ساحة الهيكل الواسعة، قبة الصخرة الذهبية، وادي قدرون، ابواب المدينة العملاقة، درب الآلام، المرحلة السادسة حيث تسكن أخوات يسوع الصغيرات،

كنيسة القيامة التي يدعوها الغربيون كنيسة القبر المقدس، كنيسة رقاد مريم العذراء، بستان الجسمانية حيث صلى يسوع صلاته الأخيرة قبل تسليمه الى الجنود الرومان، الدير الكهنوتي القديم للسريان الكاثوليك الذي قدموه لتصرف منظمة الغوث الكاثوليكي الفرنسي (Secours Catholique)لاستقبال الحجاج الفقراء باسم "بيت ابراهيم"، جبل الزيتون، حائط المبكى، المعهد الكتابي للآباء الدومنيكان حيث كانت اقامتنا... يا لها من ذكريات لا تمحى!

ثم بيت لحم ومغارتها، حقل الرعاة، البحر الميت حيث أخذنا قسطا من السباحة قبالة مغائر قمران مع فريق من الحجاج الفرنسيين، جبل جريزيم وأثار هيكل السامريين، وقد تسلقناه سيرا على الأقدام، بعد أن شربنا من بئر يعقوب، حبرون التي ندعوها بالعربية مدينة الخليل، عماوس، دير اللترون للرهبان السكوتيين والحدود الأسرائيلية في ذلك الزمان، قبر راحيل، وقبر لعازر، الجلجلة وأزقة المدينة القديمة المتعرجة... صور رائعة ستبقى محفورة في الذاكرة الى ما لا نهاية! وكنا نقرأ النصوص الكتابية في أماكنها طوال الحج، وكانت هذه النصوص تنبض بالحياة، ناطقة بشكل رائع.

- ***انك تكلمني عن الحجارة والأبنية، ولا تكلمني عن لقاءاتك مع الناس!***

فعلا كانت لنا لقاءات، وبعضها مؤثّر جدا كلقائنا بهذه المجموعة الضخمة من الحجاج الفرنسيين، المكونة من نحو ألف شاب وشابة، على جبل الزيتون بثيابهم البيضاء، وفي يد كل واحد وواحدة غصن زيتون، وهم يحتفلون بدخول يسوع الى أورشليم، يوم أحد السعانين. وكان الاحتفال قد ابتدأ بعماد عدد من الشباب البالغين. يا له من صمت مهيب عندما سأل الأسقف الذي رافق الحج الموعوظين المقتبلين العماد:

- لماذا تطلبون العماد ؟
- لكي نصبح مسيحيين ونتبع المسيح.

لن أنسى هذا المشهد أبدا! ان هذه التظاهرات الايمانية تغمرني بالتأثر دوما. وسأعيش مثل هذه الأوقات السعيدة في احتفالات يوبيل الألفين في الموصل طوال أربع سنوات، وفي أيام الشبيبة العالمية في باريس عام ١٩٩٧، وفي مدريد عام ٢٠١١.

واني لأذكر أيضا الصعوبات التي كنا نواجهها كلما أردنا زيارة موقع في حوزة اليونان الأرثوذكس، اذ كانوا يعترضون علينا: ممنوع الدخول، أنتم لاتين. فكنا نتفاوض معهم مؤكدين أننا شرقيون، وبأننا نعرف قراءة الحرف اليوناني. وكان المعترضون يستسلمون

في النهاية ويسمحون لنا بالدخول. فلقد كان علينا انتظار اللقاء التاريخي بين البابا بولس السادس والبطريرك أثيناغوراس في القدس[٨] ، بعد عام من ذلك التاريخ، لتحسين العلاقات بين الكنيستين.

- ***تقسيم المدينة المقدسة الى شطرين: يهودي وعربي، هل أثار لديك شعورا خاصا ؟***

طبعا. فبالرغم من كون معظم الأماكن المقدسة في الجانب الشرقي من المدينة، أي في الجانب العربي، فلقد كان يعزّ علينا ألاّ نستطيع زيارة موقع العشاء السري، والناصرة، وسيدة فرنسا، مثلا، أي كل القسم الغربي من المدينة الواقع في الجانب الإسرائيلي. عندما كان القسم الغربي من المدينة تحت السلطة الأردنية، كانت زيارة الأماكن المقدسة المتواجدة في الجانب الإسرائيلي ممنوعة على المسيحيين العرب، ولكن ما يجهله كثيرون في أوربا هو أن هذا المنع لا زال قائما حتى اليوم، واستيلاء اسرائيل الكامل على فلسطين قد سمّم الوضع أكثر.

- ***في ١٩٦١، هل كنتم تقرأون بوضوح مشاكل اليوم، أي مشاكل الشعب الذي يتوق الى أرض تجاه دولة لا تريد أن تقاسم اي شبر ؟***

لقد كانت آثار الحرب الإسرائيلية – العربية الأولى ١٩٤٧- ١٩٤٨ لا تزال شاخصة. فبؤرة المقاومة الفلسطينية كانت في الأجواء منذ ١٩٦١، وقد اتخذت طابع التصلّب والجذرية تدريجيا مع مرّ السنين، وذلك من جراء تعرض العرب للإذلال والقمع من قبل إسرائيل. لقد تبنت إسرائيل سياسة تعنت واصرار في الاحتلال والاستعمار، تسندها في ذلك أوربا، وبصورة رئيسة بريطانيا، وذلك لتبرير ساحتها تجاه الجماعات اليهودية الأوربية في تجاهلها جرائم النازية أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد انتصار الجيش الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧ على العرب، حلّت الولايات المتحدة محل بريطانيا كحليف من دون قيد أو شرط للدولة اليهودية. لربما كان ثمة شعور بعدم الارتياح، في ١٩٦١، عندما كنا في القدس، ولكن فصائل المقاومة الفلسطينية الم تظهر الا بعد ١٩٦٧. ولقد اتخذت هذه المقاومة تدريجيا خطا إسلاميا متشددا ظهرت بوادره في غزة في الثمانينات. وهنا يخطر ببالي ما كتبه الملك حسين،

(٨) لقاء البابا بولس السادس وبطريرك القسطنطينية المسكوني اثيناغوراس الأول في كانون الثاني ١٩٦٤.

ملك الأردن، في كتابه المعنون "صعب أن يكون المرء ملكا"[٩] ، الذي كتبه باللغة الانكليزية منذ بضع سنوات، اذ كتب هذه العبارات النبوية: "اذا أردنا أن يستمر في العيش أجيال أبنائنا وأحفادنا، علينا بالتفاهم. والا سنستمر نخوض حروبا مدمّرة لا نهاية لها".

في لقاء صدفة في أروقة أحد المؤتمرات الدولية مع وزير إسرائيلي، بادره مراقب عربي: "آجلا أم عاجلا عليكم أن تتفاهموا مع الفلسطينيين. فأنتم مجبرون أن تجلسوا معا حول طاولة وتتفاوضوا من أجل سلام عادل ومشرّف. لماذا تسمّمون الوضع بمستعمراتكم الاستيطانية وجداركم الأسمنتي وقمعكم؟ عوض أن تدينوا العنف والإرهاب الفلسطيني، كما تقولون، حاولوا مواجهة الأسباب وعالجوا جوانب الحرمان والاذلال التي تصيب الفلسطينيين. والا لن تحصلوا على السلام ابدا، وستعيشون في الخوف دائما".

اذا اراد الواحد الحصول على شيء، عليه أن يعطي شيئا! هذه العبارة المستوحاة من الإنجيل هي أصدق قول باتجاه حل واقعي للقضية.

• *المسيحيون في إسرائيل مأخوذون بين المطرقة اليهودية وسندان التطرف الإسلامي..أليس كذلك ؟*

ما وراء المعضلة السياسية، هناك المعضلة الإنسانية. فلا "شريعة" الأكثرية العددية الاقتحامية الفاتحة، ولا قوة الديانة المتسلطة المهيمنة، تستطيعان ضمان ديمومة نظام ما، أيا كان. الحرية والحقوق تسيران جنبا الى جنب مع مواطنة متساوية للجميع. ان مشكلة المسيحيين الفلسطينيين هي مشكلة المسيحيين الشرقيين عموما، فعدم ارتياحنا لا يأتي من كوننا أقلية عددية، بل من كوننا مغيّبين كمواطنين لا ننعم بالمساواة. ان مسيحيي فلسطين – اسرائيل هم حقا محشورون بين المطرقة الإسرائيلية وسندان التطرف الإسلامي. ومثل هذا الوضع ليس مريحا. فيلزم طاقة خارقة للصمود وعدم الهلاك في مثل هذه الحالة. ان بناء دولة يهودية حصرا لا يمكنها مقاومة العلمانية المعلنة من قبل هذه الطبقات الاجتماعية والفكرية الاسرائيلية الواسعة.كما لا يمكن لدولة فلسطينية إسلامية رافضة لحضور المسيحيين وشراكتهم الا وتهدم نفسها بنفسها: ففي الحالتين نكون أمام نازية من دون الاسم، تنفي ٢٠٠٠ سنة من التاريخ البشري على هذه الأرض.

ان تجاهل عطاء المسيحيين في تاريخ فلسطين خيانة للدور الفاعل الذي لعبوه ويلعبونه في المقاومة الحالية. لا يمكن أن تكون ثمة دولة فلسطينية حرة من دون مواطنين

(1) Hussein de Jordanie: Il est difficile d'être roi, Bouchet-Chastel 1962.

مسيحيين فلسطينيين يتمتعون بالحقوق ذاتها التي تتمتع بها الأكثرية المسلمة. وهذه القواعد الأخلاقية والسياسية الملزمة يجب أن تسود كافة المجتمعات ذات الأكثرية المسلمة حيثما وجدت.

- ***أمام الهجرة الكثيفة لمسيحيي الأراضي المقدسة، ألا يُخشى ألاّ نعود نرى في وطن المسيح سوى كنائس حجرية ومؤسسات من دون مؤمنين؟... حجارة وأماكن غير مأهولة، سوى من بعض الأساقفة والرهبان لا غير ...يرددون صدى ذكريات مسيحية غابرة؟***

لا يكفّ الكرسي الرسولي في الفاتيكان يحث المسيحيين الفلسطينيين على البقاء في الأراضي المقدسة؛ وبيع الممتلكات والأراضي المسيحية في فلسطين ما هو الا مؤشر للخطر المتزايد في الهجرة. هناك فعلا أرقام خطيرة تعلن بين وقت وآخر عن تناقص عدد المسيحيين في الأرض المقدسة.

واذا ما استمرت موجات الهجرة بهذه الوتيرة، فالتخوف الذي أشرت اليه في سؤالك وارد. ان بطريركنا يخطط لمشروع بناء ١٥٠ وحدة سكنية للعوائل المسيحية الفقيرة، في القدس تشجيعا لهم على البقاء في الوطن. انها بادرة تستحق التقدير، ولكن هل هذا يكفي؟ ان دوافع تبرير الهجرة لدى المسيحيين عديدة: منها حالة الحرب التي لا تنتهي، القانون الإسرائيلي الصارم في منح حقوق التملك أو البناء للفلسطينيين، ومن ضمنهم المسيحيين، تصاعد التيار الإسلامي المتطرف، الوضع الاقتصادي المتردي وقلة فرص العمل، جاذبية الغرب كميناء للسلام والمستقبل. ومع ذلك يبقى قائما الأمل في انشاء دولة فلسطينية حرة وديمقراطية. وهذا الحلّ ستستفيد منه الأراضي المقدسة نفسها، حيث لن يقبل اليها الحجاج من الغرب، فحسب، بل من كافة الأقطار العربية أيضا.

الفصل السادس

كاهن شاب خارج عن الدرب

في الرابعة والعشرين من عمره يرسم جرجس القس موسى كاهنا، في ١٠ حزيران ١٩٦٢.

• **هل تذكر ذلك اليوم؟**

وهل يُنسى ذلك اليوم؟ لقد استعددت له بحرارة بالغة، اذ كنت سأجتاز من مرحلة الشماسية الإنجيلية الى الكهنوت. اني أحتفظ بحرص بدفتر الملاحظات الذي دوّنت فيه أفكاري بمناسبة رياضتي الاستعدادية للكهنوت. ففي هذه المناسبة اخترت شعاري: "**حياتي هي المسيح**". لقد كانت تلك الرياضة تكليلا لمسيرة شخصية طويلة مُطرزة باسماء ووجوه ساعدتني على أن أنمو. فأنا لست آسفا لأي جزء من الزمن قضيته في المعهد الكهنوتي.

لقد كنا سبعة شمامسة اقتبلنا الرسامة الكهنوتية في اليوم نفسه، وكان يوم عيد حقيقي جمع في مأدبة كبيرة كل أكليروس الموصل مع أهلنا وأصدقائنا. وكان وجه والدي يشعّ فرحا وزهوّا وقد تعمّم بيشماغه الأنيق المرقط بالأحمر، بينما غمرت السعادة والدتي بالرغم من ضعف صحتها. اني أستذكر الصورة التذكارية للملتحين السبعة وهم يحيطون بمدير المعهد بابتسامته العريضة الدائمة وسعادته العارمة. وكانوا يتسابقون لنيل بركتنا الكهنوتية الاولى، وكانت البركة الأولى بالطبع محجوزة للمدير. اني أذكر بأي تواضع وأية رقة ركع أمامي لينال "بركتي" الأولى ! الكاهن... شيء عظيم ! انه من حلقة التلاميذ الاثني عشر. فتلك البركة الأولى كانت بمثابة المدخل الى رسالتنا. لقد غطّت على كل ما سبقها من انتظار ومعانيات!

في كنيستنا السريانية، بامكان الكاهن أن يكون متزوجا. أما أنا فقد اخترت العزوبية دون تردد يوم ألقي عليّ السؤال، لدى رسامتي الشماسية الانجيلية منذ بضعة أشهر.

• **لماذا ؟**

لأني أحببت المسيح فوق كل شيء. لقد استولى عليّ هذا الشعور بعمق منذ بداية دراستي اللاهوتية حيث كنت قد كثّفت عملي مع الشباب العلمانيين الملتزمين في الرسالة في قره قوش، وبقيت معهم في تواصل مستمر حتى اثناء تواجدي في المعهد. لقد كان المسيح قد أصبح مركز حياتي، وكانت كتابات الأب دي فوكو تغذيني. علما بأن السؤال المطروح علينا كان: هل تختار الكهنوت من دون زواج، أم الزواج من دون كهنوت؟ على مثل هذا السؤال لا تردد: أختار الكهنوت. لا يمكن أن يكون منافس لحب المسيح. اني لم اكن ضد الزواج، فلقد كان جدي الأكبر كاهنا متزوجا، وهو نفسه كان له ابن كاهن أعزب. أما أنا، فقد اخترت العزوبية، بخلاف جدي.

• لا شك أنك اتخذت هذا القرار لكي تضطلع بمسؤولياتك الكهنوتية بصورة أفضل؟ ان العائلة تتطلب حضورا ووقتا وامكانيات مادية...

ان لرئيس الولايات المتحدة الأميركية، وهي أكبر دولة في العالم، مسؤوليات أكبر من كاهن رعية في كنيسة العراق، وهذا لا يمنعه من أن يكون زوجا وأبا. فليس هنا اذن السبب الأساسي لعزوبية الكاهن. لقد أردت أن أتّجه بكليتي نحو يسوع ... جاهزا تماما لخدمة هذا "الإنسان الأكمل" الذي غيّر حياتي ببساطة حياته، وعظمة اتزامه، وقوة كلامه، فكان من اللازم أن أكون بكليتي له. "كلي لك" (يوحنا بولس الثاني). لو اخترت الزواج، لما استطعت اختيار الكهنوت ... وللكهنوت كنت قد أعطيت الأولوية في حياتي.

• هل عشت عزوبيتك بهدوء؟

بهدوء؟ نعم! وان لم يكن ذلك سهلا دوما. فغالبا ما تذكرت كلمات الأب فوايوم مؤسس اخوة يسوع الصغار القائل ما معناه: "ان اتباع النداء الأول سهل، أما النداء الثاني فهو الأصعب: انه نداء كل يوم، وتقاس الأمانة بالإنصات الى هذا النداء الثاني. انه اختيار نجدده دوما".

لقد كان عليّ أن أجدّد اختياري الأول، على مدى حياتي، وأعمّقه، وأنقّيه، وأنير اختياري الأول بنور المسيح كل مرة، ولكني لم أضعه موضع تراجع أبدا. "حياتي هي المسيح": لقد رافقني هذا الشعار دوما كنداء متجدد. لقد قلت يوما لمطراني، قورلس عمانوئيل بني، في حديث خاص عن العزوبية والحب: " أن أقول لك بأني لم أحب أبدا، بلى لقد أحببت، ولكنه طريق مسدود! لأني اخترت أن أكون للمسيح". أنا لست ضد المرأة، فللمرأة جاذبيتها ورقتها من جوانب كثيرة. ان الأفراح العائلية الصغيرة شيء ثمين. ما أجمل أن يحضن أب طفله بين ذراعيه! انه ينسيه كل أتعابه! وهل أجمل من ابتسامة طفل؟! ولكن سؤالا يطرح: هل الكاهن الذي يختار العزوبية يضحي بالحب؟ وهل يا ترى يمكنه أن يكون كاهنا خليقا بهذا الاسم من دون أن يعرف أن يحب؟ بالتأكيد لا. اذا ضحى الكاهن بحب امرأة خاصة لوحدها، فذلك لكي يفتح قلبه أوسع لحب شعبه، وحب كنيسته المكوّنة من رجال ونساء أُوكلوا الى ابوّته الروحية. اذا ضحى بحب خصوصي، فلكي ينفتح الى حب أعظم، وأكثر شمولية. من دون الحب لا يستطيع الكاهن أن يمدّ يده ليصافح المرضى، والفقراء، والرجال والنساء الواقعين في اليأس. من دون الحب لن يستطيع أن يكون أكثر من موظف جيد، أو إداري في مؤسسة. والحال ان الحب يسير مع الايمان والعطاء: الايمان بالدعوة، والايمان بالله، والعطاء اللامحدود.

- ***هل أحببت هؤلاء الرجال والنساء، الذين أُوكلوا اليك، وهذه الجماعة البشرية، هل أحببتهم كما كنت ستحب زوجتك وأولادك؟***

المقارنة غير دقيقة. ومع ذلك اقول لك بأني عشت كهنوتي سعيدا ومتوازنا باستنادي الى مبدئين اثنين: التجذر في شخص المسيح، والتزود بالغذاء من جماعتي، اني مدين لهؤلاء العلمانيين المنشغفين بالمسيح، الذين التقيت بهم! ان صداقات الكاهن الثابتة تزوّده بالتوازن النفسي، والبعد الإنساني، والاندفاع الذي يجدد قواه ليستمر في تكميل رسالته أفضل فأفضل. سابقى معتزّا ومدينا طوال حياتي للصداقات الدافئة التي لقيتها وألقاها لدى بعض العلمانيين، أفرادا وعائلات، ممن يرافقون رسالتي ويزينون حياتي ويثرون بُعدها الإنساني.

- ***هل الكنيسة الرومانية محقة في الحفاظ على العزوبية الكهنوتية؟***

السؤال يستحق أن يطرح ويناقش. بالنسبة الى السريان الكاثوليك، أي نحن، المسألة محسومة من حيث المبدأ، كما سبقت وقلت. ذلك أن حرية الاختيار مضمونة قانونا مع تحديدين اثنين: الزواج حين السماح به يسبق الكهنوت، والكاهن المتزوج لا يصبح مطرانا!

لا تعارض البتة نظريا بين الكهنوت والزواج. فالزواج بحدّ ذاته لا ينتقص من قيمة الكهنوت، واذا ما تجاوزت المسيحية الشرقية تقلبات التاريخ، فانما فعلت ذلك بفضل الكهنة المتزوجين الذين مزجوا ما بين حياة العمل والأسرة والخدمة الراعوية. بل نضيف بان المسيحية الشرقية اذا ما وصلت الينا وسط العواصف التي مرت بها، انما وصلت بفضل الكهنة المتزوجين.

ولكني، مع ذلك كله، أنا مقتنع أن الزواج وحده لن يحلّ كل مشاكل الكاهن. فللزوجين أيضا مشاكلهما، وليست أقل حدّة، سواء كان ذلك على الصعيد المادي خاصة، أو العاطفي ايضا. في زياراتي الراعوية، كم أُصاب بالألم أمام هذه العائلات المفككة، أو المعرّضة لمآزق مادية. لا أقسى على أب لا يملك ما يمكّنه من ترفيه أولاده! قد تبدأ حالات الانفصال من هنا.. من هذه الضائقات المادية.

- ***بالرغم من أزمات الشك والصعوبات، هل كنت كاهنا سعيدا؟***

لقد عشت ايماني بقناعة عميقة بين الناس. ولقد تطرّز وجودي بلقاءات انسانية عديدة في القارات الخمس. لقد كنت كاهنا، وأسقفا، ورئيس أساقفة سعيدا ومن دون عقد.

اني لم أندم قط على اتباعي المسيح باختيار الكهنوت. وهذا لا يمنعني من أن أفهم وأبقى متضامنا مع هؤلاء الكهنة الذين تركوا الحياة الكهنوتية، ولكل منهم سببه الخاص. ولقد بقيت في اتصال مع بعض أصدقائي الذين غادروا الكهنوت، وأعتزّ باستمرار الصداقة مع بعضهم.

- ***لقد ذكرت الصعوبات. ما هي الأوقات الأكثر حرجا، وكان عليك تجاوزها؟***

في عام ١٩٧٣، ألقت قوات الأمن في الموصل القبض على شباب أخوية الشبيبة الطالبة المسيحية بتهمة أنها منظمة سرية، ومُناوئة للنظام، وكان علينا توقع كل شيء من الاستبداد. وكنت بصفتي مرشدا عاما للشبيبة أشعر بالمسؤولية الكاملة عما يجري. وكنت أجلب الطعام كل يوم للشباب في سجنهم مع مرشد آخر، هو الأب فرج رحو (المطران في ما بعد، والذي اختطف وقتل في شباط ٢٠٠٨). وكنا في الوقت عينه نحمي الفتيات من أعضاء الشبيبة. وكان علينا اعطاء الجواب لأهل هؤلاء الشباب المنضوين في الأخوية والملاحَقين. لقد عشنا زمنا مؤلما، وكنا نحثّ اساقفتنا على التحرك للعمل الحثيث على اطلاق سراحهم. وفي احدى المرات بادرني مطراني بتوجيه الملامة بحدّة واتهمنا بأننا نحن سبب المأساة:

- "الخطأ كله من عندكم. فكل مرة آتي الى كنيسة مار توما أراها مليئة بالشباب".

فأجبته باستياء:

- "اذا جاءوا الى هذه الكنيسة، فذلك يعني أن شيئا يجتذبهم".

وتابع رئيسي قائلا:

- "انكم تجذبون انتباه السلطات. وما كان ينبغي أن يدع الأهل أولادهم يأتون".

وتصاعدت حدّة الحديث، فقلت:

- "اذا أُلقوا في السجن، فلأنهم ينتمون الى اسم المسيح والإنجيل، وعلينا حمايتهم".

وانفجرت أعصابي، فقلت والدموع تنهمر من عينيّ:

- "اذا كان الأمر كذلك، فأفضّل ترك الكهنوت والعيش كمسيحي اعتيادي!"

لقد كنت في أقصى انهياري وفي قرف وشكوك من هذه الأقوال التي تنفض الكنيسة يدها فيها من المسؤولية وتتنصّل من واجب حماية أبنائها. فحاول سكرتير المطران الذي كان حاضرا ان يعيدني الى صوابي. ولكن المطران لم يفهم المغزى: لقد كان بوسعي أنا أن أتخلى عن أخوية الشبيبة الطالبة المسيحية في خورنتي، وكذلك الشباب أنفسهم، فلقد عاشت الكنيسة أجيالا من دون أخوية الشبيبة الطالبة المسيحية. غير أن رئيسي لم يفهم أن البعث كان يرمي إلى قطع الشبيبة عن الكنيسة، برغبة السيطرة على هؤلاء الفتيان والفتيات!

جماعــة كهنــة يسوع الملـــك

كالعادة يستبق صديقنا محيطه. فعوض أن يتبع خط السير الاعتيادي للكاهن العراقي الشاب، الوجيه المكرّم والمعروف في المدينة، ها هو مع ثلاثة من رفاقه يؤسسون أخوّة حياة "جماعة كهنة يسوع الملك"، ليعيشوا أقرب الى الناس، في اطار العوز المادي، وفي قلب المدينة. انها سابقة في حياة الكهنة. فمثل هذه الجماعة لم تكن موجودة من قبل في هذا البلد. انه اختيار يثير الجدل والتساؤل وسط هذا المجتمع العراقي الذي لا يحب تغيير نظـــام قواعـــده التقليدية بسهولة.

- ***لقد ذكرت "جماعة كهنة يسوع الملك" التي أسّستموها، أنـــت وثلاثة كهنة شباب آخرون، منذ رسامتكم الكهنوتيـــة. هـــل بوسعك اعطاءنا المزيد عنها ؟***

بداية، لم نكن نريد أن نتقولب في قالب كهنة الرعايا العراقيين الذين يعيشون عند ذويهم بعد رسامتهم. فهذا النموذج الراعوي التقليدي لم يكن يستهوينا، وكنا نشعر بنداء العالم الخارجي، ولاسيما الجيل الصاعد من الشباب. لقد كنا أربعة كهنة من الدورة الدراسية ذاتها، ومن العمر نفسه. أربعة أصدقاء تربطنا وشائج روحية، وثلاثة منا قريبون جدا مـــن روحانية الأب شارل دي فوكو، وهذا هو الفريق الذي قام بالحج الى القدس، كما ذكرت أعلاه. ولقد استحثنا ما كنا نقرأه عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني أن نطـــرق صـــيغة جديدة من الحياة الكهنوتية الأبرشية. لم يكن هدفنا أن نضيف الى الكنيسة مؤسسة جديدة مع ما قد تحمله من جوانب ثقل اداري جديد، وانما أن ننشىء أخوّة حياة صغيرة تـــساعدنا على عيش كاريزما روحانية كهنوتنا. في هذه الجماعة يبقى كل كاهن مرتبطا بأبرشـــيته، وعائدا قانونا الى مطرانه. ولهذا المنظور بُعد عملي، سيما وأن فريقنا يتكون من كهنة مـــن الكنيستين السريانية والكلدانية. لقد كانت صيغة مسكونية تعتبر تجديدا حقيقيا في الحيـــاة الكنسية العراقية. لقد كنا نريد الابتعاد عن الطرق المطروقة وفتح مسالك جديـــدة للعمـــل والصلاة، فنكون أقرب الى الناس، وخاصة الى عالم الشبيبة، ونقاسم الناس همومهم اليوميـــة وافراحهم، ونحاول تخفيف آلامهم.

• لماذا اخترتم اسم "كهنة يسوع الملك" ؟

لقد جاء اختيارنا هذا الاسم بمبادرة من الأب يوسف أومي الدومنيكي الفرنسي، مدير معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل. فلقد كان فريق من الكهنة ممن سبقونا يجتمعون مرة في الشهر للصلاة المشتركة والمداولة حول رسالتهم، وكانوا يحملون اسم "أصدقاء يسوع الملك". ولكن عقد هذا الفريق انفرط بعد سقوط النظام الملكي في العراق في تموز ١٩٥٨. في البداية لم يرغب فريقنا السماع بهذه التسمية: **يسوع الملك**. فلقد كانت التسمية نشازا على آذاننا كشباب! غير أن لهؤلاء "الأصدقاء" "قانوناً" موجزاً معترفاً به من روما، مما يخدم مشروعنا. وهكذا، تبنينا الاسم بدافع عملي، فأصبح "**كهنة يسوع الملك**"، واستوحى "قانون حياتنا" روحانية أخوّات الأب دي فوكو.

• هذا النوع من الحياة، ألم يكن موجودا في كنيسة العراق من قبل ؟

كلا. ان خبرة الحياة المشتركة بين الكهنة في جمعية تحت سقف واحد، ضمن الشعب، كانت سابقة في بلادنا. و لم يكن أحد من قبل قد تجرأ على زجّ نفسه في "مثل هذه المغامرة". ففي ما يخص المعيشة، كان الكهنة، وحتى العزاب منهم، يعيشون بين أهلهم في عوائلهم، و لم يكن من دار خاصة للكهنة تابع للكنيسة بعد. وكنا الأوائل في "جماعة يسوع الملك" في فتح دار مشتركة، واضعين سوية عملنا، ومدخولاتنا، وصلاتنا، ورسالتنا. وكانت وجبات الطعام والصلاة المشتركة في البيت تقام في أوقات محددة. ولأسباب عملية، كان سكنانا في مشتمل في الكنيسة. فلقد كان تفضيلنا الأول أن نستأجر دارا خاصة، ولكننا راينا أن الشباب، والفتيات خاصة، لن يستطيعوا المجيء الينا بيسر في الأزقة الملتوية، ونظرا الى مجتمعنا المحافظ. أما السكنى في الكنيسة، فبوسعه أن يوفر تغطية كنسية واجتماعية لأنشطتنا. وهكذا صارت الغرف السكنية الملحقة بكنيسة مار توما مهد جمعيتنا.

• كيف استقبلكم الناس؟

بكل ترحاب، وإن استغرب البعض من كبار السن من لباسنا، اذ لم نكن نرتدي غطاء الراس الكنسي (قلوزة)، ولا الرداء الكهنوتي التقليدي الخارجي (الجبة)، مثل سائر الكهنة العراقيين. ولقد جاءت الانتقادات الأكثر حدّة من الكهنة القدماء، اذ كانوا يترقبون أية هفوة نسقط فيها. وكان البعض يقولون: شباب متحمسون، سرعان ما ستخمد همّتهم وينهار بناؤهم بعد سنة أو سنتين. وأهلنا أنفسهم لم يستوعبوا الموضوع بسهولة. فلطالما لامني والدي لأني تركت المنزل الأبوي، اذ قال

لي يوما: " ابني، انك تعلب بمصيرك. ترى لماذا أعدنا ترتيب الدار، لماذا هيأنا لك غرفة خاصة؟". وكان يعني في طيبة قلبه: "نحن الذين انتظرنا منك موقعا اجتماعيا!". ذلك أن مجرد كون احد أبناء الأسرة كاهنا، في مجتمعنا، في تلك الأيام، يرفع شأن تلك الأسرة في السلم الاجتماعي...

• كيف كانت تسير حياتكم؟

كنا أربعة: ثلاثة سريان كاثوليك: الأب بيوس عفاص، الأب نعمان أوريدة، وأنا؛ وواحد كلداني هو الأب جاك اسحق. وكنا جميعا ما دون الخامسة والعشرين. واحتللنا الطابق الأعلى من كنيسة مار توما للسريان الكاثوليك في الموصل. أما من الناحية المادية، فكنا نعيش من عملنا، ومن الدروس التي نلقيها، ومن هبات المؤمنين. أجل، لم تكن حياتنا في البحبوحة، ففي عشية أحد أعياد الميلاد لم يكن ما تبقى لنا في الصندوق المشترك سوى ٢٥٠ فلسا. أما من الناحية الروحية، فكنا نقيم القداس بشكل فردي، كل في جماعة رهبانية في المدينة أو في كنيسة مار توما. وكنا نختم النهار مساء بوقت سجود صامت في شرفة الكنيسة الداخلية. وكان ينسّق حياة الجماعة مسؤول منتخب لثلاث سنوات، وكنت أنا المسؤول الأول للجماعة... والأخير قبل أن أصبح مطرانا.

وكان الانتماء على نوعين: من جهة، أعضاء الحياة المشتركة، ومن جهة أخرى الأعضاء المنعزلون الذين يستمرون في العيش في أبرشياتهم ورعياتهم، دون الالتحاق بالجماعة. وكنا نجتمع سوية مرة في الأسبوع لمراجعة الحياة، اضافة الى نهار آخر في الشهر للاختلاء. وكانت تجري هذه الخلوة، في أكثر الأوقات، في مكان مترو، في دير في ضواحي الموصل. كما كانت لنا في منهاجنا دورتان لعدة ايام في السنة، الاولى ثقافية لبحث موضوع راعوي أو لاهوتي، أو لتطوير قانون حياتنا؛ والثانية روحية للاختلاء والصلاة. وهناك صلاتان مشتركتان تجمعاننا يوميا أينما كنا: "صلاة كهنة يسوع الملك"، و "صلاة تسليم الذات" للأب دي فوكو.

• ماذا كانت تتضمن رسالتكم؟

كانت رسالتنا متجذرة في المدينة، في الحي، وفي خدمة المؤمنين واحتياجاتهم المباشرة. وبما أن نمط حياتنا كان في اطار جماعة كهنوتية خارج الخورنة، فقد فرضنا على أنفسنا أن نتوجه حيث لا يذهب الكهنة الآخرون عادة. وهكذا بدأت رسالتنا مع الشباب، وفي زيارة العائلات المتعففة لنحمل اليها السند المعنوي والرجاء. كما أخذنا على عاتقنا زيارة المستشفيات لعيادة المرضى المسيحيين وحمل القربان اليهم منذ الصباح الباكر، وزيارة السجون لمساعدة المعتقلين، ولإقامة القداس لهم أحيانا.

وهكذا حاولنا أن نغيّر الصورة التقليدية للكاهن العراقي في الخورنة. ولقد نال هذا النمط من الحياة المشتركة، والجاهزية التي كنا نعيشها، نال كثيرا من التشجيع غير المتوقع، وفتح أمامنا كثيرا من الأبواب، وأتاح لنا القيام بمبادرات ما كنا لنحلم بها، أو صعبة التحقيق لو كنا فرادى في رعياتنا. ومثل هذه المبادرات: الشبيبة الطالبة المسيحية، الندوات الأسبوعية للشباب والصبايا الجامعيين، مجلة الفكر المسيحي، النشر عموما، مركز الدراسات الكتابية للعلمانيين، الرياضات الروحية للرهبانيات المختلفة وللكهنة في عموم العراق، المحاضرات في كل أطراف العراق، السهرات الانجيلية، ارشاد الأخويات الرسولية المختلفة، الأنشطة العامة كتجمعات يوبيل الألفين، وجماعة المحبة والفرح التي أسسها شاب علماني بمساندة الأب فرج رحو عضو جماعة كهنة يسوع الملك، المؤتمرات العالمية، الانفتاح على الكهنة من الكنائس الشقيقة وتنسيق الرسالة الخ... . وفوق هذا كله نلنا تعاطفا وقبولا واسعا وصادقا وعفويا من كافة الكنائس المسيحية والطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية. كما ارتبطنا بصلات بناءة مع مثقفين وأدباء مسلمين...

• ألم يضع رؤساؤكم عراقيل أمام أنشطتكم ؟

ولِمَ يضعون العراقيل؟ لقد تداولنا في مشروعنا أشهرا طويلة قبل رسامتنا الكهنوتية مع مدير معهد مار يوحنا الحبيب الذي كان عرّابا لنا ومتعاطفا معنا الى أقصى حدّ. فلم يكن في نيتنا أن نقطع الحبل مع الكنيسة العراقية، بل أن نكون طاقة جديدة فاعلة وملتزمة بعمق فيها، وان جماعة كهنوتية للحياة المشتركة كجماعتنا ما كانت لتربك النظام الكنسي، ولا تلزمه بأي عبء مالي. من جانب آخر، تم كل شيء ضمن الكنيسة وبروح الكنيسة ومن اجل الكنيسة. فلقد أعطانا مطراننا مار قورلس عمانوئيل بني موافقته التامة، و لم يحدث لنا أي اشكال جدّي في هذا الاتجاه. كما كانت علاقاتنا الشخصية مع مطارنة الموصل ممتازة ومفعمة بالاحترام والتقدير.

غير ان التحفظات ظهرت في ما بعد على المجلة التي أطلقناها. هنا حدثت بعض المجابهات الحادة، وسنتكلم عنها عندما سنعالج موضوع المجلة.

• عندما اسّستم جماعة كهنة يسوع، الملك أكّدت على رغبتكم في الخروج من "الطرق المطروقة". هل يعني هذا أن أطر كنيسة العراق، حسبما كانت في ذلك الوقت، لم تكن تلائمكم؟

ان تاريخ الكنيسة مليء بمثل هذه النقاشات. فهذه التناقضات البناءة هي التي أتاحت لها تجاوز مشكلاتها لتكون ما هي عليه اليوم: مساحة للحرية والإنسانية. ان هذه المواجهات ليست ضرورية حسب، بل هي الزامية للتقدم والتجدد. ولقد دعا البابا يوحنا ٢٣، أبو المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، هذه الظاهرة بعبارة "آجورنامنتو"، أي التحديث بحسب روح اليوم. واذا ما اجتازت

الكنيسة التاريخ بتقلباته الكثيرة ومطالباته، فهي مدينة في ذلك، الى حدّ كبير، "لمعارضيها في الداخل"، وأقصد بهؤلاء مؤسسي الرهبانيات الكبرى، كما انها مدينة بذلك الى قديسيها وقديساتها الذين عرفوا كيف يسائلونها ويدفعوا بها الى أمام. وجماعتنا، جماعة كهنة يسوع الملك في الموصل، اعطت لكنيسة العراق، من موقعها المتواضع، وخاصة من خلال مجلة الفكر المسيحي التي أطلقتها، أعطت صورة كنيسة تتجرأ على نقد ذاتها وتقييم أدائها.

الفصل السابع

مغامرة "الفكر المسيحي"

لو لم يكن المطران جرجس القس موسى كاهنا لكان، من دون شك، صحفيا.

ان في قلبه حماسا حقيقيا لهذه المهنة بوصفه رجل الكلمة والقلم. لذا كان من الطبيعي أن يؤسس مع رفاقه مجلة، هي "مجلة الفكر المسيحي"، سنة ١٩٦٤. هذه المجلة التي احتلت حيّزا كبيرا من حياته... وأصبحت أداة له ولزملائه للاستمرار في رسالتهم. ذلك أن هذه المجلة الدورية كانت أداة التواصل والتوحيد، عن طريق الفكر الذي تنشره، ما بين رجال ونساء ما كان لهم أن يلتقوا لولاها.

في هذا الفصل يسرد رئيس اساقفة الموصل مغامرة "الفكر المسيحي" التي تركت بصماتها، روحيا وفكريا، ليس في العراق وحده، بل في الشرق الأوسط المسيحي. وكان قراء "الفكر المسيحي"، مدة ٢٥ سنة، يلتهمون صفحة ثابتة، ذات اسلوب يمزج الدعابة بالجد، بعنوان "همسات". كان الحديث المنتظر بلهفة من القراء يحتل الصفحة الأخيرة، ولكن غالبا ما كان القراء يبدأون قراءتهم بها. كانت هذه الصفحة تأسر الانتباه باسلوبها الشيّق الأخّاذ، وكان صاحب هذه الهمسات محررا يدعى "أبو فادي". اسم مستعار نعرف اليوم أن المطران القس موسى كان يتخفى وراءه. (اقرأ في الملحق ثلاثة مواضيع من "الهمسات" بقلم أبو فادي).

• لقد أطلقتم مجلة الفكر المسيحي سنة ١٩٦٤. اسرد لنا هذه المغامرة التي وسمت الحياة الفكرية، ليس في العراق وحده، بل في الشرق الأوسط المسيحي، وقد تعدّت حدود الكنيسة ايضا.

لقد حملنا هذا المشروع في قلوبنا منذ بداية تأسيس جماعة كهنة يسوع الملك. فمنذ السنوات الأولى لدراستنا اللاهوتية كنا، الأب بيوس وأنا، مقتنعين بضرورة اصدار صحيفة دورية لتنشئة شبابنا. كما كان ببالنا أن نفتح حوارا مسكونيا وفكرا نشطا مع اخوتنا الأرثوذكس. أخيرا كنا نرغب في الخروج من قوقعة منطقتنا في العراق لمرافقة القراء الى آفاق أخرى، مع ارادة اثارة البحث والفضول في الفكر اللاهوتي والراعوي والاجتماعي، على حدّ سواء.

مثل هذه المجلة لم تكن موجودة في العراق. فلقد انطفأت آخر دورية مسيحية سنة ١٩٥٦ مع سقوط الملكية، فظهرت "سلسلة الفكر المسيحي" لأول مرة في زمن عيد الميلاد من عام ١٩٦٣.

وأردنا أن تكون الانطلاقة في شكل دورية صغيرة من ١٦ صفحة على غرار النشرة اللبنانية التي كان يصدرها الآباء البولسيون بعنوان "أمسيات الأحد". وكانت نشرتنا تتضمن عشرة أعداد في السنة بحجم ١٦ X ١٢ سم، وكان كل عدد يتضمن موضوعا واحدا. وكان التوزيع يتم يدويا، مع بضعة اشتراكات منتظمة في مدارس الراهبات في بغداد.

• هل تتذكر العدد الأول؟

تماما! لقد كان العدد الأول بمثابة مدخل بعنوان "الكنيسة عبر القارات"، يحمل احصائيات عن عدد المسيحيين في العالم بحسب الأقطار. وكانت صورة الغلاف تمثل فتاة تشير بأصبعها الى الكرة الأرضية، وكانت الفتاة عارية الذراعين من دون أكمام. وهذا ما أثار عاصفة من الانتقادات واللوم، قادها بعض الكهنة من الجيل القديم. فبالنسبة الى هؤلاء كنا نفسد أخلاق الشبيبة! وسنلقى مثل هذه الانتقادات على طول طريق هذه المغامرة. وكان العدد الثالث على ما أذكر مخصصا لسيرة الياباني بول ناكاي، أحد ضحايا القنبلة الذرية في ناكازاكي. وكان عدد آخر مخصصا لقصة اهتداء كارل ويسمانس، أحد مهتدي القرن العشرين الفرنسيين. كما كان عدد في السنة يجيب الى أسئلة الشباب. وفي السنة الثالثة أضفنا أربع صفحات ملونة تحمل اخبار الكنيسة في العالم. لقد كنا نحاول اخراج المسيحية المحلية من حدودها الضيقة والسير بها نحو الانفتاح على قضايا العالم، والخروج من الانغلاق اليومي الى رحاب الكنيسة الجامعة.

• يبدو أن "الفكر المسيحي" فرضت نفسها سريعا كمرجع فكري في العراق وخارجه.

في الواقع ليس مباشرة. اذ لزم أن ننتظر عام ١٩٧١ حين أطلقنا مجلة شهرية حقيقية: ١٠ أعداد في السنة، مع ٣٢ صفحة وأبواب متعددة، من ضمنها الأخبار، وباسلوب صحفي. ولقد أسند

الىّ باب الأخبار طوال ٢٥ عاما، مما أتاح لي متابعة حركة الكنيسة الجامعة وجسّ نبضها في المركز وفي الأطراف. أما المقالات الأخرى، فكانت تكتب عموما باسلوب بحث فكري مبسط، ومن منطلق أهداف ثلاثة: توعية، تنشئة، تربية.

وفي أواخر سنة ١٩٧٢ تركَنا الأب بيوس عفاص ليتخصص في دراسة الصحافة في جامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا، فاضطلعت أنا من بعده بمهمة رئيس التحرير. ولدى عودته في أواخر سنة ١٩٧٦، انكببنا سوية على اعادة النظر في منشورنا، في صيغته ومحتواه واخراجه. وفي ١٩٧٧ أخذت المجلة هيئة صحفية تماما في اخراجها، ومحتواها، وحجمها، وخاصة في طبيعة معالجة المواضيع، وفي تصحيفها، ومكانة الصورة في مرافقة المقال. كما صار الغلاف الخارجي يحمل صورة على كامل حجمه في صلة مع الموضوع الرئيسي.

- ***كيف كانت تقدم مجلتكم نفسها للقراء؟ وكيف كان انتشارها واقعيا ؟***

ثلاثة عناصر كانت تحدد سمات المجلة:

اولا: أيقونة الغلاف التي تركز على الموضوع الرئيسي – وهذا الموضوع يحرره عادة مفكرون بارزن في كنيسة العراق وأحيانا من خارجها؛

ثانيا: باب الأخبار – وهو عبارة عن جولة موضوعية في أخبار الكنيسة في العالم، مع تفضيل لقضايا العالم الثالث، وحركات التحرير، وتجدد الكنيسة، والحركة المسكونية. وكان هذا الباب، أي باب الأخبار، مسندا الىّ كما أسلفت، ويتغذى من نحو ٤٠ دورية فرنسية وعربية وانكليزية، تصلنا بالبريد بصورة منتظمة؛

ثالثا: أما العنصر الثالث، فيتكوّن من الريبورتاجات، أي التحقيقات الصحفية الميدانية أو المستلهمة من معلومات منشورة، ومن الطاولات المستديرة التي تسعى الى تحليل حركة الحياة في كنيسة العراق. فهذه الكنيسة لم تكن أبدا راكدة، بل كان شبابها العلمانيون يتأججون بالأفكار، والطموحات، وارادة التغيير. ولقد أصبحت مجلة الفكر المسيحي "مدرسة" كما وصفها أحد كتّابها؛ مدرسة للتوعية والالتزام، ومدرسة للكتابة الصحفية والفكرية أيضا، كما كانت "منبرا حرا"، تيمنا بعنوان أحد أبوابها الثابتة.

وكان عدد المشتركين في "الفكر المسيحي" سنة ١٩٩٥، يوم سلمناها للآباء الدومنيكان، قد بلغ ٧٠٠٠ مشترك، ٩٨% منهم مسيحيون، ثلثاهم من الكاثوليك، و٢% مسلمون. وكان لنا قراء ومشتركون خارج العراق أيضا. ويعتبر هذا الرقم ضخما لمجلة رأي من هذا النوع في بلادنا.

• كيف كنتم تشتغلون ؟

كنا ثلاثة في القيادة: الأب بيوس (الذي كان له دور رئيس في حياة المجلة) رئيسا للتحرير؛ وأنا بصفتي رئيس تحرير مساعد؛ والأب نعمان مدير الإدارة والاشتراكات والمسؤول المالي والحسابات. وكانت المجلة تصدر بواقع ١٠ أعداد في السنة، بحجم ٢٤ X ١٧ سم، وبـ ٤٨ صفحة. وكان يساعد هذا الثلاثي هيئة تحرير تجتمع مرة في الشهر، وكانت متكونة من كهنة وعلمانيين، مع مشاركة نسوية ثمينة. وكان توزيع المجلة يتم بطريقتين: بالبريد الوطني، وعن طريق شبكة من الوكلاء المتطوعين الذي يغطون كل المدن والبلدات المسيحية في العراق، وكان على عاتق كل واحد من هؤلاء الوكلاء عدد من المشتركين. وكان أسلوب التوزيع عن طريق الوكلاء هو الأنجح والأكثر انتشارا. ومن أجل شحذ همة الوكلاء وتكريمهم، كنا نقيم دعوة خاصة لهم في أحد مطاعم المدينة مرة في السنة. أما عملية ترزيم المجلة للمشتركين، فكنا نستعين بطالبات المدرسة، وبتلامذة المعهد الكهنوتي، وبالراهبات، والشباب ... وكلهم متطوعون. وكنا نحن أنفسنا ننضم اليهم ونشتغل معهم يدا بيد كلما خرج عدد جديد من المطبعة. وكانت المطبعة في بغداد على بعد ٤٠٠ كم الى جنوب الموصل، وكان نقل المجلة من بغداد الى الموصل يتم بالبيكب الأزرق الذي قدم لنا خدمات جمة وصارت صورته ملتصقة باسم المجلة.

• وكيف كنتم تدبرون أموركم من الناحية المادية ؟

كانت الأمور تسير بتقشف كبير. فلقد كنا نؤمّن التكاليف بالاعتماد على بدلات الاشتراكات، وبالعمل المجاني ومن ضمنه عملنا نحن أنفسنا، وبوضع مداخيلنا الوضيعة من خدمتنا الكهنوتية تحت التصرف، بالإضافة الى المساعدات المحتملة، وكانت هذه المبالغ تسدّد ثمن الورق والطباعة. أما معاونونا من محررين وصحفيين ومفكرين وأعضاء هيئة التحرير أنفسهم، لم يكونوا يتقاضون شيئا. لقد كانت المجلة وأهدافها قد اكتسبت الثقة والوجاهة بما يجعلهم يعملون معنا مجانا، ويعتزّ المحررون أن ينشروا نتاجهم في الفكر المسيحي، عالمين أن مقالاتهم ستنال صداها لدى شريحة واسعة من القراء. ولقد نلنا جائزة حقوق الإنسان من اسبانيا عام ١٩٩٢، قيمتها ٥٠٠٠ دولار، مما أفادنا فائدة كبرى، ثم نلنا جائزة المدالية الذهبية في كندا من "الاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة" (UCIP) عام ٢٠٠٧. ولقد كان هذا المنّ المادي خير عون لنا، علاوة على كونه اعترافاً بقيمة المجلة ودورها. وكنا قد أنشأنا مكتبة عامرة عن طريق خدمة التبادل الصحفي مع عدة دور نشر فرنسية، ومنها "نوفيل سيتي / المدينة الجديدة".

ليس من السهل أن تكون صحفيا في العراق

• هل كان صعبا عليكم العمل في مجلة للـــرأي غـــير حكوميـــة في عهد صدام حسين في العراق ؟

كان علينا أن نعمل بفطنة. فنحن لم نهاجم النظام وجها لوجه ابدا، وعندما نشرنا ملفا عـــن الدكتاتورية، تحدثنا، مثلا، عن نظام شاوشيسكو الحديدي في رومانيا،تاركين كـــشف النقـــاب الى قرائنا. لقد جاءنا أحيانا ألفات نظر: هكذا، مثلا، عندما وضعنا صورة صدام في الصفحة الأخيرة مـــن الغلاف بمناسبة نشر تهنئته باعياد الميلاد وراس السنة.. لم أعد أذكر في أية سنة. ولقد لاحظ لي ذلـــك مدير الأمن في الموصل في زيارة له لشأن آخر. واستطعت، في الأخير اقناعه بأن قـــوانين الـــصحافة تخصّص الصفحة الأولى من الغلاف للموضوع الرئيسي للمنشور الدوري، والصفحة الداخلية الأولى هي حصة رئيس التحرير، فيبقى أن انتباه القراء يتجه، والحالة هذه، إلى الصفحة الأخيرة.

ومرة أخرى استهدفنا، بصورة غير مباشرة، رقابة وزارة الأوقاف بمناسبة سحبها ورقة شهر شباط من تقويم ديني مسيحي بسبب تعليق لم يرق للسلطات. وفي مناسبة مؤتمر عام هاجمني الموظف المختص في الوزارة في مشادة مفتوحة. وكجواب لهذا الموظف، ولغلق الموضوع جازفت واستشهدت بعبارة لصدام حسين نفسه اذ شجع الصحفيين على الكتابة الحرة بقوله: "اكتبوا بحرية، رضيت الدولة أم لم ترض". وأضفت بوجه الموظف بصوت جهير مع ابتسامة: "هل لك اعتراض؟". وأغلق الجدل!

لقد حاول موظفو رقابة النظام أحيانا أن يحدّوا من حريتنا، ولكنهم لم يفلحوا، فمجلتنـــا لا تتطرق الى السياسة، وكان لنا دوما باب خلفي للخروج. كنا نحب مجلتنا، وكنا متحمـــسين لبـــذل الغالي والنفيس من أجل الاستمرار في نشرها، مما حتّم علينا توخي الحذر للوقاية من الـــضرر. ولـــو حدث شيء من هذا القبيل، لكان علينا وخيما! ولكن عندما استذكر تلك الحقبة، أرى أن الانتقادات اللاذعة جاءتنا بالأحرى من جانب المؤسسة الكنسية.

• لماذا ؟

مع محبتنا العميقة للكنيسة والأمانة لها، لم يكن بوسعنا السكوت على ما نعتبره تناقضا مـــع ذاتها، أو يشكل اختيارا خاطئا في مواقف رؤسائها المحافظين، وذلك لا حبا بالانتقاد، بل لكي تبقـــى الكنيسة هذا المرفأ الرائع للرجاء للناس، وبرهانا على أن الحياة أقوى دوما، وبـــأن مـــستقبلها رهـــن باختياراتها والتزاماتها الحاضرة.

لقد كدنا نسلّم المفاتيح مرتين: كانت المرة الأولى في عهد البطريرك بولس الثاني شيخو[١٠] ، في الثمانينات، بمناسبة مقال لم يرق لمجلس المطارنة الكاثوليك في العراق، مما أثار حفيظتهم ضد "انحرافات" الفكر المسيحي. ووصل الأمر بالبعض الى الايعاز الى خورنات بغداد بالكفّ عن توزيع المجلة. وقرر الأساقفة تشكيل لجنة رقابة على المجلة مهمتها قراءة مقالاتنا قبل نشرها، وأرسلوا لنا كتابا رسميا بهذا الصدد. رفضنا ذلك طبعا. وتشجع رئيس تحريرنا، مستندا الى تفهم مطراننا وتأييده، ووجه جوابا واضحا للمجلس بالرفض مستندا الى خطابات البابا بيوس الثاني عشر في حرية الصحافة. . و لم نستلم جوابا لتلك الرسالة !

أما الحادثة الثانية، فقد وقعت سنة ١٩٨٩، على اثر نشر صورة للبطريرك المثلث الرحمة بولس الثاني شيخو بمناسبة وفاته، خرجت قليلا عن حاشية العدد فتعرضت لبعض القصّ. فصار امتعاض عام لدى الكهنة الكلدان في العاصمة، متهمين ايانا، في رسالة مشتركة عامة، بأننا تعمدنا ذلك، وأسأنا الى ذكرى البطريرك القديس. فما كان علينا الا أن نلتجيء الى خلفه غبطة البطريرك بيداويذ ملتمسين وساطته وحكمه. وشرحنا له موقفنا حضوريا في بغداد، بحضور مطرانين من الدائرة البطريركية الكلدانية وممثلين عن الكهنة. وفيما توقعنا الأسوأ، خرجنا أخيرا من المأزق باعتذار علني على صفحات المجلة وبنشر نص رسالة الكهنة المحتجين. غير أن المواجهة كانت حامية !

• ألم تتعرضوا لمنع مؤقت، أو للرقابة الرسمية في أحد الأعداد، مثلا ؟

أبدا. أتذكر أنني في باب "همسات" الذي أوقعه باسم مستعار "أبو فادي"، طلبت مرة من البابا يوحنا بولس الثاني أن يفتح الباب أمام الإصلاحات في الكنيسة. وكان عنوان المقال من دون لبس: "رسالة مفتوحة الى يوحنا بولس الثاني" أوه! ان ما طلبته كان متواضعا حقا، فقد طلبت أن يؤخذ وضع الكاهن، ولو لمرة واحدة، بعين الاعتبار: دعوته، علاقته برؤسائه، لبس الثوب الأسود، عزوبيته، وضع الكهنة الذين تركوا الخدمة، التنشئة الدائمة، ظروفه المعيشية، والمادية والروحية. وترجم مقالي وأرسل الى روما دون علمي. فاستدعاني مطراني وأعلمني أن ثمة الفات نظر لي من فوق. فاكتفيت بالقول: " لا بأس، فالرسالة وصلت الى أصحابها". ولكن شيئا أكثر من ذلك لم يحدث!

• في سنة ١٩٩٥ تخليتم عن مجلتكم للآباء الدومنيكان العراقيين. لماذا ؟

لقد كان الأمر يتعلق بحياة المجلة. فلقد كان من الضرورة بمكان أن يستمر مشروعنا لخدمة كنيسة العراق، والحال ان جمعيتنا "جماعة كهنة يسوع الملك"، التي حملت هذا المشروع لم تتوسّع، و لم

---

(١٠) مار بولس الثاني شيخو، بطريرك بابل على الكلدان ١٩٥٨ – ١٩٨٩

تكتسب الحياة المشتركة أعضاء جددا. لقد بقينا في حلقة المؤسسين التاريخيين ومعنا بعض الكهنة المنفردين المنضوين معنا في الجمعية. فكان علينا التفكير بخلافة المشروع من بعدنا. وفي سبيل الديمومة فكرنا بالانسحاب وتسليم راية "الفكر المسيحي" الى مؤسسة كنسية ثابتة. وكان الآباء الدومنيكيون يمثلون، في أعيننا، هذا الثبات. وكانوا قريبين منا ايضا بالفكر والحيادية، وكانوا يتعاونون معنا في المجلة باستمرار. لقد كنا نشعر أننا واياهم في سجل واحد، فسلمناهم كل شيء من دون أي مقابل ولا شرط: الأرشيف، والمشتركين، والسمعة، والمستقبل. وهكذا تستمر المجلة اليوم في الظهور مع معاونين آخرين. لقد تقدمت المجلة في شكل تقديمها، وفي نوعية ورقها الصقيل، واني لأفرح لذلك، وان كان في قلبي غصّة. لقد احتلت "الفكر المسيحي" حيّزا كبيرا من حياتنا ككهنة يسوع الملك. لقد كانت بنتنا البكر!

• *أي نظرة تلقي اليوم على مشروعكم؟*

ما ننتظره من "الفكر المسيحي" هو أن تبقى مشعلا منيرا لقرائها ولكنيسة العراق. اليك كيف عبّرت عن أمانيّ في مقدمة كتاب يحمل مختارات من مقالاتي في "الفكر المسيحي" صدر عام ٢٠١٢ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على رسامتي الكهنوتية مع زملائي بعنوان: "من البيدر العتيق":

"الفكر المسيحي" تستمر مع اخواننا الدومنيكان العراقيين منذ ١٩٩٥ -وفيهم الكاتب المخضرم والمفكر الخبير والمربي -، حين سلمناهم اياها، بفرح وشراكة الزارع مع الحاصد، حقلا واعدا وأمانة وقناة اعلام لها أتباعها ، ومنبرا أثبت وجوده. واذا ما أدت رسالتها في مياه شبه هادئة في السنوات التسع الأولى بعد التسليم، فهي ، منذ ٢٠٠٣، تبحر في أمواج لاطمة ورؤية ما دون المعدّل، وبوصلة الاتجاه لازمة ليبقى الميناء نصب العيون. والميناء هنا هو كنيستنا وشعبنا. وكنيستنا وشعبنا بأمسّ الحاجة اليوم الى قراءة علامات الأزمنة، وللقراءة حاجة الى النور والاستنارة، حاجة القبطان الى الفنار! سيما وأن الساحة الإعلامية المسيحية العراقية صارت تعجّ بمختلف الصحف والدوريات، من غثّ وسمين" (ص ١٢).

في هذا الكلام ما يكفي للقراءة ما بين السطور!

• *الكتابة، الصحافة.. يبدو انها دعوتك الثانية، كهنوتك الثاني، اذا صحّ القول. ما الذي يجتذبك في هذه المهنة؟*

اني أحب عباراتك! ألم يقولوا عن مار بولس لو عاد اليوم، لكان صحفيا! ذلك لأن الصحافة تعطيك لسانا اضافيا، صوتا أقوى. انها قناة اتصال تضاعف قواك، وجسر يتيح لك الوصول الى الكبار والصغار. كل هذه الامكانات تضعها في خدمة الحقيقة والشفافية. الكلمة المكتوبة ليست

حيادية. الكلمة الصادقة هي ملتزمة دوما. ألا تكون مثل هذه الدعوة قناة لقول حقيقة الله، لحمل بشرى الإنجيل، للدفاع عن قضية الإنسان؟

يقال ان هذه المهنة تشكل السلطة الرابعة. أنا لا أعرف ايا من السلطات الثلاث الأخرى، ولكني اختبرت هذه الأخيرة. لقد كان شعوري بأني حامل "رسالة" عندما أجريت مقابلة صحفية في الفاتيكان مع الكردينال اتشيغاراي بعد عودته من زيارة أسرى الحرب العراقيين في ايران عام ١٩٨٧. وكان لي الشعور ذاته عندما قابلت البابا القبطي الأرثوذكسي شنودة الثالث وألقيت عليه اسئلتي في مقره البطريركي في القاهرة عام ١٩٧٥. اني أتذكر أني قلت للأب الدومنيكي الذي يضطلع الآن برئاسة تحرير الفكر المسيحي: "ستجلس مع بطاركة وكرادلة وتشعر بأنك مسؤول عن الكنيسة مثلهم أنت أيضا". ان الصحافة كلمة حية في حالة فعل دائم. يقول المثل اللاتيني: "المكتوب يبقى". لقد وصف بعضهم القلم بالسيف، وبسيف ذي حدّين. وان كنت شخصيا لا أحب المقارنات العنيفة!

الفصل الثامن

شاهد لتاريخ العراق

تتقاطع حياة المطران جرجس القس موسى مع تاريخ بلده. فهو ليس مراقبا، حسب، بل انه فاعل أيضا، بوصفه مسؤولا كنسيا. ولد في سنة ١٩٣٨، أي بستة أعوام فقط بعد استقلال بلاده الكامل (١٩٣٢). وكان له من العمر عشرون عاما عندما سقطت الملكية. انه شهد مجيء صدام حسين، واستلام السلطة من قبل البعث، الحزب الواحد. اجتاز الحرب مع ايران بألم (١٩٨١ - ١٩٨٨)، وشهد حربي الخليج (١٩٩١ و ٢٠٠٣)، والحصار الذي عاقب بلاده، كما يشهد اليوم تفاقم العنف في بلاده. وقد عاش خبرة اختطافه، هو نفسه، مع التهديد بالموت. هذا الشاهد الحقيقي يقصّ تاريخ العراق...

- ***اذا سمحت، قليلا من التاريخ. يوم ولادتك عام ١٩٣٨، كان العراق قد نال استقلاله تماما منذ ست سنوات[١١] . وكان النظام ملكيا وغير مستقر بعد. في سنة ١٩٥٨ قتل الملك فيصل الثاني. كيف عشتم حقبة الانتقال الى نظام جديد في قره قوش؟ هل تعرضتم للخضات السياسية التي هزّت بغداد العاصمة ؟ أم كانت مدينتكم الصغيرة في الشمال تعيش منكفئة على ذاتها، بعيدا عن الصراعات التي تهز بلادكم؟***

لقد كان أهلي، وأصدقائي، وأبناء محيطي الأقربون يميليون الى الملكية بالفطرة. وكانت قره قوش المحافظة تتساءل ما الذي ستأتي به الثورة من صالح! لقد بكى القره قوشيون الملك الشاب فيصل الثاني عندما سمعوا بقتله يوم ١٤ تموز ١٩٥٨. فلقد كان شابا، ومخطوبا، ومحبوبا، ويمثل الاستمرارية الهادئة. الشعب البسيط لا يحب خرق النظام السائد، فالثورة تهزّ وتربك، تحطّم العادات التقليدية، تنجب المجهول، وتثير المخاوف. غير ان الجميع انتهوا في آخر الأمر الى قبول الأفكار الجمهورية الجديدة.

كنت في العشرين من عمري آنذاك، وكنت تلميذا في قسم الكبار في معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل. وبعكس معظم ذويّ لم أكن ضد حكم جمهوري خلّص البلاد من سلالة جامدة، فلقد كنت أتمنى أن تتحرك الأمور. أني أذكر أن أحد اساتذة المعهد طلب اليّ عام ١٩٥٧، أي سنة قبل سقوط النظام الملكي، أن ألقي درسا نموذجيا على زملائي في الصف، حول الأنظمة السياسية المختلفة في العالم. واصطففت حينها بوضوح الى جانب النظام الديمقراطي الجمهوري.

ولقد رأى العراقيون في ١٤ تموز الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ صورة استباقية لثورتهم في اليوم عينه، أي ١٤ تموز ١٩٥٨. واذكر يوم الذكرى الأولى لقيام الجمهورية كيف كانت قره قوش مزينة بصور كبيرة لسيد البلاد الجديد عبد الكريم قاسم، وبشعارات تمجده في الشوارع. ونظم معلمو المدارس مسيرة كبرى في الشارع الرئيسي للبلدة، وحظي أحد التلامذة الاكليريكيين بامتياز القاء كلمة رسمية في المهرجان لتمجيد قائد الثورة. ولقد انتشلت الإعجاب فرقة طالبات مدرسة الراهبات بزيهنّ الشعبي البخديدي. أقول هذا كي تعلم كم كانت فكرة "الثورة" و"الجمهورية" قد غزت القلوب والنفوس!

---

(١١) استقلال العراق التام: نهاية الانتداب البريطاني وقبول العراق كدولة كاملة السيادة في عصبة الأمم في تشرين الأول ١٩٣٢.

• هل كانت الشيوعية ايضا قد اكتسبت الشعبية ذاتها في العراق، في تلك الحقبة؟

لقد كان الشيوعيون يرجعون صدى الخطاب الجمهوري في البلاد. ولكن، اذا اكتسب الحزب الشيوعي مناصرين له في المدن الكبرى، فقره قوش ظلّت عصية للخطاب الماركسي. ذلك أن الالحاد كان يصدم شعبنا المتجذر في الايمان وفي الأرض والواقع اليومي. بين ١٩٥٨ و١٩٦٨ عشنا على وتيرة الانقلابات العسكرية التي كانت تتوالى، وكنا نستبدل أسيادنا بوتيرة متسارعة. وما كان يحرّك المسيحيين في قره قوش وفي غيرها من القرى المسيحية، في العهد الجمهوري، هو بالدرجة الاولى ضرورة أن يشعروا أخيرا بأنهم مواطنون حقا، ولهم الحقوق ذاتها مثل سائر العراقيين المسلمين المنتمين الى الطوائف والمذاهب الأخرى: هذا كان مقياس الأولويات عندنا. وبعد سنوات استولى البعث على السلطة عام ١٩٦٨، فابتدأ عهد صدام حسين.

• بعد الثورة العراقية عام ١٩٥٨ وسقوط الملكية، انغمست في قراءة ماركس لكي تفهم الشيوعية بصورة أحسن، وتتمكن من مناقشة الناشطين العراقيين؟ هل هذا صحيح؟

"انغمست في قراءة ماركس"! كلام مبالَغ فيه! لقد كنا في المعهد، اضافة الى دروسنا، نقوم بزيارة العوائل المسيحية في منطقة الموصل الجديدة، اثنين اثنين. وكنت أقوم بهذه الرسالة بمعية رفيق آخر في هذه المنطقة الشعبية الواقعة في القسم الغربي لمدينة الموصل. وفي أعقاب ثورة تموز ١٩٥٨، انتمى أو انجذب عدد من الشباب المسيحي الى الشيوعية التي كانت تقدم نفسها بمثابة ميناء التحرر والانعتاق للأقليات وللعمال والمحرومين. وكنت قد قرأت كتاب "الساعة الخامسة والعشرون" للكاتب الروماني فيرجيل جورجيو الذي يشرح ستراتيجية الماركسيين التوسعية والقمعية، واسلوبهم في كسب القلوب. وكنت أحب أن أتناقش في هذه الأمور مع الشباب المنحازين الى الشيوعية بغية تنويرهم. وهكذا ، ومن أجل تغذية هذه الأحاديث، قمت بقراءة كتابات مفكرين ماركسيين. وكم من جلسات، كان بعضها حاميا.. كم من نقاشات حادّة في بيوت هذا الحي!

• هل أثارت الشيوعية عندك موقفا عدائيا مباشرا ؟

الى جانب شكي في نواياهم، كان يحركني فضول كبير للمعرفة. لقد كنت عازما على مواجهة هؤلاء "المجاهدين التقدميين" المزعومين. اني لم أصدّق ولا آمنت بالشيوعية ابدا، ولا بفلسفتها الملحدة، ولا بـ "غدها المشرق".. الذي كانت ترده أبواق "أنصار السلام" في الموصل.

لقد عدت الى قراءة الماركسية لاحقا في الجامعة، بين عـــامي ١٩٧٧ و ١٩٧٩، كـــأداة للتحليل والتفكير الاجتماعي. أعود الى الخمسينات لأقول بأن هذه السنوات انجبت حراكـــا فكريـــا عارما في المجتمع العراقي. فلقد قلّبت الأفكار وشحذت العقول في بلد جامد كما في قالـــب ثابـــت. وبالنسبة لي، فتحت عينيّ على السؤال الحقيقي، على المعنى الحقيقي للوجـــود: الإنـــسان وعلاقتـــه "باللامنظور"؛ الإنسان وعلاقته بالإنسان الآخر. وفي الحالتين هناك مواجهة بين الذات والضمير. لقد أعطى الله للإنسان هذه الأداة الضرورية التي لا يمكن تجاهلها، أي الضمير: هذا الحكم المحايد في داخل الإنسان كلما كان وحيدا مع ذاته الباطنية. فحتى لو أقدم احدهم على القتل وبرر ذلك زعما باســـم دينه، أو شريعته، فعندما يكون وحيدا مع ذاته، لا بدّ من أن يقوم الضمير بعملية تقيـــيم للتبريـــرات المزعومة باسم "ديانته" أو "شريعة" مذهبه، فينبهه الى أنه قد اساء التصرف، الى أنه لا يحق له أن يقتـــل باسم الله، الى أن السلطان على الحياة ليس من اختصاصه، وان هذا السلطان هـــو الحـــق الوحيـــد الذي لا يملكه.

ان ما كنت ارفضه في الشيوعية هو نكران الفرد البشري لصالح المجموع؛ نكران الروح في كل أبعاده الفكرية واللاهوتية، لصالح المادية الملموسة؛ أخيرا نكران الحياة الأخرى والخلود. ان الكلمة العربية "خلود" ومعناها "ديمومة البقاء، حياة دائمة" هي أكثر ايحاء من الكلمـــة الفرنـــسية المرادفـــة (Immortalité = عدم الموت). اذا كانت الكلمة الأخيرة للموت، فلا معنى للوجود البشري غـــير "الياس"، ولا مبرر لما تبذله من تعب ومشقة في حياة بشرية لا تأخذ غير هذا الحيّز الضئيل من الزمن. هذا ما فهمه القدماء الذين لم يكونوا اقل منا فلسفة، على طريقتهم الخاصة، حين فكـــروا "بديمومـــة البقاء"، أي الخلود.

الخلاصة: لم تكن الأفكار الشيوعية تنسجم مع ايماني وقناعاتي الدينية والانسانية. لم أحتمل أن يكون الإنسان مجرد حلقة في الماكنة الإنتاجية الجماعية؛ أن لا يكون له معنى في الوجـــود خـــارج المجموعة. من جانب آخر، لي حساسية خاصة تجاه دكتاتورية حزب سياسي ما وتفرده في الحكـــم، وكذلك تجاه تأليه الزعيم، أيّ زعيم. كما يزعجني تحريك الجماهير كالآلة الطيعة الـــصماء. ومـــن جانب آخر، كان الاستعباد للاتحاد السوفييتي يستلب الناس استلابا بكل معنى الكلمة، فكنـــت أرى أن العراق ذاهب الى دمار قيمه، وتاريخه، وهويته. ولم يكن يجذب انتباهي في الماركسية سوى فكـــرة الانعتاق، والتحرر، وتقرير المصير... ولكن لا معنى لكل ذلك الا ضمن حريـــة الإنـــسان وكرامـــة الشخص البشري.

● *هل كانت خضّة الخمسينات – الستينات مفيدة لك أيضا ؟*

مع هذا الانقلاب الفكري، رايت نفسي مهتما بالفلسفات والمفاهيم المتـــضمنة في "الماديـــة الديالكتيكية"، وعرضها لاختبار المواجهة مع الفلاسفة المسيحيين واللاهوتيين والمتصوفين. وكنت أقرا

أحيانا جريدة "طريق الشعب" وأسجل في حواشيها ملاحظاتي بقلم الرصاص. وكنت في الوقت عينه معجبا بمفكرين مؤمنين مثل عمانوئيل مونييه، ودانيال روبس، ودانييلو، وبرغسون ... وغيرهم من فطاحل الفكر الفلسفي المسيحي الحديث. وكنت أقرا الرسائل البابوية حول القضايا الاجتماعية، مثل "الشؤون الجديدة" (Rerum Novarum)، و"في السنة الأربعين"(Quadragesimo Anno)... وكنت، مع زملاء آخرين، نغرف من نصوص اليسوعي ايف كالفيز حول الماركسية وعالم العمال. وكنت من ثمّ أذهب لمناقشة المندفعين الى الشيوعية في الموصل، من دون عقدة ولا تكلّف، لكي أحمل اليهم الرأي السديد. ولقد زرت يوما أحد الأصدقاء في سجن كركوك، وتناقشت معه في زنزانته، قعودا على الأرض.

• *"من دون عقدة ولا تكلّف"* ؟

يا لغرابة تلك الأيام! أتذكر كاهنا راهبا موصليا عضوا في منظمة "أنصار السلام"، يتحدث بحماس عن اكتشافه لموسكو، وكنت أتناقش معه بحماس لا يقل عنه. كان كل شيء مختلفا بيننا، ما عدا احترام ومحبة هذا الشعب. وقد حدث في تلك الحقبة أن مسيحيين تكلموا من دون عقدة أو تكلّف في الجوامع مع المسلمين. لقد كانت علاقاتنا مع الشيوعيين صاخبة، ولكنها بقيت في نطاق الفكر. فلقد كان الناس البسطاء لا يعرفون تماما ماذا يحدث، ومن الذي يقود الأفكار والجماهير. ولكننا ما كنا نشعر بالخوف الذي نشعر به هذه الأيام من تيارات المتطرفين والسلفيين التكفيريين، مع ما يشيعونه من فزع الخطف والقتل، وذلك بسبب كلام أو موقف. لست افاضل بين هؤلاء وأولئك، ولكنه مجرد استنتاج.

• *ولكن في ١٩٥٨، ليس الشيوعيون الذين استولوا على السلطة في العراق، بل الجيش والقوميون.*

اننا نجد هذا النموذج في الثورات العربية في ٢٠١١: الذين يطلقون الثورة ليسوا من يقتطفون الثمار مباشرة. غيرهم ادهى منهم يعرفون من اين تؤكل الكتف. يبدو أن الشباب الديموقراطيين التونسيين، والمصريين، والليبيين وغيرهم ممن اسقطوا الأنظمة الدكتاتورية مرغمون اليوم الى العودة الى الصفوف، وقد سرقت منهم ثورتهم على يد الإسلاميين والجيش.

• *سنعود الى هذا الموضوع. ولكني أراك غير مرتاح لما سمي في الغرب بـ "الربيع العربي"، والثورات المختلفة التي هزّت المغرب والشرق الأوسط في ٢٠١١..*

"الربيع العربي"! يا له من تعبير جميل! الغربيون يحبون مثل هذه العناوين. أما نحن العرب، والمسيحيون خاصة، ننظر الى الواقع كما نعيشه فعلا . الربيع فصل جميل رائع، كله ورود، وشمس،

وحب. ولكن كيف يستمر هذا الربيع ويبنى على العنف والموت والدمار؟ أنا لا أتأسف على الدكتاتوريات، ولكن اذا استمررتم تصفون ما يجري حاليا في بلادنا بالربيع، فاقترح عليكم، من الآن فصاعدا أن تسمّوا الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ "بالربيع الفرنسي".

ان لهذه الثورات، لهذه التغييرات، ولهذا النوع من الحراك، وهذه القرارات الأممية رائحة قاتلة، رائحة المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للقوى الخارجية، مثل ايران والعربية السعودية، وأوربا، وأميركا. لقد حمت أوربا وأميركا بكل راحة بال، ولعقود عديدة، هذه الأنظمة الدكتاتورية التي تريد اسقاطها اليوم، هي نفسها. هناك كثير من المراءاة والنفاق من كل جانب. ولقد نال العراقيون حصتهم من التخدير بهذه الأكاذيب طيلة الأعوام الأخيرة!

١٩٨٠ – ١٩٨٨ /الحرب بين ايران والعراق: مأساة دامت ٨ سنوات

• *في سنة ١٩٨٠ استعرت الحرب مع ايران. كيف تعاملتم مع هذا الصراع في"الفكر المسيحي" ؟*

لقد كانت الحرب زمنا مؤلما جدا لجميع العراقيين. مأساة دامت ثماني سنوات، وقد ملأنا صفحات كثيرة من "الفكر المسيحي" ضد هذا الحدث اللامعقول الدموي. ولكنه كان علينا الالتفاف حول الموضوع لعرض أفكارنا السلمية، لأن دعاية النظام كانت تطبّل لمعسكر البواشق (المتحمسين للحرب)، وتعتبر الحمائم (السلميين) خونة وجبناء، ولم يكن المزح في هذا الموضوع مباحا. لن أنسى كيف أن صدام حسين قدّم يوما في التلفزيون نموذجا للبطولة: والد قتل ابنه بيده لأنه هرب من الجبهة: يا له من نموذج بشع للمواطنة يقدَّم فيه أب يقتل ابنه بيده! فالأب أب لابنه، والأبن ولد لأبيه، مهما كان الظرف!

في باب "همسات" كتبت رسائل وهمية من جنود في الجبهة يعبّرون عن مقتهم للحرب، وعن رغبتهم في أن يعودوا بسلام الى بيوتهم. وفي سبيل الموازنة وعدم اثارة الشك في هذه الكتابات المبطنة، كنت أنخى بالقارئ أن حظه سعيد في "كونه عراقيا اليوم، ومواطنا في جمهورية تبغي التقدم والانفتاح". لقد كنت ازن كل كلمة، كل جملة، بعد تفكير عميق: عين على مأساة الحرب التي يعيشها الشعب العراقي، وعين على باب الطوارئ! لقد كنا نراهن على هامش حرية الاعلام المتاح لنا...

• كيف عشتم هذه الحقبة في قره قوش؟

لقد كانت المحنة قاسية جدا لبلدتنا. فكنا كل أسبوع تقريبا نشيّع أحد شبابنا. كم من الحيوية، والمادة الخام، ومن الطاقة البشرية فقدنا! وكم من عائلات تحطمتْ! ١٦٥ شهيدا في ثماني سنوات، وحوالي ٤٠٠ جريح، اضافة إلى المفقودين، وبعضهم الى يومنا هذا. لقد أقيم نصب للشهداء في قاعة خاصة، في مركز المدينة، يحمل اسماء الشهداء وصورهم وتواريخ الولادة والاستشهاد: أطباء، ومهندسون، وضباط، وجنود بسطاء، ومثقفون، وموظفون... شباب وارباب عوائل. وتبرز في وسط هذه القاعة خوذة التقطت من أرض المعركة، للشهادة. اننا، في تقليدنا العراقي، ندعوهم شهداء، ولكن لا شيء يغيّر وجه الحقيقة المرة بالنسبة لذويهم: لقد فقدوا فلذات أكبادهم. لقد كانت الحرب مجزرة حقيقية، لا زلنا نتحمّل تبعاتها حتى اليوم. جيل كامل ينقرض. ليس ثمة عائلة الا وقد فقدت أحد أولادها أو أقربائها، أو تعوّق أو فُقد. لم يمر يوم الا ووافتنا امرأة تشكو ضيمها وسط دموعها، بموت او فقدان او جرح أحد أعزائها: لا زلت اذكر هذا حتى اليوم. لقد كان الخطاب الرسمي يجمّل الصراع العنيد بتسميته "قادسية صدام" أو "القادسية الثانية" تيمنا بالمعركة الأولى التي تغلّب فيها الجيش العربي الإسلامي الفتي على الفرس في جنوب العراق. اختيار محمّل بايديولوجية مبطّنة!

في سنة ١٩٨٧، أي سنة قبل نهاية الحرب، كنت في فرنسا، وقرأت الصحف، اذ وصفت الحرب بكلمات تنمّ عن ان المعركة قد حسمت، ضمن ستراتيجية سياسية، وأن الصواريخ الفرنسية الصنع التي كانت تطلق من العراق قد نجحت؛ كما حملت الأخبار تصريحات للمسؤولين، وإحصائيات للقتلى والجرحى... في كل ذلك كان الإنسان في قيمته الذاتية مغيّبا! أما أنا فكنت، في قره قوش، أسمع بكاء الأرامل، واشعر بنظرات الأطفال الذين فقدوا آباءهم، والوالدين الذين قُتل أبناؤهم، والنساء اللواتي فقدن أزواجهن. لقد سمعت مأساة هذه العروس الشابة التي غادرها عريسها إلى الجبهة غداة ليلة عرسها، وأعيد إليها مقتولا بعد أسبوع. واذ فقدت الزوجة الشابة صوابها، بسطت فراش عرسها وسط الشارع، لدى تشييع زوجها، والقت بنفسها عليه، فاقدة رشدها. واني لأتصوّر أيضا كل هؤلاء الهاربين بمناسبة احدى اجازاتهم، كيف نفذ فيهم حكم الإعدام رميا بالرصاص، محتقرين كخونة دون أن يكترث بهم أحد. لقد اختلط دم الجميع، مسلمين ومسيحيين في هذه الحرب.

بداية جحيم لا نهاية له

• سنة ١٩٨٠: كانت هذه الحرب بداية جحيم للعراق لا نهاية له...

من دون أي شك. ان اقتصادنا الذي كان ممتازا بفضل النفط والزراعة، أخذ يتدهور. وبينما ذهب الرجال الى الحرب، حلّت محلّهم يد عاملة أجنبية قادمة من الخارج، ومن مصر خاصة.

وحتى نظامنا التدريسي فقد من فاعليته، اذ ان عددا كبيرا من المعلمين التحقوا بالجبهة. وفي سبيل تهدئة الشعب وتبرير اختيار الالتزام بهذا الصراع العديم الفائدة، كانت حكومتنا، مدفوعة لربما من قبل حلفائها، بتوزيع أموال النفط بسخاء تحت اشكال مختلفة. فكانت الدولة تغري الشعب بتوسيع القدرة الشرائية، ما عدا مواد الترف التي حمّلتها ضرائب عالية جدا. فالأسواق العراقية لم تشهد ثراء بهذا القدر، خلاف ما يحدث عادة اثناء الحروب. اذ كانت الأرصفة تعجّ بالأجهزة المترلية، والمواد الغذائية، والمشروبات الكحولية. كما كانت السلطة تعوّض بسخاء الأسر المنكوبة أو التي لها اسرى حرب، لكي تنسى ألمها. فتملّك الناسَ شيءٌ من الانحراف، حيث كان المال يعمي ويبهر، ويفقد كل تعقّل لدى المواطنين. وهكذا أثرت أقلية صغيرة بشكل مخز، فكان الضباط يتقاضون مكافآت دهينة من جنودهم لقاء اعفائهم من دوام الخدمة العسكرية، أو عن الاجازات التي يمنحونها للجنود. بكلمة واحدة، كانت أقلية ما تغتني، بينما تفتقر أكثرية الناس. وكانت دعاية النظام تثير أعلى درجات الحقد ضد جيراننا الإيرانيين. لا زلت اذكر الحادثة التالية التي وقعت بضعة شهور بعد بدء الحرب: كنا في غرفة جلوس العائلة، عندما أعلنت نشرة الأخبار التلفزيونية مقتل أربعين ايرانيا، في هجوم للجيش العراقي، واستشهاد سبعة عراقيين فقط. فهبّ صبي في العاشرة من عمره، وأخذ يصفّق ويهتف أمام شاشة التلفزيون، متفاخرا بقدرات الجيش العراقي. لقد شعرت بحزن عميق أمام فرح هذا الطفل الموبوء بالدعاية العامة، اذ لم يفكر بأن أمهات في أربعين أسرة إيرانية، في الطرف الآخر، يبكين لفقدان أولادهنّ !

اني لم أتعاطف ابدا مع هذه الحرب. ففي المساء، عندما كانت نشرة الأخبار تعطي خلاصة النهار في برنامج "صور من المعركة"، كنت أدير وجهي لئلا أرى الجثث المبعثرة في ساحة الحرب. اني لم اكن أحتمل بشاعة المشهد، ولا اختيار آية من القرآن كل يوم لتتصدّر البيان العسكري. ولقد رفضت أن يدرج اسمي بين وفود رجال الدين الذين كانوا أحيانا يُدعون لزيارة الجبهة كبادرة تضامن مع الجيش.

اني أرى اليوم كل الأضرار، النفسية والمادية معا، التي أفرزتها تلك السنوات السوداء. وكل ذلك لنفضي في ١٩٨٨/٨/٨ الى رسالة معلنة وجهها صدام حسين إلى الرئيس الإيراني لقبول السلام، ناعتا اياه بلقب "الأخ رفسنجاني"! في الحروب لا يوجد سوى خاسرين. هل يعرف دعاة حقوق الإنسان في فرنسا وفي العالم الغربي، أن بعد ٢٤ عاما على انتهاء الحرب، لا زال هناك أسرى حرب عراقيون يجهل ذووهم مصيرهم؟ علاوة على اننا لم نكن نعرف ان ذلك الصراع لم يكن سوى بداية صليب طويل للعراق.

• *أكثر من عشرين سنة من الحرب والحرمان من دون انقطاع!*

بعد الحرب مع إيران بسنة، احتل الجيش العراقي الكويت في ٢ آب ١٩٩٠. والأحداث هي أن الأمارة الصغيرة الجارة للعراق قدمت، وبخشونة، فاتورة الأسلحة التي قدمتها أو دفعت ثمنها

لحساب صدام حسين في حربه ضد "الفرس"، ناسية أن العراقيين قاتلوا وقُتلوا دفاعا عن عرب الخليج. وأعلنت الولايات المتحدة الأميركية موقفا ظاهره حيادي في اول الأمر، اذ صرّحت بريـــاء بلـــسان سفيرتها ابريل كلاسبي بأنها لن تتدخل في هذا الصراع الجديد، معتبرة اياه شأنا داخليا. ولما دفع صدام جيشه لاقتحام الكويت، غيّرت رأيها، فجيّش بوش الأب الاسرة الدولية، وضرب بلادنا.

لقد استغرقت حرب الخليج الأولى بضعة اسابيع (من ١٧ كانون الثـــاني الى ٢٧ شـــباط ١٩٩١)، ولكنها دمّرت البنى التحتية للعراق، وفرضت علينا حصارا لا انسانيا مدة ١٢ سنة، حصارا طال الشعب العراقي وليس النخبة الحاكمة. ثلاث عشرة سنة من الحـــصار علـــى المـــواد الغذائيـــة الأساسية، على الأدوية، والثقافة، واستيراد كافة الأجهزة التقنية، على التبادل التجاري، وتصدير النفط الذي كانت الأمم المتحدة تشرف على بيعه، وعلى استخدام المطارات العراقية والطيران من العـــراق. هل تعلم أنه كان علينا، طيلة هذه الفترة، قطع ١٠٠٠ كم بالسيارة، وسط الصحراء، من بغـــداد الى عمان، للوصول الى اقرب مطار دولي؟ هل تعلم أن الطائرات العراقية المدنية ظلت جاثمة محاصَرة طوال اثني عشر عاما في مطارات الدول الأخرى؟ وهل تعلم أننا نعاني حتى الآن من تبعات هذا الحـــصار؟ فحتى الآن لا زالت أرصدة الدولة العراقية مجمّدة، مع تراكم ديونها الخارجية، بما فيها التعويضات الـــتي تطالب بها الكويت. ومن نتائج معاناتنا أيضا النقص الهائل في الطاقة الكهربائية الوطنية الـــتي لا تـــوفر للمواطنين سوى ثلاث ساعات كل ٢٤ ساعة. وهذا كله أوصلنا سنة ٢٠٠٣ الى حـــرب الخلـــيج الثانية واحتلال اراضي بلادنا على يد الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها. يا للوقاحة!

٢٠٠٣ /كذبة بوش الابن وطوني بلير

• بعد أربع سنوات من تسلمك أبرشية الموصل، تنفجـــر حـــرب الخليج الثانية عام ٢٠٠٣ ، وهذه المرة على يد بوش الابن. كيف كانت حالتكم النفسية عندما دخلتم في هذه المأساة الجديدة ؟

لقد ثرنا لهذا الوضع. ان هذه الحرب التي أرادها بوش الابن استندت الى كذبـــة كـــبرى، فبحسب الرئيس الأميركي ومعاونيه كان صدام حسين يملك اسلحة الدمار الشامل التي تهدد "العـــالم الحر والديمقراطي". وأضاف الى ذلك تهمة ارتباطه بعلاقات متينة مع ارهابيي القاعدة، الـــذين دبـــروا الهجوم على برجي نيويورك في ١١ أيلول ٢٠٠١. فبذريعة هذه الجريمة البشعة التي لا اسم لها، احتلت

الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون العراق في ١٩ آذار ٢٠٠٣، فسقطت بغداد في ٩ نيسان، وبعد ثلاثة ايام أو أربعة كان الأميركان في كل مكان. غير أن العراقيين، من أولئك الذين صدّقوا شيئا من وعود الرخاء الموعود به من قبل الإدارة الأميركية، سرعان ما خابت آمالهم. اني لست ساذجا، فهذه الحرب هي نموذج صارخ لإقرار حق الأقوى ليس الا. انها حرب قادتها القوى العظمى للحفاظ على مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية في المنطقة، فرائحة النفط تلفّ هذه العملية. ومرة أخرى يكون الشعب العراقي هو الذي يدفع الثمن.

- ***أنت الهادئ في طبيعتك، نراك غاظبا حقا عندما تتكلم عن هذه الحقبة!***

نعم. بودي لو صرخت بوجه بوش وبلير[١٢] : "من أباح لكما أن تدمرا بلادي باسم كذبة؟ لقد أكدتما لنا أنكم، بعد مروركم عندنا، ستقضون على الدكتاتورية، وتأتون بالرفاهية والديمقراطية. والحال انكم غادرتم بلادنا في نهاية ٢٠١١، وتركتم وراءكم بلدا خربا وعرضة للحرب الأهلية، بلدا ملغوما بجرائم الارهابيين".

لخلع دكتاتور هل كان من الضروري تحطيم كل البنية التحتية للبلد، وتخريب الجامعات، والغاء الجيش والشرطة، ونهب المكتبة الوطنية والمتحف العراقي، وتدمير ابنية الوزارات باستثناء وزارة النفط التي حافظتم عليها من اي اذى؟ كم سنة يلزمنا للنهوض من جديد والعيش بأمان مثل المواطنين الأميريان والبريطانيين ؟

- ***في أحد لقاءاتنا في العراق قلت لنا: "الله ليس ساذجا. فلقد أعطى للإنسان ضميرا. قد يقتل أحد باسم دينه، غير أن ضميره سيستيقظ آجلا أم عاجلا". هل تظن أن ضمير السيدين بوش وبلير يقلق نومهما ؟***

أنا لست رقيبا على دواخلهما، ولا أدين الضمائر. ولكن اذا التقيتم بهما يوما أنتم الصحفيين، فالقوا عليهما هذا السؤال. مع أني أتجرأ لأظن أنهما اذا عادا الى صوت ضميرهما، سينوءان تحت ثقل البؤس والمآسي التي زرعاها في بلادنا. ولكنني أدين بالقوة ذاتها هجوم الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك. كم من ضحايا بريئة!

---

(١٢) طوني بلير، رئيس وزراء بريطانيا، لدى قيام حرب الخليج الأولى في ٢٠٠٣.

● ألم يكن صدام دكتاتورا، اذن ؟

كان ثمة حلول أخرى لإسقاطه من دون الحاجة الى تحطيم بلد وشعب. لماذا لم تأخذ الولايات المتحدة بأيدي الديمقراطيين الذين كانوا يناضلون داخل العراق؟ ألم يسقط الأمير كان أنظمة كثيرة (شيلي، مثلا، في ١٩٧٣) عندما كان ذلك يخدم مصالحهم، من دون الحاجة الى قصف وتدمير؟ هل ينبغي تدمير مبنى تدميرا كاملا لملاحقة فأرة ؟ هل يلزم محو وطن كالعراق من خارطة العالم كي يزاح دكتاتور من مكانه ؟ يبدو أن حق التدخل صار يعني حق الأغنياء والأقوياء في تدمير الضعفاء والصغار. تخيّل لحظة بلدك فرنسا وقد احتلتها دولة أخرى، كروسيا أو الولايات المتحدة، باسم الديمقراطية! تصور صروحكم التاريخية، وقصوركم القائمة على شواطىء نهر لوار، وباريس عاصمتكم، وتراثكم القومي .. تصوروها تنهار كلها تحت القنابل الأجنبية! ماذا كنتم ستقولون ؟ كيف سيدافع السيد بوش عن نفسه أمام المحكمة الدولية في لاهاي، لو استدعي اليها؟! ولو تمّ ذلك يوما، لن يكون هذا الاستدعاء الا حقًا وعدلاً!

الفصل التاسع

رئيس الساقفة في ١٩٩٩ "المعارضة في الحكم"

• القسيس القره قوشي البسيط، الشريك في تأسيس جماعة كهنة يسوع الملك، يصبح رئيس اساقفة الموصل في ١٩٩٩. هل غيّرت حياتك هذه المسؤولية ؟

نعم، قلبت اطار حياتي راسا على عقب. ففي الواقع لم اضع الأسقفية قط في خططي المستقبلية، لذا لم اعتبرها كترقية البتة، وانما كمهمة كنسية. بل قلت مازحا لمطراني حين اخبرني بانتخابي، وقد رضخت بعد تمنّع: "هوذا المعارضة "في الحكم"، فعلى هذه المعارضة أن تكون عند حسن الظن بالأفعال"! واضطررت الى لبس الثوب الأسود، انا الذي ما كنت ألبسه الا في الاحتفالات والرسميات.

بصفتي كاهنا، كنت مطّلعا على الجهود الراعوية في مختلف الرعايا، فكانت مهمتي الاولى تنظيم الجهد الراعوي في أبرشيتي. وأخذت أعقد اجتماعات شهرية دراسية لكهنتي، وأقوم بزيارات راعوية لعدة ايام خارج الموصل. وكانت أبرشيتي تعانق كل القسم الشمالي من العراق، ومن ضمنها كردستان، وكانت قره قوش تحتل المكانة الكبرى في الأبرشية، ليس لأنها مسقط راسي، بل لأنها تمثل أكبر مركز في الأبرشية من حيث عدد مؤمنيها، وغزارة الدعوات الكهنوتية والرهبانية فيها، ومن حيث أنشطتها الثقافية والراعوية والليتورجية. وكانت تستحق مني أن اقضي فيها مدة الصوم الكبير كله وأزور جميع العوائل، بيتا بيتا، بمعية أحد الكهنة. وكنت احتفل بالذبيحة الالهية كل أحد في احدى كنائسها الخمس، كما كان الأحد الأخير من الصوم مخصصا ايضا لجماعة السريان الأرثوذكس الصغيرة. لقد استغرقت جولتي الاولى في الزيارات ثلاث سنوات. واهتممت بتنشئة المرشحين للكهنوت، والعناية باكتشاف صدق الدعوات.

لقد اتخذت رؤيتي لكنيسة العراق وجها جديدا. فبصفتي اسقفا، قد أصبحت بالفعل ذاته عضوا في الجسم الأسقفي، اذن مسؤولا شريكا عن هذه الكنيسة. ولكن كوني "في الحكم"، اذا صحّ القول كما اسلفت، لم يترع عني دوري الراعوي، بل كنت اشعر بأني اقرب الى القاعدة مما الى القمة. وهذا ما كان يعطيني شيئا من حرية الراي في اجتماعات الأساقفة، فكان أول همّ لي هو تشكيل مجلس دائم مشترك للأساقفة الكاثوليك والأرثوذكس في الموصل بهدف تنسيق الجهد الراعوي العام (الصعيد الداخلي)، وتنسيق علاقاتنا مع الدولة والأنشطة المدنية (الصعيد الخارجي). وأنشأنا "المجلس" سنة ٢٠٠٠، وضمّ مطارنة السريان الكاثوليك، والكلدان، والسريان الأرثوذكس، والآشوريين، وكذلك مسؤولي طوائف الأرمن الأرثوذكس واللاتين في المدينة. ولقد اختاربي زملائي منسّقا للمجلس، وبقيت في هذه المهمة حتى نقلي الى بيروت في ايار ٢٠١١. ولما

توسّع المجلس عام ٢٠٠١ ليضمّ المطارنة الكاثوليك والأرثوذكس للمنطقة كلها، دعي باسم "مجلس مطارنة نينوى".

لقد لعب هذا المجلس دورا رائدا في منطقة نينوى بعد أحداث ٢٠٠٣: فلقد كان بمثابة قناة الاتصال والتواصل بين الكنائس والمجتمع المدني، وعمل على اقامة التعاون الناشط فيما بين الأحزاب السياسية "المسيحية". وبمبادرة من "مجلس مطارنة نينوى" تمت عدة اجتماعات مشتركة بين "المجلس" وممثلي الأحزاب المسماة بـــ "المسيحية" بمناسبة انتخابات ٢٠٠٨.

- ***بالإضافة الى جهودك في توسيع العلاقات بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية.. قد اجتهدت في اعطاء دور أوسع للعلمانيين ؟***

ان السلطة الكنسية لم تعد المرجع الأوحد للجماعة المسيحية في العراق، كجسم اجتماعي ومصالح سياسية. فهناك علمانيون منخرطون في العمل السياسي يظهرون على الساحة، ويحملون هموم المصالح السياسية والمدنية للجماعة المسيحية والمشاركة في المسؤولية مع المؤسسة الكنسية. هذه السلطة ذات الرأسين لم ترق كثيرا للسلطة الكنسية، فتواجه الفريقان في أزمة صامتة. وبرأيي، لا يمكن لقيادة الشأن المسيحي في العراق أن تكون فاعلة حقا من دون التنسيق بين هذين القطبين: العلماني والكنسي. وهكذا اقترحت في تلك الفترة اقامة سكرتارية مشتركة دائمة لتنسيق العمل. ولو قدر لهذه الهيئة أن تبصر النور، لكان أول انجاز لها، على الأقل، توحيد عمل السلطة الكنسية من جهتها، وتوحيد جهود الأحزاب السياسية في حقل عملها ، والتنسيق في ما بينهما في ما يخص المسؤوليات المشتركة، ومن ثمّ تحييد النزعات الطائفية، إن لم نقل النعرات "الفئوية" في العمل العام.

وفي عام ٢٠١٠، أعيد النشاط الى "مجلس رؤساء الطوائف المسيحية في العراق" الذي يضمّ أيضا رؤساء الطوائف البروتستنتية والقبطية في العراق، ويعتبر هذا المجلس مرجعية كنسية مشتركة للتنسيق والتعاون. ولو تمّ الحوار الفعلي بين الكنائس المسيحية والأحزاب السياسية "المسيحية" لكان مفيدا جدا، لأن الجهتين تبغيان خدمة الشعب ذاته. كما ان التنسيق بين هذا "المجلس" والدولة يجب أن يتم بأسرع وقت.

• هل يبقى رئيس اساقفة الموصل قريبا من الشعب ؟

أحاول ذلك وأؤكد عليه. ان المطران الشرقي هو بطبيعة الحال عنصر مكوّن في بيئته الاجتماعية. فمطرانيتنا في الموصل هي الوحيدة الباقية في وسط المدينة القديمة، جاثمة بين البيوت العتيقة المتشققة، التي عفا عليها الزمن. وعندما فرغت المدينة القديمة من المسيحيين، وصارت الحركة فيها محدودة، أكثر فأكثر، بسبب الأوضاع الأمنية، نقلت إقامتي الى قره قوش لكي أكون أكثر قربا من نبض الجماهير. فلقد سهّل هذا النقل حركتي، والقى بي في قضايا شعبنا اليومية، واتاح لي استقبال الناس بيسر أكبر. وكان باستطاعة الصحفيين الأجانب ان يصلوا اليّ. كما انضممت أيضا إلى الحياة الليتورجية في الرعايا المختلفة، وقاسمت الكهنة والشباب فرحهم في أنشطتهم الراعوية، والثقافية وحتى الرياضية أحيانا، حيث كان الكهنة الشباب وتلامذة الكهنوت يدعونني الى سباقاتهم في كرة القدم. ولكنني استمررت في الذهاب إلى الموصل أسبوعيا لإلقاء محاضراتي في الكتاب المقدس للعلمانيين، كما استمررت في ترؤس الاحتفالات الطقسية الكبرى في مدينة الموصل، مثل: عيد الميلاد، عيد الدنح، عيد الفصح، عيد العنصرة، عيد رأس السنة الخ...، وبقيت امينا لهذا التقليد طيلة ١٢ عاما من اسقفيتي. وحتى بعد تعييني معاونا بطريركيا، تركت مقر عملي الجديد في بيروت في عيد الميلاد الأخير ٢٠١١، لقضائه وسط الشعب السرياني في الموصل، تكريما لصموده، وشكرا للكاهنين اللذين صمدا بشجاعة في المدينة، ومكثا فيها لخدمة المسيحيين وتقوية معنوياتهم وسندهم ابان المحنة.

• أنت الذي ردّدت علينا مرارا بأنك تقرف أحيانا من الأطر الدينية التي تبتعد عن روح المسيح، ها انك تصبح جزءا من هذه الأطر. أليس في ذلك تناقض ؟

أجل، عندما تصبح الأطر الدينية، المسيحية واليهودية والإسلامية، معابر الى المصالح والاستغلال، غالبا ما تدفعني الى التساؤل والاستغراب. يا لها من مفارقة هذه التي تدفعني، أنا رجل الكنيسة، بعد كل صراع ديني أو استغلال للدين وتبرير الجريمة وكل هذه الانحرافات الغريبة باسم الشريعة الدينية، الى تجربة الالتماس من الله أن يبطل هذه المؤسسات المزعومة التي تتسابق في الظلم والقتل باسمه تعالى وباذلال ذات الإنسان. وكذلك الأمر ازاء المشاحنات الطائفية والمذهبية التي تثير العداء بين المسيحيين والمسلمين، بين اليهود والمسلمين، بين المسيحيين الأرثوذكس والمسيحيين الكاثوليك، بين المسلمين السنّة والمسلمين الشيعة. ان ما يثير حفيظتي هو تبرير قتل الآخر، انكار

وجوده، ظلمه وقمعه، الحقد عليه، تكفيره واتهامه بالزندقة... باسم الله! كما لو ان الله يلتذّ بالقتل في سبيله أو باسمه! ألم يقل الرجل الذي اختطفني وهو يضع السكين على عنقي ليذبحني: "باسم الله الرحمن الرحيم"! ... ألا نرى اللامنطق الكامل في ذلك؟ أليس هذا انفصاما بين الفكر والدين وتجاهلا كاملا للخير العام في هذه الأرض التي وهبنا اياها الخالق لننعم فيها معا؟! ولإقناع نفسي أفضي الى القول مع ذاتي بأن العتب ليس على الأديان، بل الأديان مسخّرة تسخيرا في مثل هذه الحالات، ليس الا.

ولكن الجواب لا يقنعني. فأتوجه إلى المسيح لفهم الوجه الحقيقي لله، الذي أراه ابا محبا ومفعما طيبة. ترى ماذا كان سيقول هذا الإله أمام هذه التجاوزات وجرائم القتل المرتكبة باسمه بهتانا؟ اي مثل كان سيستخدم لتهدئة هيجان الأتباع المتعصبين؟ هذا الاله الصائر إنسانا، الذي أخذ نهج الحب والتسامح هو صخرة رجائي وقارب نجاتي. بفضله يشتدّ عزمي، فأثبت، وابقى واقفا. بفضله أظلّ أومن بصلاح ارادة البشر، بقدرتهم على التفاهم، اذا شاءوا. بقراءتي الإنجيل، وبتأملي كلام هذا الإله سابقى دوما، بنعمته، ذلك الفتى الذي اكتشف بدهشة، وعن طريق القديسة تريزيا، إمكانية تقديس الأعمال اليومية الصغيرة، وفرح الحياة ببساطة. يقول لي المسيح بأن كل شيء ممكن، حتى "العمل المشترك بين المسيحيين والمسلمين". لقد كان شارل دي فوكو يقول بأن الله هو رب المستحيل. اني كثيرا ما أتساءل اذا ما كان قراري صحيحا في هذه القضية او ذلك الحدث. ولكني متأكد من شيء واحد وهو أن اختياري للمسيح لم يكن اختيارا خاطئا ابدا. اني مؤمن بهذا "الحلم".

الفصل العاشر

٢٠٠٥
الاختطاف.
الموت
وجهاً
لوجه!

يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥: رجلان مسلحان يدفعان المطران جرجس في صندوق السيارة. هذا الاختطاف يقصّه علينا المطران جرجس القس موسى، من دون انهيار، ومن دون ادّعاء البطولة ايضا. انه يقصّ علينا كيف رأى الموت وجها لوجه، وكيف استعد له. (اقرأ النص الذي كتبه بعد تحريره مباشرة: ملحق رقم ١).

- ***لقد نوّهت قبل قليل الى اختطافك. هل يمكنك أن تحدثنا عن ذلك؟ يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥، خطفك رجال مسلحون في الموصل... كيف كان ذلك ؟***

عندما أتحدث عن هذا الحدث "الخارج عن المألوف" في حياتي، أرافق حديثي دوما بابتسامة صغيرة وتنهيدة! ولكني اذكره ايضا بكثير من الشكر والثقة بالرب. لقد كان ذلك ذات يوم بعد الظهر، في الساعة الخامسة وخمس دقائق. وبينما كنت خارجا من زيارة راعوية حيث باركت بيتا جديدا في أحد أحياء مدينة الموصل، اذا برجلين نزلا من سيارة صغيرة قطعت الطريق امامنا، ودفعاني في صندوق سيارتهما وهما يهدداني بمسدس كان بيد احدهما. وفي أقل من نصف ساعة وجدت نفسي في كراج مترلي، ثم أدخلوني وحيدا في غرفة خلتها مكتبا أو دائرة مهجورة. وأول ما فعلوا، أفرغوا جيوبي، ثم عصبوا عينيّ، وأوثقوا يديّ ورجليّ ورموني أرضا، على بساط خشن، بانتظار "حكم اميرهم"، كما قالوا لي.

- ***كيف كان مختطفوك؟ هل كانوا يحملون اشارات خاصة إسلامية (لحية، دشداشة الخ...) ؟ هل تكلموا معك؟ هل ذكروا لك سبب اختطافك ؟***

لم يكونوا يحملون أية إشارة فارقة، لا دشداشة ولا لحية. فقد كان الأول ذا قامة اعتيادية، أما الثاني فكان ذا بطين وقامة اقصر، وهو الذي دفعني إلى صندوق السيارة موجها مسدسه الى صدغي، عندما مرت بنا في هذه الأثناء سيارة خاصة. و في سذاجتي قلت للرجلين أن لا حاجة الى استخدام العنف، وبأني مستعد للإجابة الى أسئلتهم. فقال لي أحدهم غاضبا عندما وصلنا: "منذ اسبوع ونحن نتتبعك، فنحن نبحث عن قسيس، واذا لم تكن أنت المطلوب، فسنطلق سراحك". لم يكن وجه أي منهما ملثما، لا عند عملية اختطافي من الشارع ولا في هذه الغرفة. وكانت التهمة الموجهة اليّ لتبرير اختطافي هي "تعاملي" المزعوم مع الأميركان!

- ***بماذا فكرت وأنت في صندوق السيارة، وفي البيت الذي القوك فيه ؟***

أول ما استولى عليّ في صندوق السيارة هو شعور بالإذلال. ثم فكرت في تقييم الوضع، فصليت ليمنحني الرب هذه الثلاثة: "يا رب، هبني أن لا افقد الرجاء، أن ابقى هادئا حتى النهاية

مهما حدث، وأن لا أقول كلمة تفسد الأمر وتضرّ بي وبشعبي". وكم كنت قد سمعت في الآونة الأخيرة عن قصص اختطافات وحالات قتل مريعة! كل شيء كان ممكنا أن يحدث لي، وما كنت أريده هو ان لا أستسلم للرعب، وكان افضل طريق لذلك هو تسليم ذاتي لإرادة الله. وبقيت ملقى على أديم الغرفة البارد طوال الليل. وكنت، وأنا أتابع صوت الدبابات العسكرية في البعد، أقيس الوقت على وتيرة نداءات المؤذن الى الصلاة، من دون أن أعرف اين انا. وقضيت الليل أصلي. وتذكرت المزمور الذي نتلوه في السريانية صباحا في تقدمة القربان في القداس: "كحمل سيق إلى الذبح...". وكنت أستعيد غيبا صلوات الاستسلام والثقة التي اعرفها، ورددت مرات عدة صلاة "أبت اني اسلّم لك ذاتي" للأب دي فوكو. وكنت أتوقع الأسوأ. وفي الصباح الباكر في اليوم التالي، أخذني مختطفي الى مكان آخر، في صندوق السيارة أيضا، كاليوم السابق، معصوب العينين ومكتوف اليدين، واستغرق الطريق، بحسب تقديري، نحو نصف ساعة. فمن قفصي المظلم كنت اسمع أصوات منبهات السيارات، ثم خفت كل شيء.

• وماذا جرى في الموضع الآخر ؟

أخذوا العصابة عن أعيني، وقادني الرجل ذاته الذي اختطفني البارحة ماسكا بذراعي إلى داخل دار ريفية عن طريق المطبخ، ولاحظت وكأن أصحابه قد غادروه للتوّ. ودفعني مرافقي الى غرفة أول ما لمحته عيناي فيها زنجيل معدني كهذا الذي يربط به الخيل. فاستدللت أن هذا المكان قد استقبل ضحايا قبلي، ولمحت فرشا اسفنجية خشنة مطوية في الركن، بدا لي أنها قد استخدمت في الليلة الفائتة.

وأمرني الرجل أن أجلس القرفصاء على الأرض، على أريكة من القماش وربط يديّ ورجليّ بالسلسلة المعدنية. أما هو فجلس قبالتي على طبلة من الصفيح الحديدي، وكان لابسا على الطريقة العصرية، أسمر الوجه، وذا نبرة عربية كالتي يتكلمون بها جنوب مدينة الموصل، شرقي دجلة. وكان صارما في حديثه، ولكن ليس خشنا في تعامله. وفجأة شهر بوجهي سكين مطبخ، ماسكا باليد الأخرى قدرا، وهو يقول لي: " أنت متعاون مع الأميركان، اذن ستموت. هذه هي السكين التي ستذبحك مثل خروف، والقدر التي تتلقى دمك". وما حسبته تخويفا، صار تهديدا مباشرا عندما وضع السكين على رقبتي. هل خفت؟ لا شك أني خفت، ولكني اذ كنت قد استعددت طوال الليل للموت، أجبته بهدوء، وأنا أختار كلماتي من المفردات الإسلامية: "في وضع آخر كنت سأقول لك" أنا في ذمتك، وأنت في ذمتي. أما هنا، فأنا وحدي في ذمتك"! وعندما رايته ناويا، طلبت اليه أن يسمح لي أن اصلي. فسحب سكينه عن عنقي وتركني أتلو صلاتي

الأخيرة بصوت عال. وعاد فضغط بسكينه على عنقي، سائلا إياي قبل الشروع بحركته القاضية، اذا ما كان لي شيء أقوله لذويّ كرسالة أخيرة. فأشرت اليه ايجابا بحركة من راسي، وأغمضت عينيّ، وقلت بصوت مسموع: "أقدم تضحية حياتي من أجل السلام في العراق، ولكي يضع أبناؤه، مسيحيين ومسلمين، يدهم بيد بعضهم وبينوا سوية هذا البلد". وأمام دهشتي انسحب الرجل مع سكينه وقال لي: "سيأتي أميرنا، وعليك أن تجيب إلى أسئلته. فهو وحده يصدر القرار النهائي". فاستعدت انفاسي، ولكن من دون الاطمئنان على المصير الذي ينتظرني. وعصبوا عينيّ من جديد وانتظرت قدوم الأمير. وعدت اصلي في قلبي.

• ما هي الأسئلة التي القاها عليك الأمير ؟

دخل الأمير وبادرني: "من أنت؟ صورتك على كل القنوات التلفزيونية. وحتى البابا طلب اطلاق سراحك".

ثم تابع:

ـ ما هي وظيفتك ؟

ـ أنا مطران، رئيس طائفة.

ـ رئيس طائفة وتتعامل مع الأميركان ؟

ـ كلا ابدا. ماذا فعل الأميركان لبلدنا غير الخراب والدمار ؟

ـ كلام فارغ!

ـ هذه قناعتي، ولست ملزما بتصديقي.

ثم قلت له، وعيناي لا تزالان معصوبتين، ما قلته مؤخرا في حديث خاص: "اذا لم يكن للجنة الا باب واحد، ومفتاحه عند الأميركان، فنحن نرفضه"!

لن اعرف ابدا سر ما حدث، ولكنهم أعلنوا لي بعد نصف ساعة من هذا اللقاء بأن استعد للعودة الى أهلي. ونحو الظهر وضعوني من جديد في صندوق السيارة، وألقوا بي، معصوب العينين ومكبّل اليدين، على رصيف أحد شوارع الحي الشرقي من المدينة.

• لماذا أطلقوا سراحك هكذا فجأة ؟

انه سر! هل استفسروا عن أنشطتي وعلاقاتي وعلموا أني لم أكن قط متعاونا مع الأميركان؟ هل خافوا من الحملة الإعلامية، وقدّروا كل التبعات السلبية التي ستصيب سمعة جماعاتهم؟ هل دفعت فدية؟ فلقد كان الرجل الذي اختطفني قد قال لي عند سحبه السكين من

عنقي: "اذا ذبحناك، فستمر هذه الصورة على جميع القنوات التلفزيونية، ونحن لا نريد أن يرى المسيحيون ذلك اليوم، اذ لا زلنا معهم في صلة". ماذا كان يقصد بهذا القول؟ سؤال آخر سيبقى لديّ من دون جواب.

● *من كان هؤلاء الخاطفون؟ قطاع طرق؟ من جماعة القاعدة؟ من الإسلاميين السلفيين المتطرفين؟*

هذا أيضا يبقى في دائرة اللغز. في الأوقات النادرة التي كنت أُترك لوحدي في الغرفة، لم ألاحظ أية علامات دينية متميزة دالّة، لا في الغرفة التي قضيت الليلة فيها، ولا في غرفة اليوم التالي. ولم تعطني الأسئلة التي ألقاها عليّ خاطفي انطباعا عن متشددين، حتى لو جاءت حول عادات ومفاهيم دينية مسيحية. ثم ان أي تحقيق لم يحصل في ما بعد لتوضيح دوافع هذه القضية، كما لم يحصل لسواها. فبعدي قد اختطف مطران وكهنة آخرون، وقتلوا، ودُفعت عنهم فديات، كما فجّرت كنائس، ومطرانيات وأديرة... ولم يجر أي تحقيق جنائي فيها. كما لم يقم أي تحقيق في قضية مذبحة كاتدرائية سيدة النجاة في بغداد التي جرت داخل الكنيسة اثناء القداس في ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٠، ولا نال أحد عقاب ما ارتكب!

● *سؤال : هل نالت منك كثيرا هذه الحادثة ؟*

انها جزء من حياتي، وأنا أبقى أذكرها باصغر تفاصيلها. اني أحكي هذه القصة من دون حقد كلما طلب ليّ أن أشهد، ولكني لم ابق مرعوبا من هذا الاختطاف. ففي اليوم التالي لتحريري، احتفلت بقداس شكر في الكنيسة التي بجوارها تم اختطافي، ووعظت في كاتدرائية الموصل التي غصّت بالمؤمنين الذي جاءوا لرؤيتي. كما قمت بجولة بعد تحريري في رعايا الأبرشية، في الموصل والبلدات المجاورة، وكانوا يستقبلون مطرانهم المحرّر بفرح وشكر للرب. وتابعت نشاطي بحسب آجندة مواعيدي السابقة، ولم أغيّر شيئا من التزاماتي المعتادة. لقد كان من الضروري جدا أن تبقى الكنيسة حاضرة وقوية، وأن لا يستسلم كهنتها وأساقفتها للخوف، فيستمروا في رسالتهم وفي خدمة العراقيين، مهما بلغ الثمن. لن يقوى علينا أي عنف. فالمؤمنون الـ ٣٦٠٠٠، وهو عدد أبناء ابرشيتنا، كانوا بحاجة الى أن أكون بينهم. ثمة عدد كبير من العراقيين يتألمون أكثر مني، فكم كان تأثري كبيرا، وأكثر مما حدث لي أنا شخصيا، يوم اختطف اثنان من كهنتي سوية، هما الأبوان بيوس ومازن، في ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٧، وخاصة عندما اختطف ووجد مقتولا رفيقي وصديقي المطران فرج رحو، مطران الموصل للكلدان، يوم ٢٩ شباط ٢٠٠٨.

• هل غيّر اختطافك من طبيعة علاقاتك مع مسلمي الموصل ؟

أصدقاء مسلمون كثيرون جاءوا حاملين اليّ تضامنهم غداة تحريري، سواء بزيارة شخصية، أو عبر التلفون.

في الغرب تتكلمون كثيرا عن الحوار، وغالبا ما تفكرون بالحوار الفكري أو الديني، وكلاهما شيء نظري. أما نحن، فنعيش حوار الحياة، فالحياة توفر لنا فرصاً عديدة للتضامن، "للعيش معا". واذا لم يكن الحوار مع المسلمين سهلا دوما، فالغالبية العظمى منهم ليسوا متطرفين، ولا مجاهدين متعصبين، وهؤلاء لا يطالبون سوى بالعيش بسلام. ان المسلمين، كالمسيحيين في العراق، يعانون المعاناة ذاتها منذ ١٩٨٠، تاريخ بداية الحرب مع ايران، وخاصة منذ الغزو الأميركي. أما نحن المسيحيين، لكوننا أقلية "عزلاء" بكل معنى الكلمة، يصعب علينا الدفاع عن أنفسنا بغير سلاح السلام والكفاءة والأمانة والايمان !

▲ الكهنة الجدد تخرج ١٩٦٢

الأب جرجس القس موسى الثاني الى اليمين وقوفا

▲ الرسامة الكهنوتية في ١٠ حزيران ١٩٦٢

الأب جرجس القس موسى الثاني الى اليسار

▼ طالب الفلسفة ١٩٥٩

▲ أهل المطران جرجس:
والداه وأخوه واخته في ١٩٦١

كاتب مذ ذاك، ١٩٦٦

كهنة وخوارنة كلدان
حول الأب يوسف أومي مدير المعهد الكهنوتي

R. P. MARIE-JOSEPH OMEZ
de l'Ordre des Frères Prêcheurs
Né à Tourcoing (Nord) le 4 février 1902
Sacerdoce le 25 juillet 1926
Décédé à Mossoul (Irak) le 22 août 1974
MOSSOUL 1928 – 1974

صورة الأب يوسف أومي للذكرى
(١٩٠٢ – ١٩٧٤)

كهنة وطلبة قدامى كلدان وسريان حول الأب يوسف أومي

طالب في جامعة لوفان الجديدة، بلجيكا ١٩٧٨

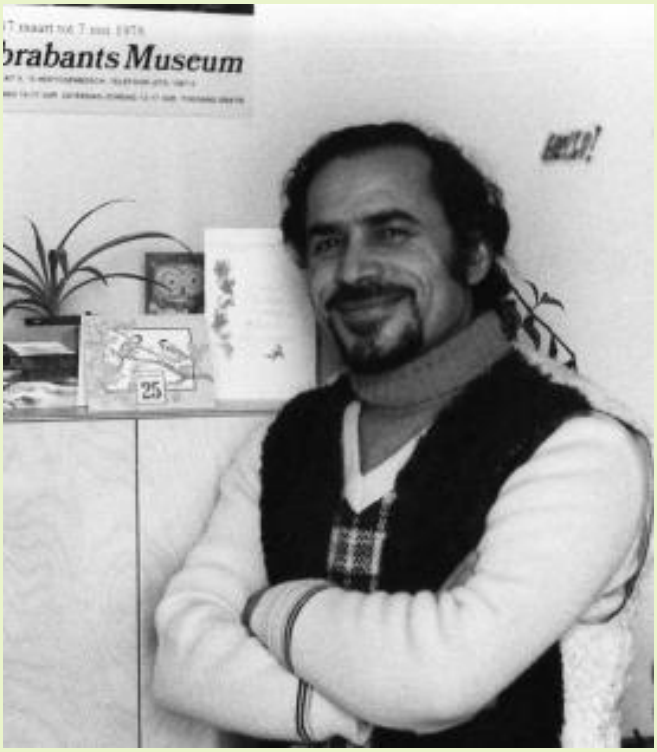

طالب في بلجيكا
في رعية يوم الأحد ١٩٧٩

▲ في أول زيارة له للبابا يوحنا بولس الثاني سنة ٢٠٠٠
المطران جرجس القس موسى يقدم عملا يدويا من صنع قره قوش

▲ استقبال المطران الجديد في قره قوش، ك١ ١٩٩٩

◄ عماذ في قره قوش ٢٠١١

◄ طفلة من روضات قره قوش ٢٠١٠

▲ خورنة البشارة في الموصل ٢٠٠٧

رياضة روحية للكهنة السريان والكلدان ٢٠٠٧ ،في دير السيدة ألقوش.

▲ الى يسار المطران جرجس، المطران فرج رحو الذي اختطفه ارهابيون ووجد مقتولا في ٢٠٠٨

يوبيل الـ ٢٠٠٠

في التجمع الشبابي العالمي JMJ في مدريد ٢٠١١

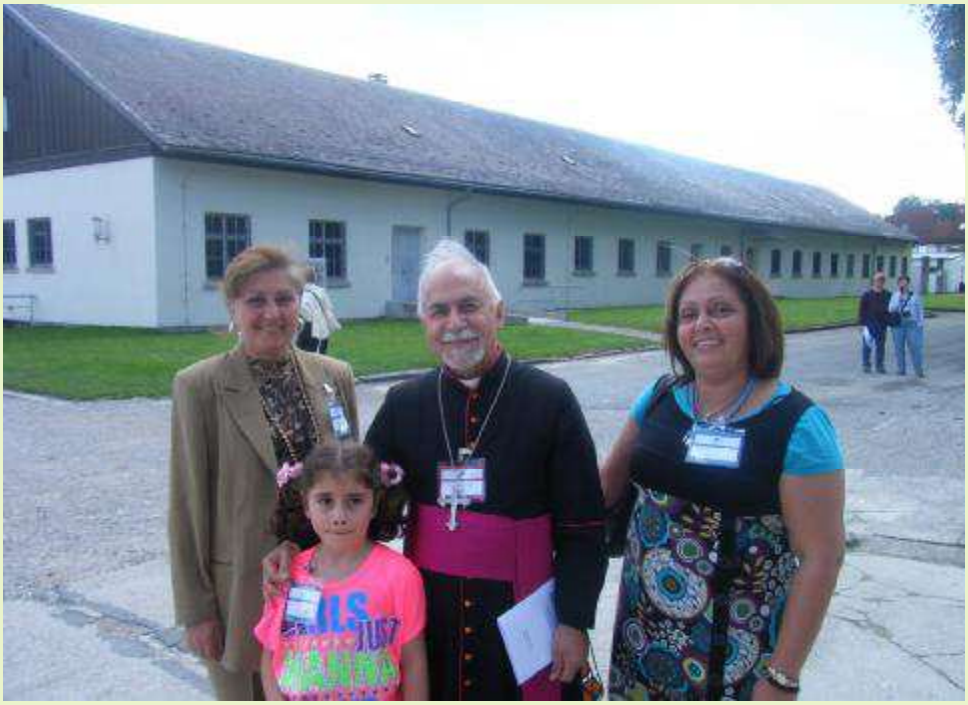

مع مهاجرين عراقيين في داخاو [ألمانيا] ٢٠١١/٩/١٠

قره قوشيات في الولايات المتحدة الأميركية ٢٠٠٥

مع أخوات يسوع الصغيرات في عمان ٢٠١٢

الحجر الأساس لكلية مار افرام للفلسفة و اللاهوت في قره قوش ٢٠٠٦

البطريرك موسى داود في اول زيارة له للعراق ١٩٩٨
[الأب جرجس الى يساره]

عراقيون في ساحة القديس بطرس بروما
بمناسبة تطويب الأب شارل دي فوكو ٢٠٠٥

مع وفد من مشايخ السنّة ٢٠١٠

مع آية الله شبعي ٢٠١٠

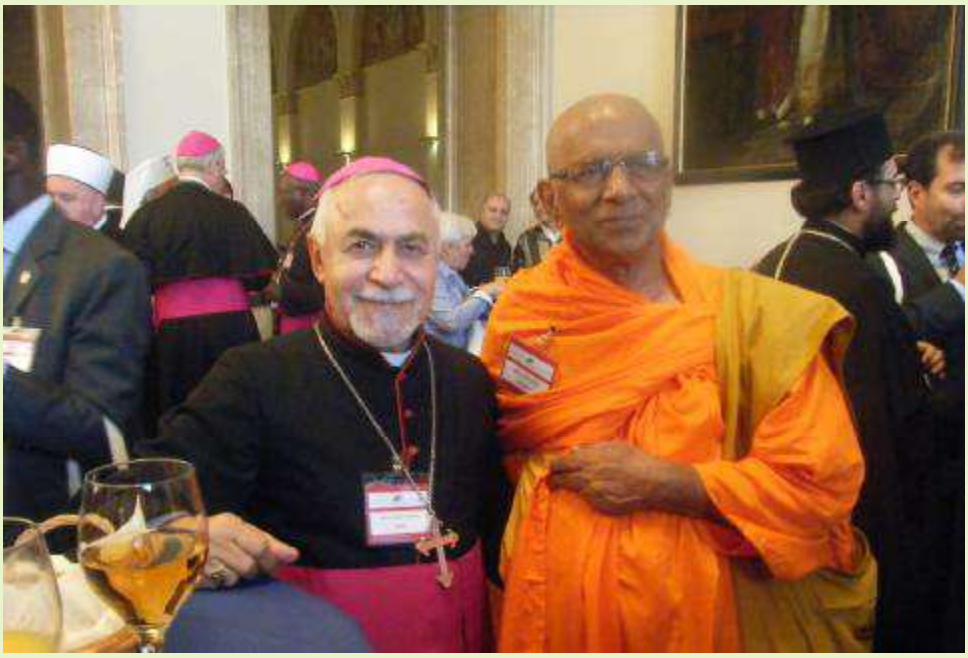

مع راهب بوذي في ميونيخ [ألمانيا] ١١ ايلول ٢٠١١

المطران جرجس مع المطران غريغوريوس صليبا
مطران الموصل للسريان الأرثوذكس

مع الأمير حسن في عمان ٢٠١٢
المطران جرجس والمطران يوحنا ابراهيم

مع المطران يوحنا ابراهيم مطران حلب للسريان الأرثوذكس، والمطران آوا
مطران كاليفورنيا لكنيسة المشرق الآشورية
في مؤتمر برو أورينتي [من أجل الشرق] فيينا [النمسا] ٢٠١١

طاولة مستديرة حول "مسيحيي الشرق" نظمتها في باريس "مبرّة الشرق" ت٢ ٢٠٠٧

من اليسار الى اليمين:

المطران سليم الصايغ، النائب البطريركي للاتين في الأردن

المونسنيور فيليب بريزار مدير "مبرة الشرق" في باريس

المطران جرجس القس موسى رئيس اساقفة الموصل - العراق

المطران انطوان أودو مطران الكلدان في حلب – سوريا

الأب فرانسوا ياكان، النائب البطريركي الكلداني في اسطنبول -تركيا

المطران مارك ستنجر مطران تروا اللاتيني، رئيس باكس كريستي، فرنسا

في البرلمان الأوربي في ستراسبورغ ٢٠١٠

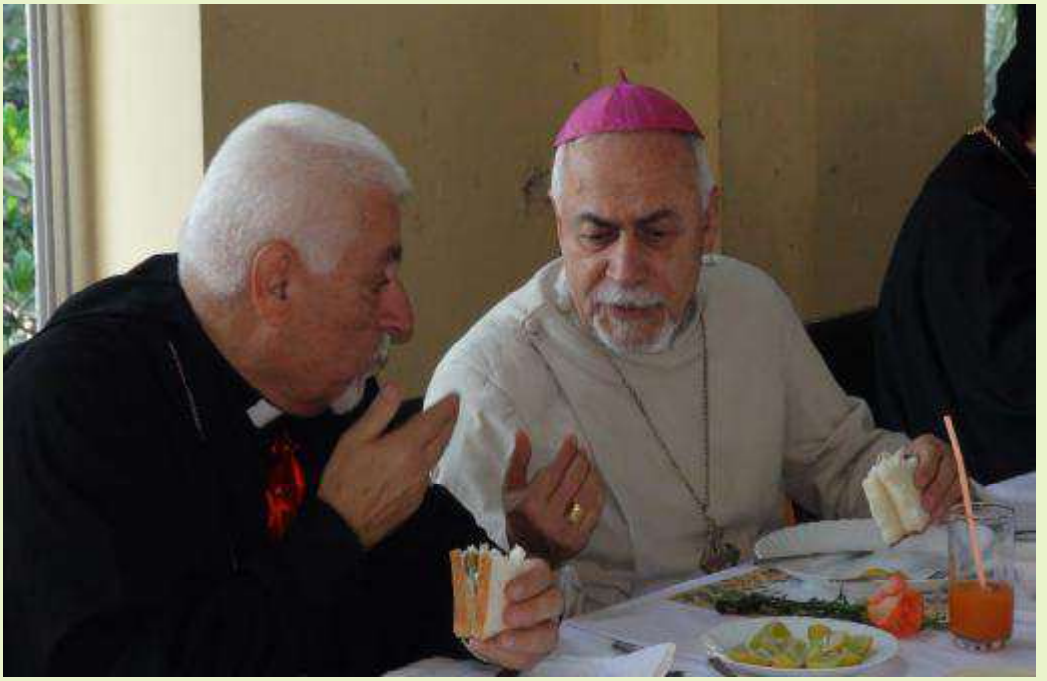

المطران جرجس القس موسى مع خليفته المطران بطرس موشي ٢٠١١

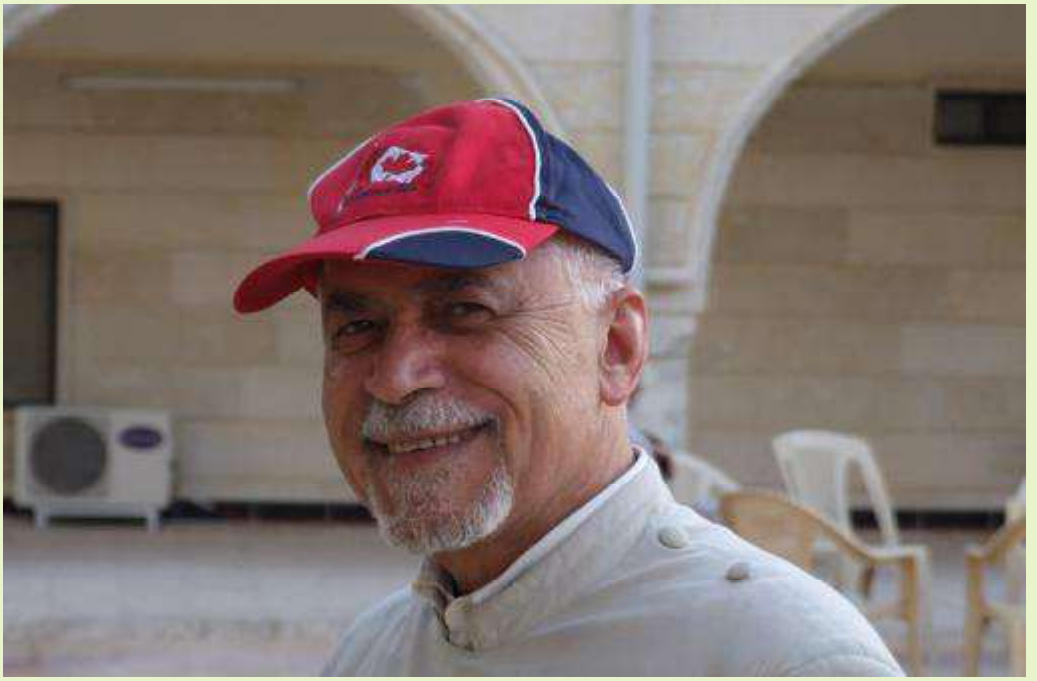

ابتسامة التفاؤل !

الفصل الحادي عشر

الحوار مع المسلمين: إصرار على الإيمان بالعيش المشترك

المطران جرجس القس موسى لا يفرط في تفاؤله ولا يستسلم الى نظرية المأساة المدمرة، في ما يخص الحوار المسيحي– الإسلامي، بل يتقدم منه بواقعية. أمر صعب ولكن ليس مستحيلا. انها رسالة يتحتم على ذوي الارادة الصالحة أن يؤمنوا بها ويعملوا من اجلها باصرار. لن تتغلب البربرية، ولكن الشجاعة واجبة للاستمرار في الرجاء والعيش في بلد يشعر فيه المسيحي بأنه مسموح به فقط!

- ***أجل، أبت. لنتحدث عن صعوبة العيش المسيحي، ليس في العراق حسب، بل في سائر البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط، لربما باستثناء لبنان. لقد قرأت قبل بضعة أيام نصّ المحاضرة التي ألقيتها في نطاق طاولة مستديرة نظّمتها "مبرة الشرق" في باريس عام ٢٠٠٧. في هذه المحاضرة اوضحت الصعوبة التي يلاقيها العيش المسيحي في العراق، لاسيما منذ الاحتلال الأميركي عام ٢٠٠٣.***

لقد لوّحوا لنا أن الدستور الذي صار التصويت عليه عام ٢٠٠٥ تحت رعاية البيت الأبيض سيحمل الينا الديمقراطية. فقد قالوا بأنه سيكون الدستور الأكثر ديمقراطية في المنطقة، ومثالا تحذو حذوه كافة الأقطار العربية. كما لوّحوا لنا بأن الحكومة العراقية التي ستنبثق بعد اقرار هذا الدستور ستعيد الأمن الى بلادنا مع الراحة والبحبوحة. وتبيّن كل ذلك كذبة ووهما. واليوم، وبعد رحيل الأميركان، يعيش الشعب العراقي في الخواء، والخوف، والإرهاب، ومن ضمنه شعبنا المسيحي بصورة خاصة.

لقد أصبح المسيحيون هدفا للإرهاب منذ ٢٠٠٤. فمنذ الاضطهادات الكبرى في القرنين الرابع والخامس، لم تمرّ مسيحية ما بين النهرين، أي العراق الحالي، بمثل هذه الهجمة: قتل وخطف أساقفة وكهنة، تفجير كنائس، قتل مؤمنين آمنين بوحشية داخل كنائسهم، تهجير عائلات مسيحية من منازلها ومواقع عملها. لقد فقدنا في السنوات الثماني الأخيرة سبعة كهنة من بينهم مطران، كما اختطف اثنا عشر كاهنا. ولقد نقلت الينا منظمة حمورابي العراقية لحقوق الإنسان أرقاما هائلة ومرعبة: ٧٣٢ مسيحيا قتلوا من سنة ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٩. واذا أضفنا اليهم الخمسين شهيدا وشهيدة الذين سقطوا في كاتدرائية سيدة النجاة في بغداد في ٢٠١٠، مع الذين قتلوا في أماكن اخرى في غضون ٢٠١٠ و٢٠١١ و٢٠١٢ نصل الى رقم تقريبي يتجاوز ٩٠٠ شهيد وشهيدة. وتؤكد المنظمة ذاتها اختطاف ١٨٢ مسيحيا ما بين ٢٠٠٣ واواخر ٢٠٠٦، وغالبا ما أُخضع هؤلاء للتعذيب، ولم يعودوا الى ذويهم الا بعد دفع فديات باهظة. يضاف الى هذه الأرقام ٥١ كنيسة تعرضت للتخريب، أو الهجوم، أو التفجير في المدن الكبرى. انها ماساة لا نهاية لها. وأتساءل أحيانا اذا ما كانت جماعتنا المسيحية العراقية معرّضة للمصير ذاته الذي أصاب مسيحيي جنوبي تركيا في الحرب العالمية الأولى؟ فمن نسبة ٥% التي كان يشكلها المسيحيون في ١٩٦٠، هبطت النسبة الى ٣% اليوم، ويعني ذلك بالأرقام أن عدد المسيحيين في العراق هبط من ٧٥٠,٠٠٠ في عام ٢٠٠٣، ليصبح نحو ٤٠٠,٠٠٠ اليوم. ولقد هاجر نحو ٥٠% منهم، سواء الى كردستان، أو الى خارج البلاد. انه نزيف لا ينقطع.

هناك جماعات من الإسلاميين المتشددين المتطرفين يتحرشون بنا منذ ٢٠٠٤. ولكن مع ذلك، لا نستعجلنّ في تحميل القاعدة كل مآسينا. أن تكون هذه الجماعات متواجدة على الساحة، أن يوجد ثمة متطرفون إسلاميون متعصبون وتكفيريون، وناوون على اقامة الدولة الإسلامية: هذا أمر مفروغ منه. ولكن هناك أيضا في الساحة صراعات من أجل السلطة بين الأحزاب السياسية، بين منتمين الى الاتنيات العربية والكردية؛ هناك صراعات لا تنقطع بين اهل السنّة وأهل الشيعة، وهناك عصابات الخارجين عن القانون والمتعصبين الذين يصطفون الى جانب هؤلاء المجرمين لزرع الرعب واراقة الدماء. ثم، أيكون الزعماء السياسيون ابرياء من اية مسؤولية في فقدان الأمن وشيوع الارهاب في البلاد؟! مع شديد الأسف، يبدو المسيحيون في هذه اللعبة الحمقاء الحلقة المستهدفة الأضعف.

• ألم تكن هذه المشاكل موجودة منذ نظام البعث، في زمن صدام حسين؟

بالتأكيد. بل كانت موجودة ايضا بشكل ما في بعض الحقبات السابقة من تاريخنا المعاصر. ففي الدولة الإسلامية، في عهد الخلفاء العباسيين أو السلاطين العثمانيين، كان المسيحيون يخضعون لنظام "الذمة"، الذي هو نظام تسامح فوقي أو اعتراف من درجة ادنى. فكانت النتائج الاجتماعية لهذا النظام، مثلا، اقصاء المسيحيين من الوظائف السيادية القرارية؛ وفي عهد البعث ذاته، مع كونه علمانيا، كانت بعض المواقع مرفوضة للمسيحيين، مثل: القيادات العسكرية العليا، الوظائف الإدارية المفصلية، رئاسة المحاكم القضائية، منصب المحافظ في المحافظة، أو القائم مقام، أو رئيس البلدية، أو عميد كلية، أو رئيس جامعة الخ... . أجل، لقد عيّن الرئيس صدام حسين رجلا مسيحيا في منصب نائب رئيس الوزراء أو وزير الخارجية. لقد كان ذلك عنوانا استثنائيا وذلك للصلة الشخصية التي تربطه بالمعني، ولم يكن لهذا الوزير سلطة خاصة غير سلطة الرئيس، بل كان واجهة لتطمين الدول الغربية حول "انفتاح النظام" ...

وتأقلم المسيحيون مع هذا الوضع عبر العصور، فتوجهوا الى سلك التدريس، والتجارة، والطب، والهندسة... وغير ذلك من المهن الحرة والمجالات الثقافية والخدمية والمطاعم والفندقة والمهن اليدوية التقليدية والزراعة. وهكذا دخل المسيحيون في القطاعات التجارية والبحوث، فكان مسيحيون كثيرون اطباء ماهرين، ومهندسين مبدعين، ومستثمرين زراعيين ناجحين. أما من الناحية السكنية، فكان المسيحيون يتحركون بسهولة ويختارون مواقع سكناهم حيث يشاؤون في أرجاء الوطن، اضافة الى وجود بلدات كاملة مسيحية تاريخيا في شمال الوطن، في نينوى وكردستان. وكان يعترف للمسيحيين بدور بارز في المجتمع، ويرتقون في السلم الاجتماعي شريطة الا يتجاوزوا المحذور. كما كانت ثمة شراكات عدة على صعيد المشاريع الاستثمارية والأعمال بين المسيحيين والمسلمين. فكان المسيحيون يتمتعون بسمعة طيبة في النجاح في الأعمال ونظافة اليد، ويوفر المسلمون مقومات الدعم

المعنوي والمادي لنجاح هذه الشراكات. وكان مسيحيون ومسلمون كثيرون مرتبطين بصداقات ثمينة يعتزون بها في الموصل. ولكن مع مجيء القوات الأميركية تدهورت ظروف وجودنا، وتقلّصت حركتنا كثيرا، على الصعيد المهني، وكذلك على الصعيد الجغرافي، حتى كدنا نكون شبه محاصرين في المنطقة الشمالية. ومن الناحية الحقوقية، لم يشذّ نظام الحكومات المنبثقة بعد مجيء الأميركان عن قاعدة الأنظمة السياسية السابقة تجاه المسيحيين، بل سجلت تأخرا وانغلاقا وعبوسا خاصا تجاههم.

● لماذا ؟

قبل كل شيء هناك وضع عام قد تسبب في تفكيك النسيج الاجتماعي واثارة النعرات الدينية والقومية. فبذريعة التوازن في التمثيل بين الأكثرية والأقلية، ظهر تيار جماعي عارم من قبل الأكثرية الشيعية لأخذ مقاليد القيادة السياسية، مما اثار الوجه الأول من الصراع السياسي – المذهبي بين الشطرين المسلمين الكبيرين في العراق، أعني الشيعة الذين يمثلون الثلثين، والسنّة. وتطوّر الصراع الأيديولوجي المذهبي والسياسي الى أعمال عنف دامية حصدت الآلاف من البشر، ودمرت العشرات من اماكن العبادة. وظهرت حركة غريبة من التطهير الاجتماعي والعرقي والديني حيث أفرغت أحياء ذات أكثرية شيعية في بغداد من سكانها السنّة، وكذلك أحياء ذات اكثرية سنية من سكانها الشيعة.

وذهب المسيحيون ضحايا في جنون العاصفة. وهكذا أفرغ حي الدورة، جنوبي بغداد، من مسيحييه، هذا الحي الذي كان يكتظ ببضعة آلاف من الأسر المسيحية البسيطة الملتفة حول عدد من الأديرة والكنائس. وقد هوجمت كنائس وأحرقت أخرى في هذا الحي، كما احتل الأميركان المعهد الكهنوتي وكلية اللاهوت، ونال السطو بيوت المسيحيين. وكان الحلّ الأوحد أمام المسيحيين للخلاص من هذا الدمار: اما التوجه على عجل، صفر اليدين، الى مناطق سكناهم الأصلية في الشمال (في سهل نينوى وكردستان)، واما المنفى في الخارج. وبذلك خسرت العاصمة ٨٠% من المسيحيين الساكنين فيها، و لم يبق فيها الا الاكليروس والعوائل الكادحة.

و لم يتوقف الصراع في العاصمة، بل انتقل الى المدن الكبرى، ولاسيما البصرة (الجنوب: شيعة)، والموصل (الشمال: سنّة)، وكركوك (مدينة النفط، سكانها خليط من الأكراد والتركمان والعرب والمسيحيين). وكان عدد كبير من المسيحيين يسكنون في هذه المدن، وخاصة بغداد التي كانت تضم العدد الأكبر منهم، والموصل التي تعتبر بمثابة عاصمتهم التاريخية. ولقد استهدف المسيحيون في هذه المدينة بالذات، بصورة خاصة، حيث طال القتل مطارنة وكهنة، وفجّرت كنائس، وهُدِّدت عوائل لترك المدينة، والا تعرّضوا للاختطاف والقتل. ولقد بلغ الاختطاف والقتل ودفع الفديات وتفخيخ السيارات... حتى وصل الى بعض البلدات المسيحية المجاورة للموصل، بالرغم من تمتعها بسمعة الهدوء والأمان. لا بدّ أنك سمعت بالهجوم الذي صار بالسيارات المفخخة على قافلة الطلبة الجامعيين المسيحيين في الأول من أيار ٢٠١٠ في الموصل. ان ما أنقذ القافلة من المذبحة المدبرة

هو شجاعة أحد الشباب المتيقظين الذي انتبه الى الأمر فذهب ضحية شجاعته، اذ استشهد في الانفجار. فلقد استهدفوا في ذلك اليوم القافلة المكونة من ١٢٠٠ طالب وطالبة واستاذ يقصدون جامعة الموصل يوميا، من والى قره قوش.

• تقول أن الأعمال المناوئة للمسيحيين تضاعفت منذ دخول المحتلين الأميركان عام ٢٠٠٣ ؟

ان التيار الأصولي الإسلامي المتطرف ينظر الى المسيحيين ككفار، والكفار برأيهم لا مكان لهم في ما يسمونه "أرض الإسلام"، وقتلهم حلال. ومن هنا الى اصدار فتاوى من قبل المتطرفين السنّة أو الشيعة لملاحقة المسيحيين لا توجد سوى خطوة واحدة.

لنقلها على عجل، لقد استخدم هذا الغطاء "الديني" جمهور من الأشرار والقتلة المرتزقة لمطاردة المسيحيين، وللإثراء السريع على حساب الضعفاء، حساب هذه الجماعة التي لا سلاح لها ولا اسناد قوى عشائرية.

وهناك سبب آخر في اعينهم لتبرير هذه الأعمال، وهو أن المسيحيين يشتركون في الديانة ذاتها مع المحتلين الأميركان والغربيين الآخرين. فبالنسبة الى ضمير إسلامي متعصب وموجّه لا يعقل الا أن يكون المسيحيون مؤيدين وعملاء للمحتلين! إضافة الى ان ادارة بوش ارتكبت من الحماقات ما يكفي لتأجيج الأزمة.

• مثل ماذا ؟

بدءا من هذا الخطاب الذي صنّف فيه الرئيس الأميركي محور الخير الذي يمثله الغرب، كما زعم، ازاء الإسلام الذي وصفه بمحور الشر، كما ادّعى! يا للحماقة الفاضحة التي تحمّل تبعتها مسيحيو العراق والشرق الأوسط عموما! كما ان خطاب المحافظين من فريق بوش اثاروا نفوس المسلمين الأكثر اعتدالا عندما وصفوا تلك الحرب كحملة صليبية، وكلنا يدري ما تحمله عبارة "حملة صليبية" من ايحاء تاريخي سلبي. وهناك حماقات اخرى ارتكبها جنود الجيش الأميركي داخل العراق، منها صنوف الاذلال التي أخضعوا لها الناس أثناء حملات المداهمات، وتفتيش أجساد الشيوخ والعجز والنساء، وهذا شيء يرفضه الذوق السليم عندنا، وكذلك الرعونة المستخدمة في تحريات البيوت ليلا، وتحطيم الأبواب والنوافذ. كما سجلت حالات اغتصاب وجرائم قتل على يد الجنود الأميركيين، وانتهاك حرمات أماكن عبادة إسلامية. ثم هناك تفكيك الجهاز الإداري وتدميره تدميرا كاملا في بلدنا: الغاء جيشنا كمؤسسة عسكرية، تدمير مؤسساتنا الثقافية والجامعية، تدمير قنوات الاغاثة

وتوزيع المساعدات التي وضعت في اطار اتفاقية الحصار في برنامج "النفط مقابل الغذاء"[١٣]، بحجة أن قسما كبيرا من هذه الهيئات كانت قد خدمت النظام السابق. أجل، انه تراكم من الأخطاء الفادحة.

- ***لقد أكّدت أن المسيحيين والمسلمين في العراق قريبون من بعضهم. مع أن التاريخ يكشف لنا أن عددا من الحروب والصدامات الدامية قامت بين الفريقين. ما هو تعليقك ؟***

ايه! لا اقول ان تاريخنا المشترك مفروش بالأمان، ولكنه تاريخنا كيفما كان. واذا ذكرتم الصدامات الدامية التي صارت في فرنسا في غابر الايام، بين الكاثوليك والبروتستنت، هل ستستنتج استحالة العيش المشترك عندكم؟

الإسلام ليس فاسدا، ولكن على علمائه وقادته أن يقدموه للملأ كطريق خلاص للبشرية، وليس كمجرد ديانة شريعانية تنحصر في الحلال والحرام. ان اختلاف النظرة الى الله لا ينبغي أن يعرضنا للصدام المحتوم الى ما لا نهاية. لنعمل من اجل حوار الحضارات، وليس من اجل صدامها. الإنسان هو المركز وهو المطلق بالنسبة الى كل دين. وعلينا تفعيل الآية القرآنية القائلة أن "لا اكراه في الدين"، كما تقول آية قرآنية أخرى: "لو شاء ربكم لجعلكم أمة واحدة". لنضع هاتين الآيتين موضع التنفيذ!

ان ندائي الى اخوتي المسلمين في الشرق هو أن لا يبحثوا عما يفرقنا، بل أن يراهنوا على ما يوحدنا: التاريخ، الوطن، قضية الإنسان، وكل ما هو مشترك بيننا من "الوحي الإبراهيمي". اني أودّ أن أقول لمواطنيّ المسلمين: يا اصدقائي، لا تخافوا، ان المسيحيين العرب ليسوا أعداءكم، وليس في نيتنا فرض شرائعنا عليكم. جلّ ما نطلبه منكم هو أن تعترفوا بنا كمواطنين معكم على قدم المساواة، مع الحقوق ذاتها، والحريات ذاتها التي تتمتعون بها. اننا واياكم نستنشق الهواء نفسه، ونتقاسم البيئة الحياتية ذاتها.

فبالرغم من كل ما حدث، لا زالت في العراق أحياء في المدن ومناطق مشتركة بين المسيحيين والمسلمين، ولا زال يربطهم تضامن ووشائج حياتية لتطوير هذه المناطق سوية. وهذا ما يطمئنني!

---

(١٣) القرار رقم ٩٨٦ الصادر عن مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة، والموسوم بـــ "النفط مقابل الغذاء" الصادر بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٩٥.

• هل تؤمن بالحوار المسيحي – الإسلامي؟

أنا أومن بحوار الحياة، كما قلت لك، أومن بالعمل سوية أكثر مما بحوار لاهوتي نظري. لنتعاون من اجل تطوير قواعد تربية أولادنا، من أجل القيام بمبادرات اقتصادية واجتماعية تطبيقية معا، من أجل الحفاظ على البيئة، من اجل تطوير قنوات جديدة في الميدان الصحي، والإعلامي، وفي الثقافة، والعلم، وحقوق الإنسان، بكلمة واحدة في كل ميادين العمل الوطني. يبدو لي أن الحوار اللاهوتي صعب جدا، اللهم الا مع درجة عالية من القداسة بين قديسين وصوفيين يبحثون عن الله وعن الإنسان ما وراء العقائد والشرائع. اني أحب كثيرا أشخاصا مثل الحلاج، ورابعة العدوية، ومار يوحنا الصليبي. ولكن قبل الوصول الى هذه المرحلة، لنتعلم أن نبني معا سوية.

• هل يستطيع الغرب أن يساعد في قيام هذا الحوار؟

بالتأكيد، ولكن ليس بارسال طائرات مقاتلة ودبابات حاملة الديمقراطية الينا! نعم لهذا التعاون، اذا أكّد لنا الغرب بأن الديمقراطية هي قبل كل شيء مبدأ ضمان لحقوق الجميع، من دون تفرقة عنصرية، قومية، إتنية، دينية، أو جنسية، وبانها مبدأ مشاركة الشعب في قيادة البلد. لنبحث عن آلية تطبيقية لتفعيل هذه المبادئ.

لا ينبغي، من بعد، أن تسود موازين القوة والمنافسة بين الشرق والغرب. على الغرب أن يكون أكثر تواضعا، أكثر انسانية، أكثر عدالة، أكثر انفتاحا على الثقافات المختلفة، وليكن ايضا أكثر يقظة في ما يخص البعد الروحي والأخلاق.

• ماذا ينبغي أن يفعل المسيحيون كي ينالوا مكانتهم في العراق؟

عليهم أولا، من الناحية العامة، أن يوحدوا خطابهم السياسي، وينسقوا استراتيجيتهم، ويتجاوزا أنانيتهم من منطق المصالح الفئوية والطائفية. نحن جميعا في السفينة ذاتها، فمعا نبلغ الميناء، أو نغرق، ومعا نحافظ على هويتنا، أو نفقدها. كما ينبغي الاتفاق على قاعدة للعمل المشترك بين مسؤولي الكنائس والمسيحيين العلمانيين على الصعيد الكنسي، من جهة، ومن ثم بين رجال السياسة المسيحيين ومسؤولي الكنائس. أخيرا، لا يجوز التخوف والتقوقع ازاء الجماعات المسلمة، الإتنية، والسياسية، بل خلق قنوات صداقة واسناد لقضايانا، منهم ومعهم، لبناء عراق مدني، يضمّ رجالا ونساء متفاهمين من الديانتين.

• *عندما تتكلم عن وضع المسيحيين في البلاد العربية، تعبر من التشاؤم القاتم تماما الى التفاؤل الغريب. هل حقا تؤمن بمستقبل ما للكنيسة "في دار الإسلام" ؟*

نعم أومن. فحيث المسيحيون هناك ديناميكية حقة. لقد جئت أنت الى قره قوش حيث يتمركز المسيحيون بكثافة منذ ٢٠٠٣: ألم تلاحظ كل هذا البناء الجديد بالرغم من الحرب والآلام؟ كنيسة جديدة، جامعة، مركز لترميم المخطوطات القديمة والكتب السريانية، محطة اذاعة، مواقع الكترونية للتواصل الاجتماعي، جرائد، طبع كتب، مطبعة، معهد كهنوتي نشط، جماعات رهبانية جديدة، منظمات شبابية مسيحية عديدة ونشطة، نشاط رياضي، كشافة، فرق فولكلورية شعبية، نواة متحف شعبي، تطوير عمراني، مؤسسات مدنية وثقافية، مشاريع زراعية واستثمارية، مؤسسات صحية، مسرح الخ...: انها مدينة في حالة بناء. اننا نعيش في زمن الرجاء!

وعلى صعيد المنطقة العربية، هناك سبب آخر للرجاء، وهو لبنان الذي أعيش فيه منذ أيار ٢٠١١. ان مسيحية لبنان التي وصفها بعض المراقبين عام ١٩٩٠ انها مشرفة على الموت بعد ١٥ سنة من الحرب الأهلية، ها هي في حالة غليان خلاّق رائعة. فبالرغم مما يطفو على السطح من تخوفات، يلعب المسيحيون، من كل الطوائف، كاثوليك وأرثوذكس، دورا رياديا حقيقيا، في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وذلك خاصة منذ ١٩٩٧، تاريخ السينودس من اجل لبنان الذي اقره يوحنا بولس الثاني، وقد وصف فيه لبنان "بوطن هو رسالة". لقد أصبح المسيحيون من جديد قاطرة بلادهم، ويعترف القادة المسلمون بدورهم وديناميتهم، وهم الذين خلقوا لبنان ككيان في الأساس. انهم لا يرتادون التجارة والأعمال حسب، بل ينخرطون في المؤسسات ايضا، ولا يترددون في منافسة مواطنيهم المسلمين، وهؤلاء أنفسهم يعتبرونهم شركاء لا يمكن تجاوزهم. وأورد هنا شهادة على ذلك مداخلة محمد السماك في سينودس الكنائس الكاثوليكية الشرقية المنعقد في روما في تشرين الأول ٢٠١٠. فلقد اعلن ممثل مفتي الجمهورية اللبنانية (سنّي) في هذا التجمع السينودسي المسيحي: "كي اعيش عروبتي، أنا بحاجة الى المسيحيين". ويؤكد ذلك في بلاد الأرز عدد كبير من المسلمين، شيعة وسنّة، ودروز. من دون المسيحيين تفقد البلاد حريتها، ومعها جزءا كبيرا من ثروتها.

ان عبارة "أرض الإسلام" تربكني. فمن جراء الأيديولوجية التي تشحن فيها، تعطي هذه العبارة انطباعا بنكران وجود الجماعات الدينية الأخرى، وحتى بنكران مفهوم العروبة ذاته.

كلمة عن الثورات العربية في ٢٠١١

● *هل أيقظت الثورات العربية التي قامت عام ٢٠١١، أي ما وصف "بالربيع العربي"، هل أيقظت نسمة أمل عندك ؟*

في بدايتها، نعم بالتأكيد. أجل، لقد بعث فيّ أملا حقيقيا هؤلاء الشباب والصبايا الذين نزلوا معا الى الشارع للمطالبة بالحقوق العامة والعدالة، والحرية، والديمقراطية، وكانوا يقومون بتنظيف الشوارع، والمكانس في ايديهم، بعد التظاهر! يا لها من نفحة أمل! صور لا تمحى من الذاكرة. ولقد شحنني تفاؤلا خطاب مطران مصري قبطي سمعته في التلفزيون. ولكن سرعان ما اعادتني الأحداث الأخيرة الى التحفظ، بل الى الحذر. فلقد برد حماسي كثيرا عندما رايت وصول الإسلاميين المتشددين الى الحكم وفوزهم في الانتخابات في مصر، مع خطتهم في تطبيق "الشريعة"، واعادة تعدد الزوجات، كما حدث في ليبيا، والهجوم المتكرر ضد المسيحيين في مصر، والأخبار غير الداعية الى الاطمئنان القادمة من سوريا. أنا في حالة انتظار وترقب، واصلي من اجل أن تتم الأمور بالصورة الفضلى، وأن تسير الأحزاب الإسلامية الحاكمة في درب الديمقراطية، أعني ان تعترف بحقوق ومشاركة الآخرين. نعم، أبقى في الرجاء، مع علمي بأن الأسوأ ممكن أن يحدث. لقد علّمنا التاريخ أن نبقى حذرين! والشاهد على ذلك مشهد بلدي العراق اليوم!

● *هل ان مستقبل المسيحيين مهدد في سوريا التي تعيش في قلب الثورة ؟*

انه وضع دقيق حقا. لقد قدمت أطروحتي في علم الاجتماع عن المسالة الدينية في أدبيات البعث. وحزب البعث حزب سياسي أسسه مسيحي سوري عام ١٩٤٨ كان يبحث عن "قاعدة مشتركة" تجد فيها الأقليات، ومن ضمنهم المسيحيون، مكانا لها. ولقد وجد هذه "القاعدة" في العلمانية والاشتراكية، ضمن احترام ايجابي ولكن منفصل للدين. ان ايديولوجية "علمانية" هي أكثر استعدادا وتقبلا لاحترام الفروقات الثقافية والدينية، وللاعتراف بالاستقلالية الذاتية للشأن السياسي عن الشأن الديني. وهي تؤكد بالأحرى على القاسم المشترك للأمة، أي الوطن. المبدأ صالح في ذاته، الا اذا تحولت الأيديولوجية الى اداة للحكم. ان البعث في سدة الحكم في سوريا منذ ٤٠ عاما، وطول عمر نظام حاكم ما ليس دوما في صالحه، اذ تتعرّض الدولة للتحجر، والمؤسسات للشيخوخة والترهل، وقد تتراكم الأخطاء ومواطن الضعف فيه، مما يجعل الحاجة الى الاصلاحات ضرورة حيوية، وشرطا لا مناص منه للبقاء. فسوريا تحتاج الى اصلاحات.

بعد هذا نقول بأن المسيحيين يشعرون بارتياح أكبر تحت نظام علماني، ولكن منفتح للإصلاحات والمراجعة. ان ما تسمونه "ثورة"، أو "ربيع" يبدو انه قد تحوّل لدينا الى "خريف" صارت تسقط عنه اوراقه ورقة ورقة ، فتعرى "لتنكشف" فيه نزعات الهيمنة والأصولية والسيطرة الإسلامية على المجتمع. وهؤلاء الذين زرعوا في الفرح، ها هم يرون غلتهم يحصدها غيرهم. واخذ المسيحيون السوريون يخافون على مستقبلهم. وهذا الخوف ليس من دون مبرر!

الفصل الثاني عشر

"حياتي هي المسيح"

الى هذا الصديق الأمين في الأوقات الحرجة أعطى المطران جرجس القس موسى حياته يوم الثاني من حزيران ١٩٥٣ (راجع الفصل الرابع). وقد مضى ستون عاما على ذلك ولم يندم مطران الموصل قط على أنه "اتّبع المسيح". في هذا الفصل الأخير يحكي لنا قصة حبه لهذا "الإنسان الأقرب والأكمل" الذي علّمه أن الكلمة الأخيرة هي للحياة دوما. نفحة رجاء حقيقية!

- ***في أواخر عام ٢٠٠٤، أسرّت اليّ راهبة دومنيكية، مديرة روضة في أحد أحياء العاصمة بغداد، أنها تنادي المسيح في صلواتها، في نبرة عتاب، وتقول له: "يا رب، أنت تعذبت ثلاث ساعات على صليبك، ولكننا نحن العراقيين نتحمّل الأذية منذ عشرين سنة"! هل يحدث لك أن تخاطب المسيح هكذا ؟***

هذه الراهبة حرة في أن تصلي بما تشعر به، فالمسيح نفسه هتف في وسط ألمه فوق الصليب قائلا: "الهي، الهي، لماذا تركتني ؟". ان الم الجسد وألم الروح يختلطان هنا: ألم يكتنفه الشعور بتركه من قبل هؤلاء الذين أحبهم، تلاميذه، وهؤلاء الرجال والنساء الذين شفاهم، وكلهم غائبون عن تلة الصليب، في آخر لحظاته! ان المزامير مليئة بمثل هذه الهتافات: انها صرخات ثقة أكثر مما هي صرخات يأس. فالراهبة كانت تعبّر عن الثقة التي تضعها في الله، وليس فقط عن آلام شعبها التي تتواصل مع ألمها.

ان الله لا يخيّب أبدا. قد تتأخّر استجابته، وقد يكون "نائما" في مؤخرة السفينة، تاركا ايانا نجذف وحيدين بفزع. ولكن اذا تجرأنا وهززناه بحبنا وايماننا، كما فعل الرسل مرتعبين امام العاصفة: "يا رب أنقذنا، فقد غرقنا"، فسيستيقظ ويقول لنا لربما بنبرة عتاب: "يا قليلي وقليلات الايمان...". فيسكّن العاصفة الهائجة في البحر، والباعثة القلق في نفوسنا. لقد هتف بنا: "لا تخافوا، سأكون معكم حتى آخر الزمن. من ثبت الى المنتهى، سينتصر". أليس أن أحد القيامة جاء في أعقاب جمعة الصليب؟ الكلمة الأخيرة هي دوما للحياة.

- ***ألم يخذلك المسيح ابدا ؟***

ابدا! سيبقى المسيح أفضل من فهم البشرية. فبالحرارة ذاتها أحبَّ الرجل والمرأة، والصدّيق والخاطىء، والوجيه والبائس، و لم يفضّل أحدا على احد. لقد عرف أن يتجاوز الظاهر ليلج الباطن ويكشف عن الحقيقة العميقة في كل أحد. أُنظر باي احترام يتكلم مع مريم المجدلية. انه لا يدين الخاطئة، بل يريد انهاض المرأة المذلّة، فيعيد اليها كرامتها. انه يريد أن يبرهن لها بأنها جديرة بالحب من أجل ذاتها، وليس فقط من اجل مفاتنها الخارجية.

ان حنان يسوع، الأبوي والأمومي في آن معا، للأطفال هو شيء فائق الروعة. كما أن لا مثيل للطريقة التي يُنهض بها، ببضع كلمات، المعاقين والهامشيين الذين فقدوا الشعور بكرامتهم حتى في أعين أنفسهم. ان أسلوبه في تغيير نظرة الآخرين الى السامرية أو الى العشار، جابي الضرائب، تشكل نداء داخليا حتى لغير المسيحيين. وامثلته ليست قصصا وهمية، بل هي روايات مستلهمة من الواقع، بوسعنا التأمل في عبرها مدى الزمن، البارحة كما اليوم وغدا. واننا نتعرض كل يوم للقاء لصوص اشرار، أو تجار هيكل، أو سامريين صالحين فيما حوالينا.

لقد أقمت القداس ذات مرة في السبعينات في خورنة ريفية في بلجيكا، عندما كنت طالبا في علم الاجتماع في لوفان الجديدة، ودعوت المؤمنين في موعظتي قائلا: "اذا أردتم فهم آلام يسوع على حقيقتها، انزعوا الهالة الدائرية من حول راسه في الصور التقوية، لبضع ثوان، لتروا فيه الإنسان المتألم فقط". وجاءتني سيدة في السكرستيا بعد القداس، وبادرتني بنبرة غاضبة: "حضرة القسيس، موعظتك لم تعجبني. أنتم الكهنة الشباب صرتم لا تؤمنون بآلوهية المسيح. أدعوك لتناول الفطور عندي كي نتناقش في الموضوع". فابتسمت وقلت لها بدعابة: "سيدتي، يا ليتني أخطأت كل أحد كي تدعينني الى الفطور! أهلا وسهلا، سنتناقش في الموضوع". والموضوع هو أننا من كثرة ما نفكر بأن المسيح هو ابن الله، ومخلص العالم، والقدير، لم نعد نحسّ بألم عذاباته، وببشاعة ما تعرّض له من خيانة، ومن تركه من قبل اصحابه، وبمرارة الحكم عليه كمجرم، هو البار البريء. بكلمة واحدة، صرنا ننسى انه كان انسانا كامل الانسانية ويشعر كانسان مثلنا. اذا لم نفهم ذلك حقا، لن نشعر كم انه قريب منا، ونحن منه!

كم أحب قراءة الإنجيل والتأمل به في واقعيته الإنسانية. اننا نصبح ابناء الله بقدر ما نحقق فينا انسانيتنا الحقيقية. فيسوع الإنجيل، هذا الذي اصبح يسوع الايمان بالنسبة لنا، هو الذي يدفعني الى القول مع القديس بولس: "حياتي هي المسيح". لقد اخترت هذا المنهاج لحياتي منذ رياضتي الروحية الاستعدادية للكهنوت في ١٠ حزيران ١٩٦٢، و لم أندم قط على ذلك.

• *أي من أمثلته كان سيختار المسيح لوصف آلام الشعب العراقي اليوم؟*

مثل "السامري الصالح" بكل تأكيد. هذا المثل يصف وصفا دقيقا الجلجلة التي يتحملها بلدنا، ويقصّ علينا المثل انجيل لوقا في الفصل ١٠، الآيات ٣٠- ٣٧: نزل انسان من أورشليم الى أريحا. وبغتة يخرج لصوص من شقوق الصخور في الطريق الجبلية الملتوية وينقضّون عليه، ويفرغون جيوبه، ويستولون على ثيابه، ويهربون تاركين اياه مضرجا بجروحه على قارعة الطريق "بين حي وميت". ويمر كاهن، ويغمض عينيه لئلا يراه، ويكمّل طريقه؛ ويمر شماس يقضي كل وقته في خدمة الهيكل، ويشيح بوجهه جانبا، ويكمل طريقه؛ ثم يمر سامري مسافر في أرض يهودية غريبة عنه، محمّلا بحزم مشترياته، فيراه ويتحنن عليه ويترل من ظهر حماره، ويضمّده بعلبة اسعافاته الأولية، ويغسل جروحه بالخمر والزيت اللذين اشتراهما لبيته. ثم يحمله الى الفندق القريب ويطلب الى صاحب الفندق أن يستكمل علاجه، قائلا له بأنه سيدفع ثمن العناية الإضافية لدى عودته. يا له من انسان طيب هذا السامري الغريب، الذي يشنّع به اليهود ويحتقره المستنيرون!

أليس الشعب العراقي هذا البائس السيء الحظ، الساقط بين ايدي الاشرار، الذين يتناوبون على جثته بفرض حروب لا تنتهي عليه، وبإخضاعه لحصار تركه نازفا! كم من أناس جاءوا الى

العراق في تلك الفترة وغادروه دون أن يفعلوا شيئا لانقاذه واسعافه، تاركين اياه عرضة لاحتلال عسكري خارجي فكك نسيج شعبه، وتركه تحت رحمة الاستبداد والإرهاب.

- ***انك تصف نفسك "بالشاهد العنيد". ولقد كان شعارك في ١٩٦٢، عندما رسمت كاهنا: الاستمرار في البقاء، المطاولة، التقدم. هل أنت كذلك اليوم...؟***

اني أستمر في طريقي. ان العناد ليس ركوب الرأس، وانما هو أمانة للقناعات، للمشروع الأول. لقد غيّرت الظروف طبيعة التزاماتي عدة مرات في حياتي. ولكني حاولت دوما أن أبقى قريبا من المسيح، وأن "أعمل جيدا ما عليّ أن أفعله". كم حبّرت من ورق دفاعا عن القيم الإنسانية! كم من ورقة دعكت والقيت في سلّة المهملات لأني لم أكن راضيا عما كتبت! لقد كنت أعيد الكرّة دون ملل حتى أجد الكلمة المناسبة، واضعا الأولوية لروح الخدمة. كنت أقضي ساعات لكتابة صفحة واحدة من "الهمسات" في الباب المخصص لي في "الفكر المسيحي". وسيبقى شارل دي فوكو معلمي في فنّ العناد لإيجاد الكلمة الصائبة في آخر المطاف.

- ***بوصفك "شاهدا عنيدا"، ماذا ترجوه للعراق ولمسيحييه غدا ؟***

أن يستعيد عافيته الكاملة. أن لا يعود ساحة حرب تتصارع فيه مصالح الغرباء من القوى الكبرى والصغرى، أن يتصرّف قادتنا كبناة، وليس فقط "كحاصدي غلال". ليعملوا لوحدة الوطن، لتقارب الجماعات. ليشتغلوا في تطوير نوعية الحياة لمواطنيهم. ليبنوا جامعات، ومدارس، ومعامل، ومستشفيات. ليكفّوا عن قياس أمور حياة الناس بمقياس "الحلال" و "الحرام"، وليفهموا أخيرا أن البشر لم يخلقوا للشريعة، بل الشريعة وضعت لهم، لحمايتهم، وحماية الأضعفين منهم خاصة؛ ليفهموا أن حياة المواطنين ليست عبثية يتاجرون بها، أو يستأصلونها بيد الإرهاب متى شاءوا.

- ***أتؤمن بذلك؟***

نعم! وأنا مستعد أن اضع كل قواي في خدمة هذه المعركة. من ذا الذي بقي مؤمنا بالمسيح يوم موته ؟ ثلاثة اشخاص، بينهم امرأتان، ظلوا صامدين عند أقدام الصليب. اذن، كشاهد عنيد، مغرم بحب وطني، سابقى ارجو حتى في غياب علامات الرجاء...

ملحق رقم (١)

أقدم حياتي من أجل السلام في العراق

قصة اختطافي على يد مسلحين مجهولين في الموصل

يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥

وتحريري في اليوم التالي

ككل العراقيين في مثل هذه الأزمنة الرديئة، كنت أتوقع حدوث شيء ما. هذا ما فكرت به وأنا في صندوق السيارة عندما اختطفت. فبينما كنت خارجا من زيارة راعوية لأحدى الأسر المسيحية في حي الثقافة، مساء ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥، في الساعة ١٧:٠٥، خطفني رجلان مسلحان مجهولان بشراسة وعنف. وبما أني لست مذنبا باي شيء، ظننت في سذاجتي أنهم لربما سيطلقون سراحي بعد استجوابي، كما لوّحوا لي. سيما وأن أحد الخاطفين، ذلك الذي هددني بمسدسه، قال لي بأنني، بعد التحقيق معي، اذا لم أكن الشخص الذي يبحثون عنه، فسيطلق سراحي.

ولكنني تيقنت من خطورة الموقف عندما ربطوا رجليّ ويديّ، وعصبوا عينيّ، وسدّوا فمي بخرقة، وأفرغوا جيوبي، ونزعوا عني الخاتم وصليب الصدر، وأمروني بالاستلقاء على الأرض، تاركين اياي وحدي طوال الليل في غرفة باردة. وفكرت بان الأسوأ ممكن الوقوع، فعدت الى المزمور الذي نتلوه كل صباح في القداس: "كحمل سيق الى الذبح، وكشاة صامتة أمام الجزاز".

لقد صليت طوال الليل، وطلبت الى الرب ثلاثة اشياء: "طاقة الصبر، أن لا أفقد الرجاء، وأن أبقى هادئا حتى النهاية مهما كانت، ولتكن مشيئتك". وتلوت مرارا صلاة تسليم الذات للأب دي فوكو التي نتلوها كل يوم، نحن كهنة يسوع الملك": "ابت اني اسلّم لك ذاتي، فافعل بي ما تشاء... ".

وفي اليوم التالي نقلوني من جديد في صندوق السيارة الى دار ريفية خارج المدينة، كما بدا لي. وهنا أجلسوني أرضا، وربطوا رجليّ ويديّ بسلسلة معدنية، وهددني مرافقي، مقرنا الكلام بالحركة، عندما جلس وراء ظهري، وأمسك براسي، ووضع سكينا على عنقي

ليذبحني، ووعاء للدم أمامي، وقال: باسم الله الرحمن الرحيم، كما يفعلون لذبح دجاجة أو خروف بحسب الطقوس الإسلامية. وعندما رايته ناويا، طلبت اليه أن يسمح لي أن اصلي. فسحب سكينه عني وصليت بصوت عال: "يا رب، بين يديك استودع روحي. إقبلني برحمتك. اغفر خطاياي. ولتكن مشيئتك".

ولكن الرجل سألني اذا ما كان لي شيء خاص أضيفه باتجاه أهلي. فقلت: نعم. ثم قلت بصوت جهير: "أقدم تضحية حياتي من اجل سلام وأمان العراق، ومن أجل أن يعيش ابناؤه، مسيحيين ومسلمين، في سلام ووئام، وأن يضعوا أيديهم بايدي بعضهم، ويبنوا هذا البلد سوية، لأن هذا الشعب يستحق الحياة".

فبادرني قائلا:

– اليس لك شيء آخر؟

– كلا، لا شيء لي. أنا جاهز.

– ألا تخاف؟

– كلا!

واستمر يضغط بالسكين على رقبتي... وعندما رأى أني لا أتحرك، وقد بقيت هادئا، انسحب عني، وقال:

– والله خوش حجي! الأفضل أن نكسبك لنا.

فجلس على الطابورية أمامي، وهو يقول: قرار ذبحك لا يعود اليّ، بل الى الأمير. واذا ذبحتك، نضع ذلك على قرص، والقرص تبثه قناة الجزيرة، واذا بثته يشاهده آلاف المسيحيين، ونحن لا نريد أن يروا ذلك، لأننا لا زلنا في صلات معهم.

فاضفت من عندي:

– وبيننا خبز وملح، ويربطنا مصير واحد، وأرض واحدة هي أمنا جميعا!

ثم ابتدأ حديث متقطع بيننا حول الله الذي يريد دعوة الإنسان الى التوبة، حول معنى الضمير، ومعنى العزوبية الكهنوتية والرهبانية، والأمانة الزوجية، والحب الحقيقي بين الرجل والمرأة ومعنى الجنس كتعبير عن الحب في العلاقة الزوجية، حول التربية في العائلة، وحول البنوّة الالهية للمسيح، بنوّة روحية وليست جسدية الخ... . وكنت أتوسع في الأفكار جوابا على هذا السؤال أو ذاك من حارسي. ولاحظت أنه لم يكن متحمسا لأجوبتي، ولكنه كان يسمعني.

وفي أثناء الحديث كنت أترقب احتمالات تغيير مزاج صاحبي، وكنت أستعد في داخلي لتنفيذ محتمل للحكم بي، وكان أملي الوحيد معلّقا بالزيارة المرتقبة لأميرهم. فاليه يعود الحكم بادانتي وبالمصير الذي ينتظرني في آخر الأمر. وجاء الامير اخيرا في حوالي الساعة

الحادية عشرة. وكانوا قد عصبوا عينيّ من جديد قبل وصوله، وما ان دخل الأمير الغرفة حتى هتف بي:

– ماذا! كل الفضائيات منشغلة فيك! حتى هذا البابا يوحنا بولس يطلب اطلاق سراحك!

لقد ارتحت لهذا الخبر الأخير حقا. أما أن تكون الفضائيات منشغلة بي، فهذا ما لم اكن أتوقعه.

وبعد محادثة قصيرة حول هويتي ومكانتي، أمر الأمير، بالرغم من تكراره التهمة السطحية في تعاوني المزعوم مع الأميركان، بأن تعاد اليّ أشيائي الخاصة، ويعطى لي الموبايل "لأتصل بأهلي كي يطمئنوا ويأتوا لاستلامي". وفعلا أعادوا اليّ الخاتم الأسقفي وصليب الصدر بعد مغادرة الأمير. وهكذا، باستثناء الحوارات التي تمت مع مختطفيّ، كنت أقضي بقية الوقت في الصلاة وعيناي مغمضتين. وكنت أتخيّل أن هناك مؤمنين كثيرين واصدقاء يصلون من اجلي في العالم اجمع، من نيوزيلاندا وحتى المكسيك، حيث لي أصدقاء كثر، وكذلك كل مسيحيي العراق. ولقد تحققت من حدسي بعدئذ، بأن الكنيسة كلها كانت تصلي من أجلي.

وكانت قد تمت مفاوضات عن طريق الهاتف المحمول بين خاطفيّ وكهنة المطرانية. وتثبت موعد اطلاق سراحي في الساعة الثالثة بعد الظهر، ثم قُدِّم الى الساعة الواحدة ظهرا، وفي الواقع أعادوني الى الحرية في الساعة ١٢:٣٠. ولكني لم أصدّق بأنني حقا حرّ الا عندما وضعت رجليّ على الأرض، على رصيف شارع بالقرب من أحد المساجد. اني سعيد الحظ حقا، فلقد كان الذبح نصيب كثيرين قبلي!

لقد القوا بي في أحد الشوارع الجانبية الخالية من المارة، فاضطررت الى أخذ سيارة أجرة الى أحد الأديرة لراهبات التقدمة في طارف المدينة، واستدنت ١٠٠٠ دينار من حارس الدير لاضافتها الى الألف التي تركها لي الخاطفون كي ادفع اجرة التاكسي، لأنهم كانوا قد أفرغوا جيوبي. وعندما كنت في التاكسي سمعت المذيع يقول في موجز الأخبار: "اختطاف المطران جرجس القس موسى في الموصل"!

لماذا كل هذه القصة؟ لا جواب لي على هذا السؤال حتى اليوم. هل حقا كان هؤلاء الرجال يتعقبونني منذ اسبوع، كما ادّعوا؟ هل كانت تهمة التعاون، وان خاطئة من اساسها، جدية في أقوالهم؟ فلقد شعرت بأنهم يرددونها من دون قناعة. هل كانوا يعرفون حقا من أنا منذ البداية؟ هل كانوا يريدون زرع الرعب بين المسيحيين ودفعهم الى مغادرة البلاد؟ هل فعلوا ما فعلوا بدوافع دينية إسلامية؟ مع أني لم الاحظ اي شيء على جدران البيوت التي أخذوني اليها يشير الى الرموز الدينية. هل كانت حجة للحصول عنوة على المال؟ هل

سقطت في شباكهم عن طريق الصدفة؟ هل كان ثمة دوافع سياسية؟ ما هي هذه الدوافع، حيث لم يحمّلوني اية رسالة؟! أن يكون ثمة تيارات إسلامية اصولية وتكفيرية في العراق.. لا أحد ينكر ذلك! وأن تخلط هذه التيارات أو غيرها بين المسيحيين والاميركان بشكل عشوائي.. هذا أيضا وارد. غير أنّ لا أجوبة لي على تساؤلاتي !

ما هو أكيد هو أن هذه القضية لو انتهت على مأساة، فلكان لها نتائج مدمرة بالنسبة الى مسيحيي بلادنا، ولدفعتهم الى مزيد من فقدان الأمل والى الضياع والرعب، والى الهجرة بوتيرة أكبر، بينما صار تحريري عنصر تشجيع واعتزاز بين صفوف جماعتنا، وحتى بين أصدقائنا المسلمين . . سيما وأني كنت باكورة المختطفين من بين الاكليروس.

اني أومن بقوة الصلاة. فالصلاة، تسندها قوة نداء يوحنا بولس الثاني مع الحملة الإعلامية العالمية، فعلت فعلها في التأثير على قرار مختطفيّ لتحريري. فلقد توحدت قلوب مسيحيي العراق حول قضية اختطافي بصدق وعفوية عالية. ومن أجل هذه الوحدة أشكر الله على تلك الخبرة المؤلمة!

باسيليوس جرجس القس موسى

رئيس أساقفة الموصل للسريان الكاثوليك

العراق

ملحق رقم (٢)

ثلاثة نماذج من "همسات أبو فادي"
في مجلة الفكر المسيحي

من نبي متقاعد الى يسوع

يا ما قيل له: اكسر عصاك وكفّ عن الترحال وطرق الأبواب. أُعقد لسانك واسكت، وعد الى صومعتك ونم قرير العين لا يهمّك همّ، ولا يغمّك غمّ، فالدنيا لولاك بألف خير.

وأصابه الحزن واليأس ذات مساء فأوى الى مخدعه ومرارة شديدة في حلقه، وقد نوى أن يقدّم استقالته الى ربّه، كما فعل سلفه ارميا من قبله، وتناول ورقة وقلما وكتب:

الى يسوع بن يوسف النجار، سلام.

لقد صرت اضحوكة كل النهار، فكل واحد يستهزىء بي، لأني كلما فتحت فمي، فانما أصيح خلاف ما يريدون، فصار لي كلامك عارا وفخا. فها أنذا أقول: لن أتكلم باسمك من بعد. ولكنك أنت نار آكلة فيّ، لذا لا أنصرف عنك حتى أقول لك ما في قلبي عليك.

أول ما عرفته عنك في وعي طفولتي صورتك محاطا بالأطفال على غلاف كتيّب انتشلته خلسة من بين كتب اخي الكبير، وقد أخذه مني كاهن التعليم المسيحي، رحمه الله، ليتصفحه و لم يعده اليّ الى يوم الله هذا. عبارة "دعوا الصبيان يأتون اليّ" مكتوبة على الغلاف على شكل نصف قوس بقيت محفورة في ذاكرتي.

ولما كبرت ... تبعتك كبطرس الصياد ومتى العشار ويعقوب الغيور، وأحببت فيك عمق انسانيتك مع المرأة الزانية، وصفاء صداقتك ووفائك مع لعازر وأختيه مريم ومرتا، أحببت تحيّزك الى صغار الناس والضعفاء، وكم تساءلت لماذا هذا الجمع الغفير من العرج والعمي والمجانين والمعوقين والنساء الغريبات حواليك. أحببت بساطة كلامك النافذ الى

القلب والوجدان مباشرة، سواء حين تنظر الى الله أو تتوجه نحو الإنسان. أحببت فيك عدم تعقّدك من أحد، رجلا أو امرأة، مؤمنا أو دخيلا، فتتعشى عند العشار زكا، وتشرب خمر الفريسي سمعان، وتلبي دعوة الضابط الروماني، وتمسح رجليك بشعرها المجدلية، هل أقول أكثر؟ ... لقد أحببت آراءك حول الدين والشريعة، وأعجبتني جرأتك مع هذه الطبقة الحاكمة ومن يلفّ لفّها من الطفيليين والمتزلفين وحملة المباخر. آه! كم أعجبتني سياطك على ظهور تجار الهيكل. يا ليتك وجّهتها اليوم الى ظهور أحفادهم تجار الحروب والقنابل ...

أجل، لقد انجذبت اليك مع كل ما فيك من تناقضات...فلقد نسيت أن أشير الى حبك للطبيعة والعزلة ومباغتة الصباحات على بحيرات فلسطين وجبالها الى جانب حبّك للمجابهات ولقاء الناس. أفيكون لي ما اقوله لك ايضا بعد هذه العشرة الطويلة؟ – بلى ... أن تزقزق العصافير على اشجار قريتنا، عوض أن ينعق البوم في خرائبها؛ أن تخضرّ الحقول عوض أن تحترق؛ أن تصهر السيوف والمدافع وتصنع منها محاريث ومناجل... وأن يكفّ خطباء الدجل من هذا الدين أو ذاك عن ايغار صدور مستمعيهم حقدا على مواطنيهم من ابناء الدين الآخر! ...

والسلام

ابو فادي

(الفكر المسيحي، عدد حزيران/ تموز ١٩٨٧)

حكاية شهر شباط

أخيرا وصل تقويم دار الكتاب المقدس الأزرق الصغير الذي صار جزءا مما ننتظره في مطلع كل عام... ولكن أشهر هذا التقويم لعام ١٩٩٤ كانت أحد عشر شهرا فقط! ولدى التحري ظهر أن الشهر الغائب كان شهر شباط... وقيل أن عبقريا اقتلع ورقة شباط من كافة النسخ الواردة بتهمة انها تحمل صورة طفل جالس يبكي أمام أنقاض بيت محطّم بقذائف احد الحروب ... والى جانب الصورة العبارة الانجيلية التالية: "أحبوا اعداءكم وصلوا من اجل مضطهديكم"!

هل تريدوني أن أصدّق هذه الحكاية ؟ – طبعا لا، وألف لا.

فرحت أبحث عن السبب: هل ترى حدث حادث سوء "للرقيب" في شهر شباط، فلم يعد يريد السماع باسمه؟ هل أن شهر شباط قليل الأيام الى حدّ لا يستحق الذكر من بعد؟ أم صدر قرار جديد من مجلس الأمن بحذف شهر شباط من السنة؟ أم، كما قيل، اعتبرت الاية الانجيلية المصاحبة للصورة، بكل بساطة، آية خنوعية استسلامية، فاقتلعت حفاظا لمعنوياتنا؟!

قد تكون غيرة الأخ كغيرة حرّاس السواحل في كمبوديا أيام لاجئي القوارب، حين كانوا يرمونهم في البحر. ولكن دعوني أشكره باسمكم، لأنه أتاح لنا أن نتذكر أحد التعاليم الكبرى للبشرية التي كسر بها المسيح طوق التعاليم القديمة في اقتلاع الحقد وحب الانتقام من قلوب الناس، حتى تجاه الأعداء، وانتزاع غريزة تحطيم الخصوم واغتيال كل من لا يوافقنا في الراي... وهذا شيء يختلف عن الرضوخ والخنوع والظلم... بل هو دعوة الى تعبئة كل القوة التي في داخل الانسان للمقاومة والصمود ولتجريد الخصم من السلاح.

سل المهاتما غاندي، فانه يعرف شيئا عن ذلك!

أما أن يحمل الانجيل تعاليم ومبادىء صعبة الهضم، فشأن لا يختلف فيه اثنان، ولا يسهّل أمر الذين يودون لو انتشلوا منه كل ما لا يروقهم ... والا للزم اعادة تركيبه من جديد. وهذا يذكرني بجارتنا العجوز، رحمها الله، عندما بادرتني يوما بعد معركة مع كنّتها:

– الحق كله على القسان. فمنذ اليوم الأول من الزواج يقرأون على راسهم هذا الانجيل: "ويترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته". انهم يحرّضون النسوان!

– ولكن هذا هو نصّ الانجيل، ولا يمكن تغييره.

فأجابت بانزعاج وعصبية:

– فليقرأونه، على الأقل، بالسريانية!

قرأت صباح هذا اليوم قولا ماثورا: "اذا كان المؤمنون يؤمنون بشيء ويفعلون خلافه، فما الفرق بينهم وبين من لا يؤمنون؟" .

ابو فادي

(الفكر المسيحي، عدد نيسان/ حزيران – ١٩٩٤)

سيدتي

من وحي زيارتي الاولى للولايات المتحدة الأميركية في صيف ١٩٩٨

ورزوح العراق تحت وطأة الحصار الأميركي – الغربي

نيويورك، شارع ٥ افنيو

زقاق ٥٠

الساعة ١٠ صباحا

كاتدرائية سان باتريك. نموذج متأخر من الفن الغوطي الفرنسي. برجان مدبّبان شاهقان من المرمر الأميركي المخرّم يجهدان في شقّ درب لهما الى النور وسط غابة من ناطحات السحاب التي تعلوهما بعشرات الأمتار، متدافعة متسابقة في ما بينها نحو الغيوم، في قلب وسط تجاري ومالي من أكثر الأوساط التجارية في العالم صخبا. بابان برونزيان جباران تزيّنهما شخوص بارزة من الإنجيل. عالمان متناقضان تماما: الداخل والخارج. فبالرغم من عدد الزوار، يخيّم هدوء تكاد لا تسمع فيه سوى زفير احتراق الشموع. فتلفّنا رهبة المكان، ونجلس ردحا غير يسير لصلاة صامتة في مؤخّرة الكنيسة.

أسندت راسي الى كفّي واغمضت عينيّ، وذهبت في مناجاة حميمة مع الرب... ذكرت له من أحبّهم... ومن اشاطرهم الرجاء عينه... ومن أحمل حرّ النهار وثقله معهم في بلدي وكنيستي... ذكرت له معاناة شعبي المحاصر... ودموع الثكالى والأرامل وحسرات الشيوخ... ذكرت أحلام الطفولة المخنوقة في أرضي، والطموحات التي أجهضت قبل اكتمالها، وتبعثرت اشلاء اشلاء على طرقات الدنيا، أو ضمرت الى حدّ الكفّ في قلوب شبابنا وعذارانا... كان الروح قريبا ينير بسراجه قلبي ويحرّكه بالحب والحماس... وفجأة أخذت دفتر الجيب وسجلت فيه بعض الأفكار لمشروع رسالة مفتوحة بعنوان "سيدتي" أخاطب فيها أميركا التي بعض من معاناة شعبي صنع يديها، والبعض الآخر عتاب عليها. وهذا نص الرسالة:

" **سيدتي**، لقد رايت عظمتك وقوتك، وشهدت اتساع أراضيك وغاباتك، وغزارة مياهك، ووفرة ممتلكاتك. وانتصبت أمامي أبراجك ونواطحك التي فاقت بكبريائها برج بابل، وتحدّيت السماء باقمارك ومركباتك الفضائية وطموحاتك الكونية. واني لأشهد بأن غناك الحقيقي يتمثّل، قبل هذا وذلك، في حيوية شعبك وانكبابه على العمل والانتاج والاستنباط والتسويق، ليل نهار.

لقد كنت غريبة، منبوذة، جائعة في أوربا ... ثم تجمّعت من الرياح الأربعة، وجئت واشتغلت واثريت وتحررت ونصبت على شواطئك تمثالا، وبذلك التمثال رايت رمز تصميمك على ضمان الحرية والحق لجميع رعاياك ... ترى أليس حلمك واسعا الى حدّ قد أنساك أن لغير رعاياك من بني البشر حرية وحقوقا أيضا؟!... حدودك ومصالحك مصونة مسيّجة في البر والبحر والجو وحتى في النجوم والأفلاك قاطبة... أما غيرك، فيدك الطويلة وعينك عليهم بطائراتك الاستطلاعية وجيوشك الجرارة وعملائك المبثوثين في العالم: تسلبين، وتحطّمين، وتؤدّبين على هواك باسلوب رعاة البقر، أسلافك الغابرين. أليست أفعالك ردود أفعال أكثر مما هي أفعال رزينة؟!... أليس ثمة طرق أخرى للتخاطب بينك وبين الشعوب غير العقوبات والتلويح بالدمار والويل والثبور؟!

أو تكون حقوق الإنسان حرية وكرامة وطعاما ودواء وكهرباء في منهاتن ولاس فيغاس وتكساس، ولا تكون كذلك في بغداد والموصل وكربلاء؟! أليس ينتظر منك، وأنت العظمى، أن تحمي حقوق المظلومين، وتعملي لرفع الجور والحصار والجوع، ومكافحة المرض والأوبئة، وضمان التعاون والتضامن بين الشعوب، عوض تأجيج الصدامات المسلّحة والأزمات هنا وهناك، وتعطيل جهود البناء والاستقرار والسلام، وفرض الحصار على العلم والثقافة والتكنولوجيا والغذاء والدواء، على حدّ سواء ؟...".

رسالة اختنق بها قلمي... طويتها ووضعتها على درج كاتدرائية القديس باتريك، قبل أن أختمها بطابع الأمم المتحدة ، وأودعها صندوق بريد المنظمة الدولية على عنوان كوفي عنان، الى من ترى نفسها سيدة العالم.

ابو فادي

(الفكر المسيحي، عدد تشرين الثاني/ كانون الاول ١٩٩٨)

ملحق رقم (٣)

مستقبل المسيحيين في العراق

نص مداخلة

المطران جرجس القس موسى

في مؤتمر " المعهد الملكي للدراسات الدينية" في عمان

بعنوان "المسيحية في الشرق الى اين ؟"

بين ١٢ - ١٣ آذار ٢٠١٢

□

مدخل

يواجه المسيحيون في العراق تحدّيات حقيقية لمخططات تُنسج خارجا عنهم وتحاك لهم دون أخذ رأيهم: هذا هو الانطباع السائد. تحديات صارت تهدد وجودهم على أراضي أجدادهم التاريخية بصورة خطيرة، على المدى المتوسط والبعيد. هل يكونون عرضة للمصير ذاته الذي أصاب اخوانهم مسيحيي جنوب تركيا في الحرب العالمية الأولى؟ هناك مؤشرات تكاد لا تصدق تدع المراقب يفكر في ذلك. فمنذ مجيء الأميركان في ٢٠٠٣ نلاحظ قوى خفية تخرج الورقة تلو الأخرى لتلعبها، تارة لمهاجمة المسيحيين بالقتل والتنكيل والخطف، ولم يسلم من ذلك لا قسس ولا مطارنة، بل وصل التهديد الى البطاركة، وفجرت الكنائس والأديرة والمطرانيات، ومنها أكثر من مرة؛ وطورا باعلان جهات مسلحة بأنها مستعدة لحماية المسيحيين! ناهيك عن مشاريع التغيير الديمغرافي أو الضغط عليهم بافراغ المدن الكبرى منهم، او خلق صيغ ادارية لحمايتهم. وكانت ردة الفعل الوقائية الاولى لديهم هي الهجرة التي نخرت صفوفهم. فهناك ما يقدر بـ ٥٠% من المسيحيين قد ارغموا على ترك المدن سواء الى المناطق الشمالية أو الهجرة الخارجية.. عمان بالذات كانت المحطة الاولى التي استقبلت آلاف المسيحيين العراقيين، تبعتها دمشق ولبنان وتركيا. محطات انتظار لسنوات عدة، قبل الابحار نحو المجهول، وكم من رفوض وخيبات أمل في هذا الانتظار.. وكم من بؤس انساني ومادي!

وكانت مذبحة كنيسة سيدة النجاة في تشرين اول ٢٠١٠ قمة المآسي الإنسانية التي تعرض لها المسيحيون في العراق. وكانت بالنسبة للمسيحيين ناقوسا خطيرا جدا وانذارا لا سابق له، سيما وقد تبعته بايام قليلة سلسلة أخرى من الهجوم على بيوت الضحايا ذاتهم وكأن الإرهابيين أصروا على تطهير العاصمة العراقية من المسيحيين.

عام بعد سيدة النجاة... الوضع والقانون..

في اوائل شباط الماضي، قرأنا في ركن من الأركان الإعلامية أن الحكومة العراقية أعدمت مرتكبي جريمة كنيسة سيدة النجاة. ونقل الينا الخبر بشيء من الارتياح ممثل دبلوماسي لبلادنا في عاصمة عربية، وكأن الفصل قد انتهى واسدل الستار. فسألت الدبوماسي: ترى هل كشف شيء من حيثيات الحكم عليهم؟ هل كشف التحقيق النقاب عن الجهات التي حركتهم؟ فكان الجواب صمتا. وأسدل الستار!

أجل، اذا تحدثنا عن وتيرة العنف العام ضد المسيحيين خلال عام ما بعد سيدة النجاة، فقد انخفضت النسبة مقارنة بالسنوات السابقة. ولكن حفنة من الأسئلة تبقى بلا جواب: هل اطمأنت قلوبهم الى أن مأساتهم قد انتهت؟ هل توقفت موجة الهجرة والتهجير بين صفوفهم؟.. تصريح مسؤول حكومي رفيع المستوى بين وقت وآخر يدعو الى الحد من هجرة المسيحيين، لا بل يكلّف البعض نفسه بالسفر الى الخارج وبين توقيع وتوقيع، لذر الرماد في العيون، يدعوهم الى العودة الى بلادهم. ولكن ما الذي فعلته الدولة لتأمين السند اللوجستي والقانوني والأمني لهذا الحدّ او العودة؟ هل تغيّر قانون مجحف بحقهم، كقانون اطفاء الأراضي السكنية التي اقتطعت بمساحات شاسعة من ممتلكاتهم في مناطقهم ووزعت على مواطنين غرباء قادمين من مناطق بعيدة، بخرق الدستور بالتغيير الديمغرافي الاعتباطي والقسري والمبرمج؟ لقد بدأ العهد السابق هذا المنحى وتلاه العهد اللاحق، هو الذي جاء لاصلاح أخطائه! هل تغيّر قانون الأحوال الشخصية الذي يخضعهم بمواد عديدة لقانون الشرع الإسلامي؟ هل تغير قانون تعليم مادة الدين في المدارس الرسمية الذي يلزم تأمينها للطالب المسلم حتى لو كان وحيدا في مدرسته، بينما لا يقرّها للطلبة المسيحيين الا اذا شكلوا ٥١% من مجموع طلبة المدرسة كلها؟ هل انتبهت الدولة الى حقوقهم المدنية والثقافية والاجتماعية كتطوير الخدمات البلدية والعمرانية والثقافية في مناطقهم، أو بفتح أقسام جامعية او كليات لاستيعاب أبنائهم، أو بتبني خطط تنموية حقيقية في مناطقهم، ولا نبقى أبد الدهر نستعطي مدرسة أو أرضا من أراضينا ذاتها لقاعة مناسبات أو لمستشفى أو لدار عجزة أو لمتحف شعبي او لمعهد أو لدير.. فتأتينا الرفوضات أو التسويفات بذرائع مختلفة؟ هل تحركت الدولة بصورة جادة وفاعلة للتحقيق في مرتكبي جريمة كنيسة سيدة

النجاة في بغداد، وكنائس الموصل وكركوك، وجرائم قتل مطارنة وذبح قسس بعد اختطافهم، ومهاجمة موكب الطلبة المسيحيين الذاهبين الى جامعة الموصل بسيارات مفخخة استهدفت موكبهم لابادته، فخلّصت بطولة شاب منهم رفاقه، فكان هو الضحية مع آخر و١٨٨ جريحا وحوالي ٤٠ طالبا وطالبة تشوهوا بقليل او كثير...وتعطل ١٢٠٠ طالب وطالبة عن الدراسة لعام أو عامين...مع الإشكالات النفسية والاجتماعية والعائلية الناجمة عن هذا التعطيل.

في كل مرة نتعرض لمأساة كبرى، كمذبحة سيدة النجاة، أو تفجير كنائس، أو مقتل قسيس او مطران، او هجوم على الطلبة ...حتى تنهمر علينا خطابات التنكيل والتنديد والاستهجان والاستنكار "للعمل الهمجي"، و"العملية الجبانة"، و"الجريمة الارهابية" و"ضرورة ملاحقة المجرمين ومحاكمتهم"، بل ترافق هذا الخطاب كلمات التقريض وقصائد المديح والاكبار لدور المسيحيين في حياة البلاد، وبأنهم الأصلاء والأولون وأهل الدار...حتى تمضي ايام قليلة فيعود كل شيء الى حاله، وتخمد الكلمات وتتخدر القرائح ...ويبقى المسيحي كما كان مواطنا من الدرجة الثانية، وحقوقه حقوق اهل الذمة، ومطالبيه خروجا عن الوحدة الوطنية، وما عليه الا أن يصطف وراء أحد ما أو حزب ما لكي ينال شيئا ما... بل تبقى أرضه عرضة لمطامع اليمين واليسار وموضوع مساومات الكبار ولعبتهم.

ملاحظاتي لمستقبل المسيحية في العراق:

في وتيرة الإرهاب والهجرة والضغوط على الاستيلاء على الأراضي ومخاطر فقدان الثقة، هناك خطر حقيقي على استمرارية حضور فاعل للمسيحيين في ارض أجدادهم وتاريخهم :

١. هناك شرطان أساسيان اذا لم يتحققا لن يكون تأثير فاعل للحضور المسيحي: الواحد بيد المسيحيين أنفسهم، والثاني بيد الدولة.
   - على المسيحيين أن يوحدوا كلمتهم وصفوفهم وينسقوا مواقفهم.
   - وعلى الدولة اولا واساسا، وبتصميم وقرار سياسي شجاع ووطني، بتأمين الأمن المدني والحماية للمواطنين كافة، وللمسيحيين خاصة. كما عليها بتأمين الحقوق المدنية والثقافية والسياسية وتكافؤ الحقوق مع الواجبات لهم، بما يخدم تطوير مناطقهم حضاريا واقتصاديا وعمرانيا وتأمين البنى التحتية المتكاملة، مع الضمانات الدستورية والقانونية والمجتمعية.

٢. العمل المشترك والمنسق وتوحيد الكلمة واسلوب العلاقة المنسجمة والفاعلة بين الكنائس المسيحية، عبر المؤسسات التنفيذية الكنسية والاجتماعية والتربوية والراعوية والإعلامية، وتوطيد مبدأ التشاور والحوار في المواقف الكنسية الرسمية داخليا وتجاه المجتمع المدني ومراجع الدولة، وليس الانفراد في الحركة.

٣. حتمية العمل المشترك والتنسيق وتوحيد الخطاب السياسي بين الأحزاب والهيئات السياسية القائمة ضمن الجماعة المسيحية، ليس في الكلام فقط بشكل عام ومبدئي، بل عبر قنوات تنفيذية واعلامية فاعلة مع ارادة سياسية واضحة ومتكافئة لبلوغ الأهداف، اهداف الشعب المسيحي ككل وليس أهداف طائفة أو فئة. ان أية صيغة غير هذه لا تلقى تأييد القاعدة الشعبية، ولن تفيد غير التفرقة والعمل المنفرد الذي لا جدوى منه على المدى البعيد او القريب. وكل عمل فردي يتوجه، ضمنا أو علنا، الى فريق واحد أو معين، تحت مظلة قومية معينة أو طائفية أو كنسية لن تكون سوى تمويه لشيء آخر غير مفصح عنه.

٤. الانتباه الى ان شعبنا المسيحي يتكون من كنائس متعددة أعطت هويتها الكنسية ولهجاتها اللغوية لمجموعات من ابناء شعبنا دون ان تتعاكس او تتقاطع. فلا يجوز أن نجعل من انتماءاتنا الطائفية الكنسية حواجز تفصلنا، أو قوميات مزعومة متقاطعة ومستقلة عن بعضها. ان ما يجمعنا كشعب واحد ويربط مصيرنا (وهذا المصير ذاته هو الرابط الأهم والأساسي الحقيقي المتعلق بحياة الناس ومستقبل المسيحية في العراق، وليس جاه الطائفة الفلانية وامتداداتها خارج الحدود). ان عددنا الديمغرافي الضئيل والتحديات المصيرية التي نواجهها هنا في الوطن يوميا، هل تسمح لنا بأن نتفارق الى فرق لا تتغنى الا بالماضي البعيد وتنسى الحاضر المرير، والى طوائف متلافقة حول ذاتها كالحلزون، متسمرة في منطق الأكثرية الساحقة والأقلية المسحوقة... حتى بيننا في الداخل!

٥. الاعتراف باستقلالية وذاتية كل من العمل السياسي والعمل الكنسي: لا يمكن أن نخدم شعبنا بصورة مفيدة وفاعلة من دون تنسيق وتعاون بين الكنيسة ورجال السياسة والمجتمع المدني. فاذا كان الطرفان يعملان لمصلحة الشعب المسيحي باسره، الواحد في عالم الروح والايمان والأخلاق وبناء الإنسان، والآخر في عالم المادة والتطوير والحياة المدنية، فليعترف كل طرف بشخصية الآخر ودوره، ولا يكن تداخل، أو تبعية، أو استغلال هذا لذاك. رجل الكنيسة هو أب ومرشد وعنصر توحيد وديناميةً، لا اداة تحزب وتقسيم أو تبعية مشبوهة. كما لا ينبغي أن يمسك رجل الكنيسة العلمانيً بيده ويسيره أو يقوم

بعمله بالنيابة عنه أو التدخل في شؤون ليست من اختصاص رسالته الكنسية. ورجل السياسة لا يجوز أن يتوجه الى رجل الكنيسة كأداة لتجميع أصوات في الانتخابات أو لتعزيز مركزه السياسي ليس الا.

٦. للوصول الى توحيد الصفوف تماما وبناء شخصية الجماعة المسيحية في العراق نحن بحاجة الى ما اسميه "المرحلة الثقافية"، نركز خلالها على ايلاء الشأن الثقافي والارث الحضاري المشترك أهمية أساسية، بل الأولوية. وأعني بذلك أننا بحاجة أساسية الى أن تنفتح مكونات شعبنا الى بعضها البعض اجتماعيا، وتتقابس من بعضها البعض ثقافيا لكي تتطلع على تراثاتها التاريخية والفولكلورية والأدبية والفنية المشتركة، وتكتشف أنها ترتشف من نبع واحد أو متقارب، فتشعر بأنها فعلا شعب واحد غني وزاخر. وهذا يتطلب من المؤسسات الثقافية والفنية والكنسية والسياسية والأدباء والفنانين وذوي رؤوس الأموال ورجال الأعمال الميسورين تنظيم مهرجانات ومعارض ثقافية وفنية وأمسيات شعرية ومسرحية وغنائية وفعاليات شبابية مشتركة ورحلات سياحية ترفيهية وموجهة، مع حجوج دينية الى الأديرة والكنائس المختلفة، ومناسبات تواصل شعبي: ويكون مسرح هذه الفعاليات كافة المناطق المسيحية المختلفة. هذه الفعاليات تأتي كقناة توحيد وتعريف واستكشاف متبادل لمناطقنا وتراثاتنا. برأيي قد دفع تسارع الساعة السياسيين الى زج أنفسهم في ساحة غير مهيئة تماما للتوحيد ومن دون برمجة سابقة، فزادوا في الطين بلة وأضاعوا سنوات طويلة في البحث عن اسم موحّد، مع انهم كانوا واقعيا يعمل كل واحد لمعسكر طائفته الكنسية معتبرا اياها شعبا أو قومية قائمة بذاتها.

ان فلسفة دعوتي الى "المرحلة الثقافية" اولا تستند الى أننا لا زلنا عموما نجهل بعضنا البعض، ولا زلنا نحتاج الى ترسيخ الثقة المتبادلة، ولا زال شعور الانتماء الواحد يتطلب جهدا كبيرا وحيّزا زمنيا، سيما وأن مناطقنا المسيحية وقرانا كانت معزولة عن بعضها في السابق.. لربما لسبب الحفاظ على أمنها الذاتي في أزمنة الخوف الطويلة.

١. نقطة أخرى أثيرها هي: الضرورة في بناء الثقة بين أبناء شعبنا من الناطقين بالسورث أو السريانية الدارجة والناطقين بالعربية من ابناء المدن، فكلنا شعب واحد وجذر واحد ومصير واحد. لا يجوز اهمال هؤلاء، وبالأخص لا يجوز الانكار عليهم التكلم بالعربية وكأنها لغة غريبة. أوليست اللغة العربية هي لغة التعبير والتعلم والثقافة الفضلى بينهم، وقد برز فيها كتّاب ومفكرون ومترجمون وعلماء ومثقفون لا يحصون من شعبنا.

٢. أخيرا هناك نقطة حساسة أخرى مهمة وخطيرة في ما يخص وضع ومستقبل المسيحيين في العراق: وهي العلاقة الجدلية بين مسيحيي الداخل ومسيحيي الخارج، في بلاد الانتشار، ولاسيما الأميركي. القضية ذاتها لا ينظر اليها من الزاوية عينها من قبل المسيحيين العائشين في العراق في تجاذباته واشكالاته السياسية والأمنية والمصيرية، ومسيحيي المهجر الذين ينعمون بحرية التفكير والحركة وما يمكن أن أسميه "الاعتزاز القومي" أو "الطائفي". بالنسبة لأهل الخارج قد يعطون الأولوية "للكيان القومي" المجرد ولأمجاد الماضي وأحلام التاريخ، بينما يناضل أهل الداخل في صفوف متراصة من أجل البقاء وحفظ الكيان وشق دور لأنفسهم لبناء أنفسهم والمشاركة في بناء وطن أجدادهم. التنسيق بين الجناحين ضروري وبنّاء وقوة، ولكن لا ينبغي ان يغيب عن الذهن بان الخارج يجب ان يرعى مصالح الداخل، لا ان يجعل من الداخل حجة لمخططه.

ملحق رقم (٤)

موجز تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية

الكنيسة السريانية هي كنيسة شرقية رسولية، أسسها الرسل في انطاكية (في تركيا الحالية) في القرن الأول. وفي وقت لاحق تجزأت الكنيسة "الواحدة الجامعة" الى افرع عديدة، سببتها الانقسامات المختلفة، ولأسباب مختلفة، من بينها العوامل الجغرافية والسياسية والثقافية، وظاهرها النظرة اللاهوتية الى طبيعة المسيح البشرية والإلهية.

لم تشذّ عن ذلك الكنيسة السريانية –وهي ذات لغة وثقافة آرامية– سريانية (يسوع وتلاميذه تكلموا الآرامية– وكانت هذه الكنيسة هي الأخرى عرضة للهزّات اللاهوتية. ففي أعقاب مجمعي أفسس (٤٣١)، وخلقيدونية (٤٥١) تقاسمت كنيستان سريانيتان هذا الأرث الآرامي – السرياني وهما: الكنيسة المسماة بالسريانية، وموقعها في الإمبراطورية الرومانية (المونوفيزية، ويقال لها ايضا "الأرثوذكسية")؛ وكنيسة المشرق، وموقعها في الإمبراطورية الفارسية ("النسطورية" المعروفة اليوم بتسمية الكنيسة الآشورية– الكلدانية). ومن رحم هاتين الكنيستين ولد فرعان أو كنيستان كاثوليكيتان هما: السريانية الكاثوليكية (القرن ١٧)، والكلدانية (القرن ١٦).

ولادة وتطور الكنيسة السريانية الكاثوليكية الأنطاكية

منذ القرن السادس عشر انتمى بعض أعضاء الأكليروس السرياني الأرثوذكسي الى الكثلكة، ولكنهم لم يسحبوا معهم جماعاتهم. غير أن الآباء الكبوشيين، اعتبارا من القرن السابع عشر، نجحوا في حمل معظم السريان الأرثوذكس في حلب (سوريا) الى الكثلكة، مع بطريركهم. ووضع أول مطران سرياني كاثوليكي (أندراوس أخيجان) كرسيه في حلب (١٦٦٢)، وأرسل اعتراف ايمانه الى روما (١٦٦٥). وبدأ صراع بين الأرثوذكس والكاثوليك.

وفي بداية القرن الثامن عشر حاول الأرثوذكس اجتثاث الفرع الكاثوليكي "المنشق" بطرق مختلفة. وفرغ الكرسي البطريركي الكاثوليكي فعلا لمدة ٨٠ عاما (١٧٠٢ – ١٧٨٢)، ليعود من جديد مع البطريرك ميخائيل الثالث جروة (١٧٨٢ – ١٨٠٠)، الذي

نال ضروبا من الملاحقات من اخوته، حتى التجأ الى بغداد، ثم عند الموارنة في لبنان. وفي هذا البلد ثبّت مركزه وكرسيه البطريركي في دير الشرفة الذي بناه. وفي عهد بطريركيته أعادت الكنيسة السريانية الكاثوليكية بنيتها، وازداد عددها. غير أن الأضطهادات لم تختفِ.

وبالرغم من كل ذلك نالت الكنيسة السريانية الكاثوليكية استقلاليتها واعترف بها الباب العالي رسميا، وكان ذلك شرطا وحيدا لكسر عزلتها. وبعد وصاية مؤقتة من بطريرك الأرمن الكاثوليك في ما يخص علاقتها مع الدولة العثمانية، تسلمت دفة شؤونها المدنية كاملة عام ١٨٤٥. أما استقلاليتها التامة كطائفة قائمة بذاتها فجاءت عام ١٨٦٦. وكان مجمع الشرفة سنة ١٨٨٨ منعطفا جوهريا في حياتها التنظيمية والقانونية والفكرية. وبعد أن أعادت الكنيسة السريانية الكاثوليكية تنظيمها، واشتد عودها بالتحاق عدد كبير من الأرثوذكس بها، أخذت موقعها بين مجموعة الكنائس الكاثوليكية الشرقية. وهكذا وصل أحد بطاركتها، مار أغناطيوس جبرائيل تبوني الموصلي (١٨٧٩ – ١٩٦٨) الى رتبة الكردينالية في ١٦ كانون الأول ١٩٣٥، ليصبح بذلك أول عضو شرقي في مجمع الكرادلة، واشترك في ٢ آذار ١٩٣٩ في المجمع الانتخابي الذي تمّ فيه انتخاب الكردينال باشيللي بابا باسم بيوس الثاني عشر (١٨٧٦ – ١٩٥٨). ولقد بادره بيوس الثاني عشر عندما عانقه في احتفالية تنصيب الحبر الأعظم الجديد: "بشخصك نعانق كل مسيحيي الشرق". وسيكون الكردينال تبوني أحد المنسّقين الأربعة الذين ترأسوا جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥). كم كان طويلا الطريق الذي سلكته الكنائس الشرقية لتنال الاعتراف بها! ... ولقد صار أحد خلفاء البطريرك تبوني، البطريرك مار اغناطيوس موسى الأول داود، كردينالا هو ايضا (٢١ شباط ٢٠٠١)، ورئيسا لمجمع الكنائس الشرقية في روما. والبطريرك السرياني الكاثوليكي الحالي، مار اغناطيوس يوسف الثالث يونان عيّن أحد الرئيسين المشاركين، باسم البابا، لسينودس الأساقفة الخاص بمسيحيي الشرق الأوسط، المنعقد في الفاتيكان في تشرين الأول ٢٠١٠.

أبرشية الموصل /نينوى

أبرشية المطران جرجس القس موسى

ترقى أبرشية الموصل (نينوى) الى أوائل المسيحية؛ فآثارها المعمارية وكنائسها تشهد معا لهذا التاريخ المسيحي النهريني العريق. وفي مدينة الموصل وضواحيها تنقسم المسيحية الآرامية – السريانية الى اسرتين كبيرتين: "المشرقية – النسطورية" و"السريانية". وترسخت الكثلكة السريانية مع الاباء الكبوشيين، وانتشرت في الموصل وضواحيها، وحتى في منطقة كردستان، مع مجيء الاباء الدومنيكان (١٧٥٠). وكان المطران جرجس القس موسى

المطران السرياني الكاثوليكي الثاني عشر لأبرشية الموصل السريانية، للفترة من ١٩٩٩ – ٢٠١١. واليوم، قد أصبحت قره قوش، مسقط رأسه، أهم مركز في هذه الأبرشية (نحو ٤٠,٠٠٠ نسمة، ٩٠% منهم سريان كاثوليك).

تسلسل المطارنة في أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك

تأسست في ١٧٩٠

في ٢١ كانون الأول ١٧٩٠ نال الرسامة الأسقفية قورلس بشارة اخطل، وهو من أصل قره قوشي، كأول اسقف سرياني كاثوليكي بعنوان "أبرشية دير مار بهنام، بخديدا والموصل". وكان هذا الأسقف بالأساس كاهنا متزوجا ونال الأسقفية بعد ترمله. رسم كاهنا في ٢٥ نيسان ١٧٧٨ في حلب بوضع يدي المطران ميخائيل جروة الذي اصبح، في ما بعد، أول بطريرك سرياني كاثوليكي سنة ١٧٨١. ولقد رسم هذا البطريرك نفسه الأب بشارة اسقفا بعد وفاة زوجته. فانصرف الاسقف الى تنظيم أبرشية الموصل التي كانت تضم أول الآمر كل العراق، أعني الموصل وبغداد والبصرة مع جزيرة ابن عمر في تركيا. ومن ١٧٩٠ – ٢٠١١ توالى على راسها اثنا عشر مطرانا، هم:

١. قورلس بهنام بشارة أخطل (١٧٩٠ – ١٨٢٨)
٢. تيوفيلس ميخائيل يوحانا (١٨٢٩ – ١٨٣١)
٣. غريغوريوس عمانوئيل كرمي (١٨٣٥ – ١٨٣٧)
٤. غريغوريوس عيسى محفوظ (١٨٣٧ – ١٨٥٥)
٥. قورلس بهنام بني (١٨٦٢ – ١٨٩١)
٦. رابولا افرام رحماني (١٨٩١ – ١٨٩٤)
٧. قورلس بولس دانيال (١٨٩٤ – ١٩٠٢)
٨. غريغوريوس بطرس هبرا (١٩٠٢ – ١٩٢٤)
٩. قورلس جرجس دلال (١٩٢٦ – ١٩٥١)
١٠. يوليوس جرجس قندلا (١٩٥١ – ١٩٥٧)
١١. قورلس عمانوئيل بني (١٩٥٩ – ١٩٩٩)
١٢. باسيليوس جرجس القس موسى (١٩٩٩ – ٢٠١١)

أما خليفة المطران جرجس القس موسى فهو نائبه العام السابق، مار يوحنا بطرس موشي.

وكان ستة من مطارنة أبرشية الموصل من قره قوش أو من اصل قره قوشي (بشارة أخطل، ميخائيل يوحانا، بولس دانيال، عمانوئيل بني، جرجس القس موسى، وبطرس

موشي)، وخمسة من مدينة الموصل ذاتها (عمانوئيل كرمي، عيسى محفوظ، بهنام بني، أفـــرام رحماني، جرجس قندلا)، وواحد من لبنان (جرجس دلال)، وواحد من ســـوريا (بطـــرس هبرا).

وأعطت أبرشية الموصل ثلاثة بطاركة للكنيسة السريانية الكاثوليكية، هم من أبرز بطاركتها علما ومكانة، وهم أغناطيوس بهنام بني، واغناطيوس أفرام رحماني، واغنـــاطيوس جبرائيل تبوني، والأثنان الأولان قد ترأساها كمطرانين، وخدمها الثاني كاحد كهنتها.

الكنائس المسيحية في العراق

- **الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية (الأكثر عددا) (كرسي بطريركها في بغداد: مار لويس روفائيل الأول ساكو)**
- **كنيسة السريان الأرثوذكس (كرسي بطريركها في دمشق: مار اغناطيوس زكا الأول عيواص)**
- **كنيسة السريان الكاثوليك (كرسي بطريركها في بيروت: مار أغناطيوس يوسف الثالث يونان)**
- **كنيسة المشرق الآشورية (كرسي بطريركها في شيكاغو: مار دنخا الرابع)**
- **الكنيسة الشرقية القديمة (كرسي بطريركها في بغداد: مار أدي الثاني)**
- **كنيسة الأرمن الأرثوذكس (كرسي بطريركها في اتشميازين)**
- **كنيسة الأرمن الكاثوليك (كرسي بطريركها في بيروت)**
- **البروتستنت بمختلف انتماءاتهم (الأنجيليون. السبتيون)**
- **الروم الأرثوذكس**
- **الروم الكاثوليك**
- **اللاتين**
- **الأقباط**
- **وهناك جماعة ناشئة تطلق على نفسها اسم "الكنيسة الكردية" من الانجيليين الأكراد المتنصرين حديثا.**

(اعداد: جوزيف اليشوران)

المحتوى

كلمة الناشر ٩
تقديم ١١
تقديم الصحفيين ١٧
الفصل الأول: "مسيحيو العراق، ألا ينعمون بالسلام أبدا؟!" ٢١
الفصل الثاني: قره قوش: وطن طفولتي وملاذي ٣٣
الفصل الثالث: ديانة دائمة الحضور ٤١
- ايمان هو هوية ٤٤
الفصل الرابع: معهد مار يوحنا الحبيب/ الموصل ٤٩
- القديسة تريزيا المحصنة وشارل دي فوكو الجوال ٥٣
- بين تجربة الصحراء وجاذبية العالم ٥٧
- الشرق والغرب: كنيستان وايمان واحد ٥٨
- "اردت أن اصير دومنيكيا" ٦٢
الفصل الخامس: ١٩٦١ الحج الى الاراضي المقدسة ٦٥
الفصل السادس: كاهن شاب خارج السرب ٧١
- جماعة كهنة يسوع الملك ٧٦
الفصل السابع: مغامرة "الفكر المسيحي" ٨١
- ليس من السهل أن يكون المرء صحفيا في العراق ٨٥
الفصل الثامن: شاهد لتاريخ العراق ٨٩
- ١٩٨٠ – ١٩٨٨ الحرب العراقية – الايرانية ٩٤
- بداية جحيم لا نهاية له ٩٥
- ٢٠٠٣ كذبة بوش الابن وطوني بلير ٩٧
الفصل التاسع: رئيس اساقفة في ١٩٩٩: المعارضة في الحكم ١٠١
الفصل العاشر: ٢٠٠٥ الاختطاف ، مواجهة الموت ١٠٧
الفصل الحادي عشر: الحوار مع المسلمين: اصرار على الإيمان بالعيش المشترك ١١٣
- كلمة عن الثورات العربية في ٢٠١١ ١٢١
الفصل الثاني عشر: "حياتي هي المسيح" ١٢٣
ملحق رقم ١: اقدم حياتي من اجل السلام في العراق/ قصة اختطافي... ١٢٧
ملحق رقم ٢: ثلاثة نماذج من "همسات أبو فادي" ١٣١
– من نبي متقاعد الى يسوع ١٣١
– حكاية شهر شباط ١٣٣
– سيدتي ١٣٥
ملحق رقم ٣: مستقبل المسيحيين في العراق ١٣٧
ملحق رقم ٤: موجز تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ١٤٣
– نبذة عن ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك ١٤٤

تأليف

١. ايدل كوين (الموصل ١٩٦٣)
٢. شارل دي فوكو رسول الأخوّة الشاملة (بيروت ط١ ١٩٦٨، ط٢ ١٩٩٢)
٣. رسالة الأخ شارل الى بني جيلنا (بغداد – حلب ١٩٧٨)
٤. المسألة الدينية في المجتمع العربي – أطروحة ماجستير بالفرنسية (لوفان -بلجيكا ١٩٧٩)
٥. همسات أبو فادي (ج ١ – بغداد ١٩٨٥)
٦. حياتي هي المسيح – رسالة راعوية (الموصل ٢٠٠٠)
٧. الأسرة المسيحية – رسالة راعوية (الموصل ٢٠٠٢)
٨. همسات ابو فادي (ج ٢) مختارات الفكر المسيحي٥/بيبليا للنشر - الموصل ٢٠٠٧)
٩. افتتاحيات الفكر المسيحي (مشترك) (مختارات الفكر المسيحي ٤/بيبليا للنشر - الموصل ٢٠٠٧)
١٠. المختار من الأعداد الخاصة (مشترك) بيبليا للنشر ٢٠١٠
١١. ملفات الفكر المسيحي (مشترك) بيبليا للنشر - الموصل ٢٠١١
١٢. من البيدر العتيق (مختارات الفكر المسيحي١١/بيبليا للنشر - الموصل ٢٠١٢)
١٣. مقابلات ولقاءات (مختارات الفكر المسيحي ١٣/بيبليا للنشر - الموصل ٢٠١٣)
١٤. أحاديث Nouvelle Cite 2012 /Entretiens: Jusqu'au bout
١٥. حتى النهاية/ تعريب كتاب "احاديث" (سلسلة روافد ٣ / بيبليا للنشر – الموصل ٢٠١٤)

تعريب

١. نداء الأبطال (بيروت ١٩٦٧)
٢. اخوتي جميع البشر (ط١/ بيروت ١٩٧١، ط٢/ ١٩٩٢، ط٣/١٩٩٦)
٣. طريق الصلاة مع الأخ شارل (ط١/لبنان ١٩٨٤، ط٢/١٩٩٨)
٤. بحثت ووجدت (بغداد ١٩٨٦)
٥. روح الطفولة طريق الملكوت (لبنان ١٩٨٦)
٦. على دروب الناصرة (بيروت ١٩٩٧)

٧. لماذا يا رب؟ لغز الألم (بغداد ٢٠٠٣)
٨. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل (ابحاث كتابية٧/بيبليا للنشر - الموصل ٢٠٠٥)
٩. يسوع الذي هو المسيح (ابحاث كتابية ١١/بيبليا للنشر – الموصل ٢٠٠٧)
١٠. مذكرات مريم فتاة الناصرة (ابحاث كتابية ١٤/ بيبليا للنشر – الموصل ٢٠٠٩)
١١. رسائل بولس الرسول/ج ١: الرسالتان الى القورنثيين (ابحاث كتابية ١٦/بيبليا للنشر -الموصل ٢٠١٠)
١٢. الرسالة الى الرومانيين (تعريب من السريانية فشيطتو: ينابيع سريانية: العهد الجديد السرياني/مركز الدراسات والأبحاث المشرقية: جامعة مونستر المانيا والجامعة الأنطونية لبنان – ٢٠١٠)
١٣. الخطوات الأولى للمسيحية في الشرق (سلسلة روافد/١ - بيبليا للنشر ٢٠١٢)
١٤. سفر الرؤيا (أبحاث كتابية ٢٢ / بيبليا للنشر - الموصل ٢٠١٣)
١٥. دليل الى العهد الجديد (أبحاث كتابية ٢٤/بيبليا للنشر – الموصل ٢٠١٣)

في ملفات الكتاب المقدس/ دار بيبليا للنشر – الموصل

١. ايليا واليشاع (ملف ٣ / كانون الثاني ٢٠٠١)
٢. حزقيال النبي (ملف ١٠/ تشرين الاول ٢٠٠٢)
٣. اشعيا النبي (ملف ٢٢/ تشرين الاول ٢٠٠٥)
٤. اشعيا الثاني وتلاميذه (ملف ٢٧/ كانون الثاني ٢٠٠٧)
٥. العماذ في الكتاب المقدس (ملف ٣٥/ كانون الثاني ٢٠٠٩)
٦. روايات الكتاب المقدس (ملف ٤٢/تشرين الاول ٢٠١٠)
٧. هل أملى الله الكتاب المقدس ؟ (ملف ٤٩/ تموز ٢٠١٢)
٨. يوحنا المعمذان (ملف ٥٥/ كانون الثاني ٢٠١٤)

اعداد وتقديم

١. كتاب يوبيل دير مار بهنام الشهيد (بغداد ١٩٨٤)
٢. دليل ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك (الموصل ٢٠٠٢)
٣. القداس السرياني (بغداد ٢٠٠٣)
٤. دليل ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك (ط٢ موسعة /بغداد ٢٠٠٨)

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة.

صدر منها سابقا:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٣)، همسات ابو فادي /ج١ (بغداد ١٩٨٥)، ابت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤)

ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي"

٣

٢٩٠ص/٢٠٠٦ (٢٥٠٠د.)

٤

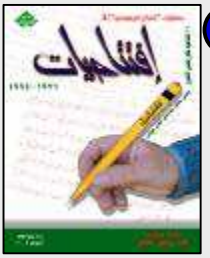

٥٠٠ص/٢٠٠٧ (٣٥٠٠د.)

٥

١٨٠ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠د.)

٦

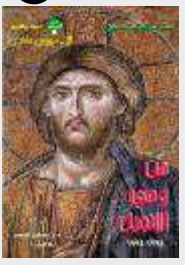

٢١٠ص/٢٠٠٩ (٢٥٠٠د.)

٧

٢٨٤ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠د.)

٨

٥٠٨ص/٢٠١٠ (٣٥٠٠د.)

٩

٢٩٢ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د.)

١٠

٤٨٠ص/٢٠١١ (٣٥٠٠د.)

١١

٤٤٠ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د.)

١٢

٤٥٢ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د.)

١

٢٧٢ص/٢٠١٣ (٣٠٠٠د.)

اعلان:

تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١-١٩٩٤، في شكل مجموعات.

• المجموعة الكاملة (بكمية محدودة)	٢٤ عاماً	٢٥٠٠٠٠د.
• المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥-١٩٧٧)	٢١ عاماً	١٠٠٠٠٠د.
• مجموعة اعداد ١٩٨١-١٩٩٤	١٤ عاماً	٥٠٠٠٠د.
• الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨-١٩٩٤	(١٦عدداً)	٧٠٠٠د.

سلسلة تفاسير (Commentaires)

عشرة أجزاء تغطي بالتفسير للعهد الجديد برمته، بقلم اختصاصيين فرنسيين في العلوم البيبلية. عمدت دار بيبليا عام ٢٠٠٨ الى ترجمتها ونشرها بمعدل كتابين في السنة.

ظهر منها ٩ أجزاء:

١. الانجيل بحسب القديس متى/١
تعريب الاب بيوس عفاص/ ٢٨٨ص-٣٠٠٠د.

٢. الانجيل بحسب القديس يوحنا/٤
تعريب الأب بيوس عفاص/ ٢٨٠ص-٣٠٠٠د.

٣. الرسالتان الى القورنثيين/٦
تعريب م. جرجس القس موسى/ ٢٣٢ص-٣٠٠٠د.

٤. الرسالتان الى روما وغلاطية/٧
تعريب الاخت باسمة الخوري/٢١٦ص-٣٠٠٠د.

٥. الرسالتان التسع الاخيرة/٨
تعريب الاب البير ابونا/ ٣٤٠ص-٣٠٠٠د.

٦. الرسائل الاخيرة/٩
تعريب الاب فادي مسلم/ ٢٤٨ص-٣٠٠٠د.

٧. الانجيل بحسب القديس مرقس/٢
تعريب الخوري بولس الفغالي/ ٣٤٠ص-٣٠٠٠د.

٨. الانجيل بحسب القديس لوقا/٣
تعريب الاب بيوس عفاص/ ٣٢٠ص-٢٥٠٠د.

٩. سفر الرؤيا / ١٠
تعريب م. جرجس القس موسى/١٦٨ص-٢٠٠٠د.

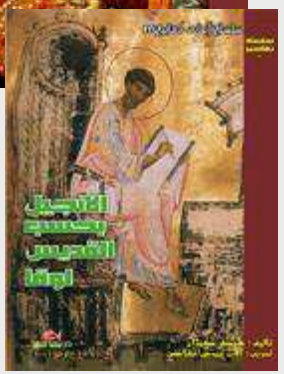

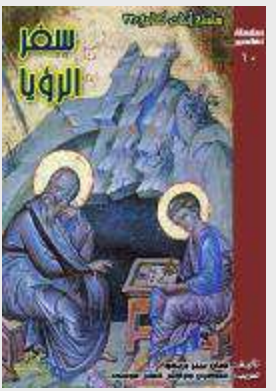

يظهر في غضون عام ٢٠١٤

١٠. سفر اعمال الرسل/٥
تعريب الاب ايوب شهوان

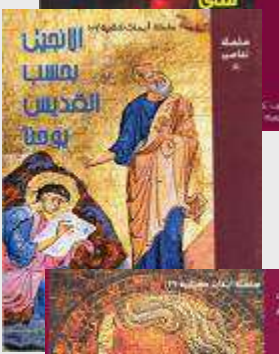

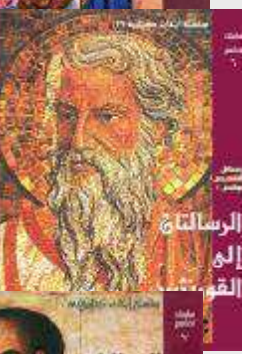

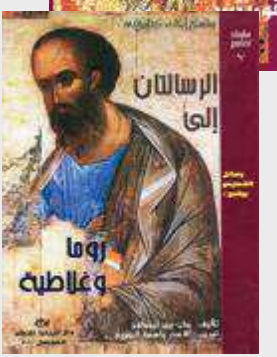

الاناجيل الاربعة مجتمعة
[٤ أجزاء]: ١٠,٠٠٠د.

ثلاثية رسائل القديس بولس
مجتمعة [٣ أجزاء]: ٧,٠٠٠د.

انجزت مطبعة الديوان طبع هذا الكتاب في ١ كانون الثاني ٢٠١٤

سلسلة أبحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد — تأليف: أ. بيوس عفاص ٥٤٠ص/١٩٩٩ (٤٠٠٠ د)

٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي — تعريب: أ. بيوس عفاص ٢٣٤ص/٢٠٠٢ (١٠٠٠ د)

٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء — ٢٤٠ص/٢٠٠٣ (١٥٠٠ د)

٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع — ٢٧٢ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٥. قراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة، من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة] مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)

سعر خاص للجزئين من [قراءة في العهد الجديد]: ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل — تأليف: أ. ريموند براون
ت: م. جرجس القس موسى — ٢٠٨ص/٢٠٠٥ (٢٠٠٠ د)

٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ — تأليف: دونالد يونيل
تعريب: أ. البير ابونا — ٢٠٠ص/٢٠٠٦ (٢٠٠٠ د)

٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة — تأليف: أ.بيير بنوا
تعريب: أ.بيوس عفاص — ٣٣٦ص/٢٠٠٦ (٢٥٠٠ د)

١١. يسوع الذي هو المسيح — تأليف: أ.برنار راي
ت: م. جرجس القس موسى — ١٣٦ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠ د)

١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا — تأليف: ك. كارلو مارتيني
تعريب: أ. البير ابونا — ١٧٦ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠ د)

١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١ — تأليف: كلود تاسان
تعريب: أ. بيوس عفاص — ٤٨٨ص/٢٠٠٨ (٣٠٠٠ د)

١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة — تأليف: جاكلين سافيريا هوري
ت: م. جرجس القس موسى — ٤٨٨ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤ — تأليف: آلان مرشدور
تعريب: أ. بيوس عفاص — ٤٨٠ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)

١٦. رسائل القديس بولس/ج١: سلسة تفاسير ٦ الرسالتان الى القورنثيين — تأليف: بول دي سيرجي وموريس كاريز
ت: م. جرجس القس موسى — ٢٣٢ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)

١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: سلسلة تفاسير ٧ الرسالتان الى روما وغلاطية — تأليف: جان-بيير ليمونون
تعريب: الاخت باسمة الخوري — ٢١٦ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)

١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: سلسلة تفاسير ٨ الرسائل التسع الاخرى — تأليف: شانتال رينييه وميشيل ترماي
تعريب: أ.البير ابونا — ٣٤٠ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د)

(وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة، بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)

١٩. الرسائل الاخيرة / سلسلة تفاسير ٩ — تأليف: ادواركوتنيه، ميشيل موركن، البير فانوا
تعريب: أ. فادي مسلّم — ٢٤٨ص/٢٠١١ (٣٠٠٠د)

٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس/سلسلة تفاسير ٢ — تأليف: جاك هيرفيو
تعريب: الخوري بولس الفغالي — ٢٤٠ص/٢٠١٢ (٣٠٠٠د)

٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا/ سلسلة تفاسير ٣ — تأليف: هيك كوزان
تعريب: الاب بيوس عفاص — ٣٢٠ص/٢٠١٢ (٣٥٠٠د)

(الاناجيل الاربعة مجتمعة تباع بسعر خاص: ١٠٠٠٠ د. فقط)

٢٢. سفر الرؤيا/ سلسلة تفاسير ١٠ — تأليف: جان-بيير بريفو
تعريب: م. جرجس القس موسى — ١٦٨ص/٢٠١٣ (٢٠٠٠د)

٢٣- سفر أعمال الرسل / سلسلة تفاسير ٥ — يظهر في غضون عام ٢٠١٤

٢٤- دليل الى العهد الجديد — تأليف: الأب اسطيفان شربنتييه وريجيس بورنيه
تعريب: م. جرجس القس موسى — ٢٥٦ص/٢٠١٣ (٣٠٠٠د)

تفاجأت بالعرض، وابتسمت للفكرة، وتخوفت بعض الشيء. فأعطيت الجواب بعد يوم او يومين: أوكي من حيث المبدأ، ولكن لي شرطين: الأول أن تنقل بأمانة ما أقوله لك، والثاني أن يخدم المشروع شعبي وكنيستي. ولا أهمية لشخصي اذا بقي في الظل.

مخاطر حقيقية تهدد الوجود المسيحي اليوم في الشرق من جراء تغييب المسيحيين من الحياة العامة، وبسبب ظاهرة الأرهاب المنظّم التي تلاحقهم وتجبرهم على الهجرة.

التعايش والتلاحم الحضاري والتاريخي لم ولن تنكر لهما المسيحية الشرقية، عربية كانت أم سريانية، مع ابناء الديانة الاسلامية. ولكن التعايش والتلاحم لا يعنيان ابتلاع الأكثرية للأقلية، ولا سطو الكبير على الصغير، ولا خنوع هذا لذاك. واذا كانت المسيحية الشرقية تبقى تمدّ يدها للاسلام الشرقي، فهي تنتظر المثل ممن تعتبرهم شركاءها في المصير. واننا بالرغم مما حصل ويحصل لمتفائلون كلما نظرنا وراهنا على الطاقات الخيرّة والعقلانية والحرّة التي تبرز هنا وهناك، بين القيادات وفي صفوف المفكرين والناس الطيبين! انما نطلب من الصامتين أن يكونوا اقل صمتا .. فلا نسلّم راية الأمة الى المتطرفين وفاقدي البصر والبصيرة !

من خلال مسيرة حياة ... هذا ما يتضمنه كتاب "حتى النهاية.

(من كلمة التقديم)

المطران جرجس القس موسى

يطلب من مكتبة بيبليا -كنيسة مار توما
الموصل - العراق
سعر النسخة: ٣٠٠٠ دينار

شركة الديوان للطباعة والنشر
بغداد-العراق